وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
كلية الآداب
قسم علم الاجتماع

الفردانية

ومستقبل الجماعات التقليدية

دراسة انثروبولوجية ميدانية في مدينة الديوانية

رسالة مقدمة من الباحثة

ايناس رزاق مطيع

الى مجلس كلية الآداب – جامعة القادسية
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع

بأشراف

أ.م .د علاء جواد كاظم

٢٠١٧

اقرار المشرف

اشهد أن اعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (الفردانية ومستقبل الجماعات التقليدية، دراسة انثربولوجية ميدانية في مدينة الديوانية) المقدمة من قبل الباحثة (ايناس رزاق مطيع) قد جرى تحت اشرافي في جامعة القادسية /كلية الآداب –قسم علم الاجتماع ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير /آداب في علم الاجتماع .

التوقيع :

المشرف: أ.م.د. علاء جواد كاظم

التاريخ: // ٢٠١٧م

* * *

توصية رئيس قسم علم الاجتماع

بناء على توصية الاستاذ المشرف أرشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع

الاسم: أ.م.د. علاء جواد كاظم

رئيس قسم علم الاجتماع

كلية الآداب / جامعة القادسية

التاريخ: //٢٠١٧م

اقرار المقوم اللغوي

اشهد أن رسالة الماجستير الموسومة بـ (**الفردانية ومستقبل الجماعات التقليدية ،دراسة انثروبولوجية ميدانية في مدينة الديوانية**)المقدمة من قبل الباحثة (**ايناس رزاق مطيع**) ،جامعة القادسية –كلية الآداب–جامعة القادسية، قد تمت مراجعتها من الناحية اللغوية وتصحيح ما ورد فيها من اخطاء لغوية وتعبيرية وبذلك اصبحت الرسالة مؤهلة للمناقشة بقدر تعلق الامر بسلامة الاسلوب وصحة التعبير .

التوقيع:

الاسم:

التاريخ: // ٢٠١٧م

إقرار لجنة مناقشـــــــة رسالة ماجستير

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة أننا اطلعنا على الرسالة الموسومة بـ (المرد انيك ومستقبل الحماية التقليدية حراس التدمير لوجه ميدانية في مرقص ليرانيم) التي أعدّها الطالبة (ايناس رزاق مطيع) ،وقد ناقشناه في محتوياتها وفي ما له علاقة بها ، وهي جديرة بالقبول بتقدير ( ) للحصول على شهادة الماجستير في ( )

الإمضاء :
الإسم : أ.د. عبد السلام نعمة الحمداني
التاريخ : ٥ / ٤ / ٢٠١٧
رئيس اللجنة

الإمضاء :
الإسم :
التاريخ :
عضو اللجنة

الإمضاء :
الإسم : أ.م.د. مازن مرهول محمد
التاريخ : ٥ / ٤ / ٢٠١٧
عضو اللجنة

الإمضاء :
الإسم : أ.م.د. علاء حيدر كاظم
التاريخ : ١٢ / ٤ / ٢٠١٧
عضواً ومشرفاً

يصادق مجلس كلية الآداب / جامعة القادسية على قرار اللجنة

أ.د. ياسر علي عبد الخالدي
عميد كلية الآداب
/ / ٢٠١

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾

صَدَقَ اللَّهُ العظيم

﴿الأنعام/٩٣-٩٤﴾

الاهداء

الى ايقونة الامل ونبض الوجود ..امي
الى مضامين الحب والجمال ..ابي
الى النجوم المضيئة في سماء وجودي..اخواتي واخوني
الى عطاء الحب والمعرفة.. د.علاء جواد كاظم

أيناس....

شكر وامتنان

يطيب لي وأنا أضع لمساتي الأخيرة على هذا الجهد العلمي المتواضع، أن أتقدم بشكري وأمتناني القلبي الى كل من شاركني في انجاز هذا العمل وساعدني في سبيل أكماله، بدءاً من استاذي الكبير الدكتور (علاء جواد كاظم) الذي لم يبخل عليّ بفيضه العلمي والمعرفي ..فله كل الحب والامتنان والاعتزاز .

كما أتقدم بالشكر الجزيل ألى جميع الأساتذة الأفاضل في قسم علم الاجتماع الرائع والكبير أ.د.صلاح جابر كاظم ، أساتذتي :د فلاح جابر جاسم د. طالب عبد الرضا ، د. ثائر رحيم ، لملاحظاتهم الكبيرة والمهمة ، والى الرائعتان م. أنيس شهيد ، م. هناء حسن سدخان ، حباً واعتزاز بمواقفهن الطيبة ، ولكل الأساتذة الكرام الذين فاتني ذكر أسمائهم أمتناني وتقديري لهم.

كما وأقدم شكري وتقديري ألى الأساتذة : أ.م.د فريدة جاسم داره عميدة كلية الآداب جامعة المستنصرية ود. ذكرى جميل محمد رائعة قسم الانثروبولوجيا التطبيقية في جامعة المستنصرية و د. سعد الكرعاوي ، و د. لؤي خزعل جبر ود. حميد الهاشمي، ود. سلام هاشم ، ود. خديجة حسن ..لهم كل الحب والتقدير لملاحظاتهم القيمة التي اسهمت في انضاج اتجاهات الرسالة وتقويم استمارة المقابلة .

ولا يفوتني أن أقدم شكري وتقديري ألى رفيقة الدرب الباحثة الانثروبولوجية (فاتن جواد كاظم)،وألى جميع زملاء الدراسة لذكرى جميلة سأحتفظ بها ماحييت للزملاء: محسن ، صالح، علاء ،عباس ،ابتهال، أمين ،مهند. والى موظفي المكتبة المركزية –جامعة القادسية ،والأخت العزيزة هناء آمينة مكتبة قسم علم الاجتماع –جامعة القادسية .

واخيراً بفيض من المحبة لعائلتي أمي وأبي أول الداعمين والمشجعين حفظكم الله والى أخوتي و اخواتي النجوم المضيئة في حياتي .لأولئك جميعاً احترامي وتقديري .

فهرست المحتويات

الموضوع	الصفحة
العنوان : **الفردانية ومستقبل الجماعات التقليدية**	
اقرار المشرف	
اقرار لجنة المناقشة	
الآية	أ

الاهداء	ب
الشكر وامتنان	ت
فهرست المحتويات	ث-ح
فهرست الجداول	خ-ذ
المقدمة	١-٤
البـــاب الاول **الجانب النظري للدراسة**	
الفصل الاول: العناصر الاساسية في الدراسة	٥-٦
تمهيد ا- مشكلة الدراسة وتساؤلاتها	٦
٢- اهمية الدراسة	٦-٧
٣- اهداف الدراسة	٧
٤-مجالات الدراسة	٨
المبحث الثاني : تحديد المفاهيم الاساسية للدراسة	
١- الفرد- الفردانية Individualism	٩-١٧
٢-الجماعات التقليدية Traditional groups	١٨-٢٣
الفصل الثاني الفردانية المؤشرات النظرية	٢٤-٤٢
اولاً: مقالات في الفردانية منظور انثروبولوجي للأيديولوجية الحديثة (لويس دومون)	٢٥-٢٨
ثانياً: الشخص والزمن والسلوك في بالي(كيلفورد غيرتز)	٢٩-٣٤
ثالثاً: الفردية قديماً وحديثاً (جون ديوي)	٣٥-٣٧
خامساً : الانسان ذو البعد الواحد (هربرت ماركوز)	٣٨-٤٠
الفصل الثالث: في تفكيك البنى الاجتماعية : الفردانية في مواجهة الجماعات التقليدية تمهيد	٤٥
المبحث الاول: الاسس الاجتماعية للفردانية في المجتمع العراقي القديم المجتمع السومري أنموذجاً	٤٥-٥٣
المبحث الثاني : الفردانية في مواجهة الجماعات التقليدية	٥٣-٦٠

المبحث الثالث: **العراق والنفط والاستبداد ومستقبل الجماعات التقليدية**	٦١-٦٥
المبحث الرابع : نمط الانتاج الاسيوي	٦٦-٧٦
الفصل الرابع **البيت التقليدي: الاتجاهات نحو التفرد والتقليد**	
المبحث الاول: **ملاحظات انثروبولوجية في تفكيك الحاضنة الاساسية للجماعة التقليدية (البيت التقليدي)أنموذجاً**	٧٨-٨٣
المبحث الثاني : **المجتمع العراقي وطبيعة العلاقات الاجتماعية التي تستند عليها الجماعات التقليدية**	٨٤-٩٢
المبحث الثالث : **المجتمع العراقي :والبنى الاقتصادية للجماعات التقليدية**	٩٣-٩٨
المبحث الرابع: **المجتمع العراقي :والانظمة التربوية واثرها في بيان اتجاهات التفرد والتقليد**	٩٩-١٠٠
المبحث الخامس : **خصائص الفردانية**	١٠١-١١٣
البـــــاب الثاني **الجانب الحقلي للدراسة**	
الفصل الخامس: **منهجية الدراسة العلمية الميدانية**	١١٥_١٢٥
المبحث الاول : **تمهيد: الاتجاهات النظرية المفسرة لظاهرة الفردانية ومستقبل الجماعات التقليدية**	١١٥-١١٦
تمهيد : **اولاً: نظرية التحليل الثقافي** Culture Analysis theory **ثانياً: نظرية البناء الاساسي للشخصية** Basic personality construction	١١٦-١٢١ ١٢٢-١٢٥
المبحث الثاني : المنهجية العلمية للدراسة **تمهيد**	١٢٦
تمهيد :اولاً :المنهج الكيفي The Qualitative Method **ثالثا: (الاحصاء الوصفي)** The Descriptive statistics method	١٢٧-١٢٨ ١٢٨-١٢٩
المبحث الثالث: ادوات الدراسة **تمهيد**	١٣٠

تمهيد :**١- الملاحظة بالمشاركة** Participant observation **٢ -المقابلة المعمقة** In-Depth Interview	**١٣٠-١٣٢** **١٣٢-١٣٣**
مبحث رابع: **١- مجتمع وعينة الدراسة** **٢- صدق اداة الاستمارة**	 **١٣٤** **١٣٤-١٣٥**
الفصل السادس **عرض وتحليل البيانات العامة للدراسة**	
المبحث الاول: **توصيف البيانات العامة**	**١٣٦-١٤٢**
المبحث الثاني :**عرض التوصيفات لظاهرة الفردانية ومستقبل الجماعات التقليدية**	**١٤٣-١٩٤**
الاستنتاجات الختامية وعرض النتائج العامة للدراسة	**١٩٥**
المصادر	**١٩٧-٢٠٣**
المصادر العربية	**١٩٧-٢٠٢**
المصادر الاجنبية	**٢٠٤-٢١٩**
الملاحق	**٢٠٦-٢٢١**
ملخص الرسالة باللغة الانكليزية	**٢٢٠-٢٢٣**

فهرست الجداول

رقم الجدول	عنوان الجدول	الصفحة
١	يبين اسماء الخبراء وصدق اداة استبانة المقابلة	١٣٥

٢	يبين توزيع وحدات العينة حسب العمر	١٣٦-١٣٧
٣	يبين توزيع العينة حسب النوع	١٣٧
٤	يوضح توزيع العينة حسب الحالة الاجتماعية	١٣٧-١٣٨
٥	يوضح نوع العائلة للمبحوثين	١٣٨
٦	يوضح نوع السكن للمبحوثين	١٣٨-١٣٩
٧	يبين تصنيف منطقة السكن للأفراد المبحوثين	١٣٩-١٤٠
٨	يوضح توزيع العينة حسب متغيري التحصيل العلمي	١٤٠
٩	يبين توزيع العينة حسب التخصص الاكاديمي	١٤٠-١٤١
١٠	يبين توزيع العينة حسب متغيري المهنة	١٤١-١٤٢
١١	يبين اراء المبحوثين حول قدرة الانسان على تغير مصيره في خضم الصراع الازلي للأرادات الذاتية والاجتماعية .	١٤٣-١٤٤
١٢	يبين اراء المبحوثين حول قدرة الانسان على تعديل (ولو جزء ما) من واقعه الاجتماعي والحياتي	١٤٤-١٤٥
١٣	يبين خشية الافراد على مستقبل الجماعات التقليدية في المجتمع العراقي	١٤٥-١٤٦
١٤	يبين اهم سبب لآراء المبحوثين حول خشيتهم على مستقبل الجماعات التقليدية	١٤٨-١٤٩
١٥	يبين اراء المبحوثين حول اهم الطرق والبدائل التي يفكرون بها في الظروف الصعبة من اجل الخلاص الذاتي	١٤٧-١٤٩
١٦	يبين اراء العينة حول اهم مصدر يستند عليه في اتخاذ قراراتهم في حياتهم اليومية	١٤٩
١٧	يبين رأي المبحوثين حول اهم محدد اساسي يرون ان له دور اساس في صياغة شخصيتهم	١٥٠-١٥١
١٨	يبين نوع التوافق النفسي الذي يبحث عنه الفرد	١٥١-١٥٢
١٩	يبين اراء المبحوثين حول اهم مصدر للتصورات والقرارات التي يعتمدون عليها في حياتهم اليومية	١٥٢-١٥٣
٢٠	يبين اراء المبحوثين اذا كان ثمة علاقة تجمع بين الفردانية والانانية	١٥٣-١٥٤
٢١	يبين تصنيف الفردانية في المجتمع	١٥٤-١٥٥
٢٢	يبين اراء المبحوثين حول أرجحية اقبال المجتمع العراقي للانتقال من العيش	١٥٥-١٥٦

	في كنف الجماعات التقليدية الى العيش في عالم تسوده الفردانية	
٢٣	يوضح اراء المبحوثين حول الاسباب التي دفعتهم لطاعة وتطبيق للتقاليد والاعراف الاجتماعية	١٥٦-١٥٧
٢٤	يبين درجة اقتناع او قناعات الفرد بالتعميمات الاخلاقية والقيم الاجتماعية	١٥٧-١٥٩
٢٥	يوضح نظرة المبحوثين اتجاه ازياد سلطان(الجماعة والمجتمع)يقابله تهمش للفرد واستلاباً لفعاليته وتحطيماً لماهيته	١٥٩-١٦٠
٢٦	يوضح الوجود الاكثر تأثيرا على الفرد وطريقة عيشه في المجتمع	١٦٠
٢٧	يبين ميل وقدرة الفرد على ممارسة النقد لقوانين المجتمع وتقاليده عندما لا تنسجم مع قراراته وافكاره الذاتية	١٦١-١٦٢
٢٨	يبين الاليات التي يعتمدها الفرد في نقده للمجتمع	١٦٢-١٦٣
٢٩	يبين اراء المبحوثين من وجود الجماعة	١٦٣-١٦٤
٣٠	يوضح اعتقاد او عدم اعتقاد الافراد بتوفر نظام العدالة (الاجتماعية) في مجتمعنا العراقي المعاصر	١٦٤-١٦٥
٣١	يبين رأي كل من المرأة والرجل لبعضهما	١٦٥-١٦٦
٣٢	يبين رأي المبحوثين ونظرتهم للزواج	١٦٨
٣٣	يبين المحدد الاساسي من وجود الانسان في المجتمع العراقي	١٦٨-١٦٩
٣٤	يوضح اعتقاد المبحوثين بشأن ازدياد سلطان (الدولة والمؤسسات) مقابل تهميش الفرد واستلابه وتحطيم ماهيته	١٦٩-١٧٠
٣٥	يبين موقف المبحوثين حول كون ظاهرة الفردانية في ازهار او ضمور خلال فترة التحول ٢٠٠٣ وما بعدها	١٧٠-١٧٢
٣٦	يبين موقف المبحوثين بما حدث في ٩ نيسان ٢٠٠٣	١٧٢-١٧٣
٣٧	يبين رأي المبحوثين بوجود الدولة	١٧٣-١٧٤
٣٨	يبين تصور المبحوثين فيما اذا كانوا قادرين على العيش في عالم او مجتمع يقوم بدون الحاجة لوجود دولة او سلطة من اي نوع ذا بعد سياسي	١٧٤-١٧٥
٣٩	يبين رؤية المبحوثين بصورة الفرد العراقي التي اصبح عليها بعد ٩ نيسان ٢٠٠٣	١٧٥-١٧٧
٤٠	يبين اراء المبحوثين حول المعتقدات والممارسات والانماط التقليدية للسلوك	١٧٧-١٧٨

	الاجتماعي بكونها تصلح لبناء مجتمع عدالة وديمقراطية يحترم الحريات الفردية	
٤١	يبين اراء المبحوثين حول صاحب الحق الاعلى في اتخاذ القرارات المصيرية	١٧٨-١٧٩
٤٢	يبين درجة انسجام المقولات مع التصورات والافكار الذاتية	١٧٩-١٨٠
٤٣	يبين اعتقاد الانسان ووجوده في هذا العالم	١٨٠-١٨١
٤٤	يبين اراء المبحوثين حول امكانية تصور مجتمع يقوم بدون الحاجة لوجود مؤسسة دينية	١٨٢-١٨٣
٤٥	يبين اراء العينة حول افضلية المكان المناسب للوجود	١٨٣
٤٦	يبين اراء المبحوثين بإمكانية الاعتقاد بالعدالة الالهية في مجتمعنا المعاصر	١٨٤
٤٧	يبين نسبة اعتقادات المبحوثين بالقدر والمصير وبكونهما مكفولان بي الله وهو الحاكم والمتحكم فيه	١٨٤-١٨٥
٤٨	يبين اراء المبحوثين حول اصل الفردانية	١٨٥-١٨٦
٤٩	يبين اراء المبحوثين حول ماهية الحقيقة الاكثر قرباً للواقع النظري	١٨٦-١٨٧
٥٠	يبين اراء المبحوثين حول الحقيقة الوحيدة التي يعتقد بوجودها	١٨٨-١٨٩
٥١	يبين اعتقاد المبحوثين حول مضامين الحقيقة	١٨٨-١٨٩
٥٢	يبين اراء المبحوثين حول ثقافتنا العربية (القيم، والمعتقدات ،الافكار) هل تعتبر مهددة من قبل الثقافة الغربية بعد التطور التكنولوجي والانفتاح على العالم	١٨٩-١٩١
٥٣	يبين اراء المبحوثين حول نوع التغير الذي اصاب حياتهم بعد التحولات الثقافية والاجتماعية الاخيرة والانفتاح التكنولوجي على العالم	١٩١
٥٤	يبين درجة ايمان المبحوثين بالشعائر والاعراف والتقاليد السائدة في المجتمع	١٩٢-١٩٣

المقدّمة :

تأتي دراسة **الفردانية**(Individualism) بوصفها نمط ثقافي حديث العهد يُصيب بنيةالمجتمعات التقليدية بفعل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية الهائلة والتقدم التكنولوجي الكبير ، وهو نمطاً عادة ما يترك اثراً عكسياً على مستقبل الجماعات التقليدية التي تتمحور هي الاخرىلتشكل نمطاً ثقافياً شائعاً في المجتمعات التقليدية بوصفها جزءاً فاعلا من قطاعاتحقل الانثروبولوجيا الثقافية(Cultural anthropology)التي تركز جلّ اهتمامها في ،دراستنا هذه ،بعرضها للأنماط الثقافية المتعلقة بظاهرة الفردانية ونقيضتها الفيضية[١](Holisme) (الجماعات التقليدية) ومناقشة ما تنطوي عليه جدلية هذه الأنماط في المجتمع العراقي من خلال عرض تصورات المجتمع ومقابلة عينة من افرادها بما يبين موقف الناس من مستقبل المجتمع .

يرى علماء الانثروبولوجيا الثقافية أنالأفكار التقليدية(traditional ideas)اعباء باهظة وعقبات رئيسية في طريق صياغة فردية جديدة ، وتمثلهذه الافكار ،أهم خصائص مجتمعاتنا العربية التقليدية فوجود تلك الأفكار والقيم الموروثة التي تجري في اعماق البنى الاجتماعية القائمة اساساً ينقض الفردانية[٢] ويدعم ما يعرف لاحقا بالجماعات المقدسة(The Holygroups).

ومع بداية القرن الثامن عشر بدأ عهد جديد في العلم الانثروبولوجي وثورة جديدة من التفكير في انظمة العلم ،وبدأ الاتجاه نحو الذات واعطاء الاولوية له على حساب الجماعة او الموضوع ،وفقاً لهذا المنطلق أصبح للفرد معنى بوصفه الأساس المرجعي لذاته والمستقل عن ارتباطات الجماعة والتزاماتها فضلا عن المتميز عن الجماعة بالتفكير والهوية الخاصة والنظرة الى العالم وللوجود وبالتالي هو مختلف كلياً عن الفرد المنخرط في الجماعة والمرتبط بنسيج من العلاقات التبعية للجماعات التقليدية بكل مسمياتها كالعشيرة والقبيلة والدولة.

---

[١] - الفيضية : هي مفهوم انثروبولوجي يشير الى الايديولوجيا التي تبرز الكلية الاجتماعية وتهمل او تخضع الفرد الانساني وهي تكون بالتعارض مع الفردانية التي تجعل من الفرد اساس المجتمع ،الفيضية هي من سمات المجتمعات التقليدية التي تعطي القيمة للمجتمع او للجماعة الاجتماعية على حساب الفرد .ينظر في : دومون ،لويس: مقالات في الفردانية من منظور انثروبولوجي للأيديولوجية الحديثة ت.محمد عصفور ، م ، بولس وهبة ،(بيروت- المنضمة العربية للترجمة)،٢٠٠٩ ،ص٣٥٤.

[٢] - انبثقت فكرة الفردانية في الحياة المعرفية للفلاسفة مع ظهور فلسفة الحياة لدى نيتشه(F. Nietzsche) والفلسفة البراغماتية لدى وليم جيمس(W.James) والفلسفة الوجودية حيث بدأ الاتجاه نحو الاهتمام بالإنسان الفرد ،ومع كيركجارد ونيتشه تبدأ الفلسفة الذاتية رافضة للمعنى المطلق مؤكدة للفردانية والتعدد ،ومنذ ظهور الفردانية والذاتية في الفلسفة الوجودية وفلسفة الحياة والفلسفة البراغماتية..

وعلى هذا الاساس فالفردانية هي صورة للفرد المستقل ذهنياًعن القوانين ذات الجذور الاجتماعية والالتزامات الجماعية التقليدية ،كما وتظهر (الفردانية) بمثابة واقعاً ونظاماً استحدثت فوضى الجماعة وجوده ، وتجلت صورها في ابداع الانسان واكتشاف ذاته وانكار قيود الجماعة المفروضة عليه وتحقيق قدر من حرية العيش خارج اطر الجماعة التقليدية حيث مكنت الفرد من امتلاك قدرات التفكير المنطقي والوعي الثقافي الذي من خلاله يستطيع تغيير واقعه ومصيره ،واطلاق طاقاته الفعالة للمساهمة في الدفع بديناميكية المجتمع للتقدم ،فهي بمثابة نظام متكامل مستقل للفرد تتضمن في ذاتها الحرية التي تمكن الانسان من ان يصوغ وجوده في هذا العالم.

أذ عرفت المجتمعات الغربية الحديثة نمط الفردانية الذي كان له تاريخ طويل في تلك المجتمعات فيذهب علماء الانثروبولوجيا الى أن هذا النمط الثقافي الاجتماعي قد مكن الفرد من تطوير نفسه وأفكاره وبالتالي من اعادة انتاج المجتمع الغربي من جديد ليكون مجتمع أفراد أحرار .فإن صورة الفرد في مجتمعنا العراقي ذي المضمون والنمط التقليدي نجد مقاييسها لا تتناسب مع نمو الفردانية التي ترصدها الدراسات الانثروبولوجية في المجتمع الغربي بل تقف في تعارض معها فيعيش الفرد فيها ضمن مجاميع يندرج تحت سلطتها وقوانينها ، نظراً لما يتميز به مجتمعنا من قوة التقاليد وسلطتها وممانعتها بحيث تجعل الفرد يتسم بنوع من العطالة وتكبله وتشل فعاليته ونشاطاته كما تنظر اليه في الكثير من الاحيان بوصفه (**المدنس**) الذي يدور خارج الجماعة (**المقدس**).

ربما احدثت التغيرات التي شهدها مجتمعنا بعد احتلال (٢٠٠٣)من النواحي الاجتماعية والاقتصادية وانفتاحه الفوضوي على العوالم الجديدة المختلفة، والدخول في حقبة زمنية الكترونية ونشوء بنى جديدة وشيوع الكثير من الأنظمة مما ادىلتغيراً هائلا في مكانة الفرد واستبدلت الكثير من الافكار التي كانت قائمة أذ تحرر الأفراد من أشكال اجتماعية بالية كانت تضيق على الفرد وتبقيه في دائرة الموروث التقليدي ، ان سيطرة واحكام تلك الانظمة على حياة المجتمع المتخلف وسقوط الحقبة الديكتاتورية ،تلك الحقبة التي افرزت نظاماً تعسفياً ساد مجتمعنا العراقي مما دفعت الفرد للبحث عن الخلاص الفردي(الهجرة اللجوء الجنون او السقوط في حضن الشبكات التقليدية..الخ) ولكن عمليات التحديث الاجبارية أن صح التعبير الاقتصادية والاجتماعية جعلت مجتمعنا التقليدي يعيش في حالة توتر وصراع بين فعاليتيندينامياتين كبيرتين تتقاطعين في مختلف

القطاعات الاول قوة التقاليد وجاذبيتها والثانية هو التحديث الفوضوي وإغراءاته، ألاّأن قوة التقاليد والاعراف الموروثة في المجتمعات التقليدية او تلك الثقافة المدعومة بقوة التقليد جعلته اكثر ميلاً الى الابقاء على ما هو سائد باعتباره موروث ثقافي ،والاحتفاظ بهيمنة الجماعة وسيطرتها فرضت نفسها على الفرد وجعلته يصارع الجماعات التقليدية بحثاً عن مستقبل ما ..!؟

وقد انقسمت دراستنا على بابين: الاول عالج الجانب النظري ، وضم اربعة فصول على وفقاً للآتي:

الفصل الاول:قدم الاطار النظري والمفاهيمي من الدراسة وقد تكون من مبحثين الاول : مشكلة الدراسة وسؤالاتها واهمية الدراسة واهدافها فضلاً عن مجالات الدراسة ، والثاني يدرس المفاهيم والمصطلحات العلمية .

فيما تحدث **الفصل الثاني**عن الاطار المرجعي للدراسة ،ومتضمناً المؤشرات النظرية الرئيسية التي تناولت موضوع الفردانية والجماعات التقليدية فضلا عن نماذج للتنظير الانثروبولوجي تخصص في فحص الطروحات النظرية لأربع من اهم الانثروبولوجيين الذين طوروا فكرة الفردانية بوصفها نمطاً ثقافياً شائعاً في اوربا وهم ١– **لويس دومون ٢- كيلفورد غيرتز ،٣- جون ديوي ،٤-هربرت ماركيوز**.

بينما تضمن **الفصل الثالث** اربع مباحث الاول بعنوان: **الاسس الاجتماعية للفردانية في المجتمع العراقي القديم-المجتمع السومري انموذجاً**، والمبحث الثاني :**في تفكيك البنى الاجتماعية الفردانية في مواجهة الجماعات التقليدية**، والمبحث الثالث: **العراق والنفط والاستبداد ومستقبل الجماعات التقليدية** ،اما المبحث الرابع: **نمط الانتاج الاسيوي**

وجاء **الفصل الرابع**بعنوان **البيت التقليديوالاتجاهات نحو التفرد والتقليد**متضمناً خمس مباحث، الاول: **ملاحظات انثروبولوجية في تفكيك الحاضنة الاساسية للجماعة التقليدية (البيت التقليدي)أنموذجاً**،والمبحث الثاني: **المجتمع العراقي وطبيعة العلاقات الاجتماعية التي تستند عليها الجماعات التقليدية**، والمبحث الثالث: **المجتمع العراقيوالبنى الاقتصادية للجماعات التقليدية**، والمبحث الرابع: **المجتمع العراقيوالانظمة التربوية واثرها في بيان اتجاهات التفرد والتقليد**، **والمبحث الخامس**: خصائص الفردانية.

اما **الباب الثاني**فقد انطوى على الجانب الحقلي للدراسة واشتمل على فصلين قسمت على النحو الاتي:

الفصل الخامس يشمل اربعة مباحث ، تحدد **الاول** في الاطار النظري للدراسة حيث النظريات المفسرة لموضوع الدراسة ولا سيما نظرية التحليل الثقافي في المجال الانثروبولوجي ونظرية البناء الاساسي للشخصية، وجاء **المبحث الثاني**ليشمل **الاجراءات العلمية والمنهجية**حيث تكون من **المنهج الكيفي والمنهج الاحصائي**وتحديداً**الاحصاء الوصفي** ،اما **المبحث الثالث شمل ادوات جمع البياناتلا سيما الملاحظة بالمشاركة**وذلك من خلال مشاركة افراد مجتمع الدراسة وملاحظة سلوكياتهم والتعرف على عاداتهم وتقاليدهم **والمقابلة المعمقة**التي ساهمت في فهم افكار وماهية الافراد ونظرتهم للعالم المحيط بهم والتعرف على اهمية او عدم اهمية انتماءاتهم للجماعات التقليدية ،**والمبحث الرابع**تضمن مجتمع وعينة الدراسة فضلاً عن صدق اداة استمارة المقابلة .

والفصل السادس من الباب الثاني تضمن عرض وتحليل البيانات العامة على اسئلة استمارة المقابلة من خلال مبحثينتضمن الاول (**توصيف البيانات العامة للدراسة**) والمبحث الثاني (**عرض التوصيفات للظاهرة المدروسة الفردانية ومستقبل الجماعات التقليدية**).

الباب الاول

الإطـــار النظري العـــام للدراسة

المبحث الاول : عناصر الدراسة الاساسية

اولاً: مشكلة الدراسة وسؤالاتها

ثانياً: اهمية الدراسة

ثالثاً: اهداف الدراسة

رابعاً : مجالات الدراسة

المبحث الثاني: تحديد المفاهيم الانثروبولوجية

اولاً : الفرد-الفردانية

ثانياً: الجماعات التقليدية

الباب الاول :الاطار النظري العام للدراسة

الفصل الاول: المبحث الاول: عناصر الدراسة الاساسية

اولاً: مشكلة الدراسة وسؤالاتها:

تتحدد مشكلة الدراسة في محاولة التعرف على قدرة الفرد العراقي على تمثيل ذاته وتغير وتشكيل عوالمه الذاتية والواقعية(الفردانية) في مجتمع تقليدي يرتكز على تصورات وبنى جماعية تستبعد قدرة الفرد الانساني وامكاناته الذاتية في صياغة مصيره الخاص (الجماعات التقليدية) ، وعليه طرحت الباحثة مجموعة من التساؤلات بهذا الشأن :

١–كيف لظاهرة الفردانية أن تتحكم في صياغة مستقبل الجماعات التقليدية ؟

٢–هل تُدين مجتمعاتنا ظاهرة التفرد وتمارس نوع من الممانعة في تحريرها؟

٣– هل هناك بدائل ثقافية واجتماعية يمكن لمجتمعاتنا أن تقدمها عوضاً عن الفردانية !؟ وهل يمكن أن تكون الجماعة (لو تكيفت بشكل افتراضي مع الحداثة) بديلاً عن الفرد!؟

٣– هلباتت مجتمعاتنا جاهزة للدخول فيحقبة فردانية، لا سيما بعد التغيرات الكبرى التي ترتبت على الاحتلال الامريكي في نيسان عاد ٢٠٠٣ تلك التغيرات التي مست جوانب المجتمع الثقافية والاقتصادية والاجتماعية كافة ؟

٤– هل هناك علاقة من نوع ما (سلباً او ايجاباً) بين الفردانية والجماعات التقليدية ؟

٥ – لماذا تميل المجتمعات التقليدية الى تهميش الفرد ،وتدني منزلته في مجتمعنا؟

٦–ما المصائر الفردية العينية للإنسان في مواجهة مجتمع تقليدي؟

ثانياً: اهمية الدراسة:

تتأتى أهمية دراسة ظاهرة الفردانية من حيث نموُّها أو تراجعها، ومن ثم مستقبل الجماعات التقليدية من الأثر الكبير الذي تتركه تداعيات هذه الأنماط (التفرد والتقليد) في حياة المجتمع الانساني عامة والمجتمع التقليدي ، بصورة خاصة، فضلاً عن أن هذا الأثر يتسع

ويتمدد في كل الاتجاهات مؤشراً على مستوى الحياة الاجتماعية والسياسية التي عادة ما تؤدي ألى تنامي الدكتاتوريات والحروب والصراعات ، وتأثيرها في الحياة الاقتصادية للشعوب وحتى في حياتهم الدينية ومعتقداتهم وتصوراتهم عن الحياة .. والاهم من ذلك فأن هذه الظاهرة ربما تلخص وتوجز بصورة عميقة ودقيقة حياة الانسان في المجتمع الحديث الذي هو موضوع الانثروبولوجيا الأساس.

ثالثاً :اهداف الدراسة:

يمكن أن نوجز الأهداف الرئيسة لهذه الدراسة بما يأتي :

١- بيان أشكال الترابط بين نشوء ظاهرة (الفردانية) وتداعيات هذا النشوء في صياغة مستقبل الجماعات التقليدية في المجتمع .

٢-أختبار ميداني لقدرة الدراسات الأنثروبولوجية على فهم الظواهر الثقافية والاجتماعية الجديدةويُعدّ هذا من بين الاهداف الرئيسة لهذه الدراسة ، حيث أن نشوء ثقافة جديدة في مجتمع تقليدي من شأنه أن يختبر أو يستفز قدرة الدراسات الانثروبولوجية على تقديم موقف ميداني وحكم نظري نهائي على هذا النوع من الظواهر كذلك تقديم رؤيا ميدانية تحليلية لظاهرة (الفردانية)من شأنها أن تساعدنا في صياغة تصورات انثروبولوجية نظرية ،ربما تكون حاسمة في تقنين وخلق تفسير نظري لحالة الفرد والمجتمع في المجتمع العراقي ورصد أثر التغيرّ ومظاهره من خلال هذه المقابلة الانثروبولوجية .

٣-تحديد ظاهرة الفردانية ومستوياتها ومعانيها وتحولاتها من بين الأهداف الرئيسة التي سعت هذه الدراسة للوصول أليها ،مع ابراز جوانب التميز والخصوصية لنمط الفردانية وتبيان ما فيها من قوة ومناعة فكرية التي بإمكانها دفع عجلة المجتمع للتقدم.

٤- فهم طبيعة الجماعات التقليدية في المجتمع العراقي، ومستقبلها وقدرتها على مواجهة التحديات التي باتت تواجهها مع تحولات العالم الجديد من خلال دراسة علاقتها بالظاهرة المدروسة.

رابعاً :مجالات الدراسة

تصنف المجالات الأساسية للدراسة التي عملت الباحثة في مضامينها لإتمام شروط الدراسة وضمان دقتها العلمية الى ثلاثة مجالات هي :

١–المجال البشري :ونقصد به السكان المحليون في مجتمع الدراسة في مركز مدينة الديوانية وقد اختارت الباحثة عينة احصائية مختارة بدقة من النخبة وتركت للصدفة أن تختار مجال المقابلة وظروفها وما يترتب عليها.

٢– المجال المكاني :اختارت الباحثة مركز مدينة الديوانية من خلال (المكتبات العامة، جامعة القادسية ،نقابة الفنانين) واجرت أغلب اللقاءات في مقابلة النخبة المتمثلين بـ اساتذة الجامعة والفنانين والمثقفين واتحاد الادباء والكتاب في محافظة الديوانية .

٣–المجال الزماني :يمتد المجال الزماني للدراسة اعتباراً من فترة معايشة الباحثة لمجتمع الدراسة وأجراءها المقابلات اليومية خلال مدة زمنية تبدأ بـ ٢٠١٦/٢/١ وتنتهي بـ ٢٠١٦/١٠/١.

الفصل الاول- المبحث الثاني

المفاهيم والمحددات الأنثروبولوجية

The concept of Anthropology

اولا: الفرد –الفردانية individual – individualism

الفردفي اللغة العربية الكلاسيكية (مفردة) تأتي بمعنى (الوتر،والجمع أفراداً وفرادى،والفرد نصف الزوج ولا نظير له .وتأتي كلمة تفرد بمعنى انعزل وتميز عن غيره)[١]،والفرد هو (المتفرد والمتميز عن القطيع أو الجماعة ،فنقول أفرد زيد بالأمر تفرد به ،وتفرد بالأمر أي كان فيه فرداً لا نظير له)[٢] ، وأما في الاصطلاح فالفرد هو " أنسان أُحادي متفرد ويحوي هذا المفهوم معنى آخر هو الكلية التي لا يمكن تجزئتها الى مكونات أصغر"[٣] والجزء الفرد هو ما ينفصل عن الأجزاء الأخرى ، وكل كائن انساني يحتل جسداً متميزا ومغلقا على ذاته ، فهو فرد "كل انسان في طبيعته النفسية هو ذات فردية واحدة مفردة" [٤] .والفرد أو الانسان الفردي يتميز وفق نمطين أولهما: الذات التطبيقية أي عينة لا تتجزأ من النوع البشري على النحو الذي نجده في كل المجتمعات،وثانياً :الكائن الاخلاقي المستقل والفرد المكتفي ذاتياً

[١] - ابن منظور : لسان العرب ،(القاهرة- دار المعارف)ج ٥ ،مادة –فرد- ص٣٣٧٣.
[٢] - البستاني .عبد الله :معجم وسيط اللغة العربية ،(بيروت- مكتبة بيروت)، ١٩٩٠ ،ص ٤٦٢,٤٦٣.
[٣] - ف.ب.توغاريف: الطبيعة والحضارة والانسان ،ت ، رضوان القضماني ونجم خريط ،(بيروت –دار الفارابي)،١٩٨٧ ،ص١٧٣.
[٤] -البستاني .عبد الله :معجم وسيط اللغة العربية ،مصدر سابق ،ص٤٦١.

بتركه المجتمع بالمعـــــــنى الحقيقي اي {فرد خارج العالم }، حسب تعريف دومون له وهذا نجده في المجتمعات او الايديولوجيات الحديثة [١] .

وفي المنظور الأنثروبولوجي: عادة ما يعرف الفرد بشكل عام في هذا المجال استناداً الى علاقته بالمجتمع والجماعة ،أو بوصفه الوحدة المرجعية الأساسية سواء اليه بالذات أو بالنسبة للمجتمع[٢] . وهذا يعني أن الفرد وفقاً لهذا المفهوم كائن انساني يمتلك وحدته الداخلية ويؤدي وظيفته كنسق ونظام متكامل ويمتلك استقلالية ذاتية خاصة في دائرة الوسط الذي ينتمي اليه ،أي أنه قادر على صنع مصيره الخاص وقدرته أيضاً على تغير عوالمه الذاتية المستقلة ومن ثم أعادة تشكيل العالم بالتعبير الفلسفي" وبالتالي فان الفرد لا يمثل عنصرا من عناصر النظام فحسب بل فاعلا في علاقات هذا النظام أو التركيب لكونه شخصية قادرة على العمل والنشاط والخلق" [٣]أن الفرد هو الذي يقرر كافة أمور حياته و يكون مسؤولا عن اختياراته وأفعاله واعتماده على نفسه في اتخاذ قراراته وبالتالي يشكل نموذجاً للفرد المستقل المكتفي بنفسه .فقد عرف راد كليف براون (R. k. Browen) الفرد قائلاً :" ان كل انسان هو فرد أي كائن عضوي بيولوجي ومجموعة هائلة من الجزئيات التي تنتظم في بناء مركب تجري في داخله أفعال وعمليات فيزيولوجية ونفسانية"[٤].

ولم يتبلور الفرد بوصفه كائنا بيولوجيا(A Biological being)بل كان موجود على الدوام قديماًأو حديثاً ،ولكن "اكتشافه كذات مستقله ارتبطت بمظاهر الحداثة الاجتماعية"[٥] ،التي افرزت افرادا لكل منهم ذاتيته الخاصة ،" وهكذا فأن الحداثة هي الفردانية ولذلك قيل :أنما الحداثة هي أولوية الذات في الاعتبار"[٦]،وهكذا اولت الحداثة العناية لمبدأ الفرد وايلائه الأهمية والأولوية والأولوية لشأن الذات ،وعلى هذا الاساس أصبح الفرد قادر على قول (أنا)فقد أصبحت لهذه الذات الانطولوجية(الوجودية) الفردية معنى منطقيا قادرة على تحمل الأفعال كلها، و أصبح الانسان واعيا بإرادته وقدرتهواصبح لديه القدرة على الانتقاد ونقد الأفعال والأقوال ، وأصبح

---

١ - ينظر في دومون :مقالات في الفردانية من منظور انثروبولوجي للأيديولوجيا الحديثة ت. محمد عصفور ،م، بولس وهبة ،(بيروت-المنظمة العربية للترجمة)٢٠٠٩،ص٣٥٣

٢ -كاظم .علاء جواد :الفرد والمصير بحث في الانثروبولوجيا الثقافية ، (بيروت-دار التنوير) ،٢٠١١،ص١٠١.

٣ - خليل .فؤاد :المجتمع ،النظام ،البنيةفي موضوع علم الاجتماع واشكاليته ،(بيروت-ار الفارابي)،٢٠٠٨،ص٧٤.

٤ - المصدر نفسه ، ص ٧٦.

٥ - ينظر في .كاظم علاء جواد :الفرد والمصير ، مصدر سابق ، ص٩٧.

٦ - الشيخ. محمد: رهانات الحداثة ،(بيروت-دار الهادي)٢٠٠٧ ،ص٦٧.

الفرد أساس لدراسة المجتمع ،مثلمافعل بارسونز(T. parsons)،" عندما جعل الفرد الفاعل أو الجزء بوصفه موضوع علم الاجتماع وبذلك يكون بارسونز قد اقتفى اثر فيبر حين انطلق من وحدة الفعل الصغرى أو من الفرد نفسه"[١] ، وهنا لابد من الاشارة الى حقيقة هامة ينبغي عدم تجاهلها ،"وهي أن البحث في مجال المجتمع المعقد او الحقول المترابطة أو عالم العلائق الذي يدمج بين الذاتي والموضوعي من جهة وفي مجال الشخصية من جهة أخرى ، يتلاقيان في نقطة الصفر تلك هي الفرد"[٢] ، وأنماط الفعل والعلاقات والصلات البشرية لا يمكن أن تقوم ألاّ على الأفراد ، فالحيز الذي يشغله الفرد في هذا العالم يتمتع بأهمية نظرية خاصة وذلك وفقاً لما صنفه الانثروبولوجيين ،وهناك بعض العلماء ممن له أفكار تركت تأثيرات كبيرة حول تصوراتها عن الفردمنهم: أميل دوركهايم(E.Durkheim)الذي صور العلاقة بين الفرد والمجتمع على أنها نوع من المعارضة بين الفرد والمجتمع فكرة لا تتوافق مع معطيات الواقع ، لأن هذين المفهومين يتداخلان .وبالتالي فأن الفعل الذي يمارسه المجتمع على الفرد لا يهدف الى الحاق الضرر بالفرد لان بناءه على نحو اجتماعي ضرورة انسانية وحضارية"[٣] ،أما اوغست كونت(A. comte)فقد استبعد الفرد تماما من الدراسة السوسيولوجية ،معتبراً انه يستحيل فصل الفرد عن الاسرة الا كافتراض ذهني مفتعل ومناف للواقع المجتمعي"[٤] .

لكن الانثروبولوجين الحداثيين ومن بينهم فوكو(M. Foucault)ذهبواألى توصيف الفرد على أساس" أنه ذات فاعلة ثابته الهوية"[٥] ،وأعتبر بول ريكور(P. Ricoeur)الفرد ملتصق بفعله ومحدد به :"الفرد في مسرح سيرورته الفعلية وبوصفه اطارا عاما للذات التي تشكل امتداداته الجوانية القاعدية"[٦] .

وقد اعتبر علماء الانثروبولوجيا أن صفة الفردية أو الفردانية أو الفرادةتطبق بالتعارض مع الفيضية التي تنطلق من الجماعة أو الكل على حساب الجزء أو الفرد، والفردية بوصفها مفهوم "تشير بالدرجة الأساسألى ما يميز الأفراد ويفرزهم عن الأخرين ،وهي لا تنطوي على ألكثير من السمات الطبيعية التي يشترك بها الجميع في الولادة بقدر ما تنطوي على انجازاتهم العقلية

---

١ - خليل .فؤاد ، المصدر نفسه ،ص٩١.
٢ - ينظر في النوري ، قيس :الأنثروبولوجيا النفسية ،(بغداد-دار الحكمة)،١٩٩٠،ص٢٠٥.
٣ - دوركهايم .اميل :التربية والمجتمع ،ت ،علي وطفة ،(دمشق –الينابيع)،١٩٩٢،ص١٣٣.
٤ - خليل .فؤاد :البنية النظام البنية ،مصدر سابق ،ص٣٨.
٥ - فوكو .ميشيل :المراقبة والمعاقبة ،ولادة السجن ،ت. علي مقلد ،(بيروت-مركز الانتماء القومي)،١٩٩٠،ص١٩٥.
٦ - ريكور .بول :في التفسير محاولة في فرويد ،ت ، وجيه اسعد ،(دمشق ٠دار اطلس)،٢٠٠٣،ص٢٠٥.

والاخلاقية الفريدة ونوع الشخص الذي صاغوا به انفسهم"[1]،وهي بمقتضاها الأساسي تحدد الفرد بعدّه الاساس لكل حقيقة وجودية، وتوكد على أن غاية المجتمع هو حرية الفرد ،مستبدلة الرؤية،تلك الرؤية التي لا تنتج سوى فرداً ضعيفاً يعجز عن الاقرار بفرديته برؤية تؤكد القيمة العليا للفرد منتقدة سلطة المجتمع التي تُسير الفرد وفقاًلمصالحها وهيمنتها ،غيرمعترفة بالبنى الاجتماعية التي تسلب حق الفرد الفاعل بوصفه عضوا متميزاً ومستقلاً ، لتنتج رؤئ جديدة تعترف بالقدرات الفرديةللفرد ومكانته وتميزه وبذلك تضمن اولوية الفرد على حساب الجماعة او الكل .

وتعدّ الفردانية "خاصية مميزة للمجتمعات الحديثة الذي يعتبر الفرد فيها الوحدة المرجعية الاساسية ،وهو الذي يقرر مهنته ويختار قرينه وهو يتحمل بحرية تامة مسؤولية معتقداته وآرائه وافعاله ،كما أن استقلاله الذاتي أكبر مما هو عليه في المجتمعات التقليدية" [2]،و الفرد الخاصية المرجعية الذي له نظامه الخاص وهو الذي يقرر كافة أمور حياته وفق ارادته بعيداً عن تدخل الاخرين، أي أنه قائم ومستقل بذاته على العكس من المجتمعات التقليدية التي يعيش فيها الفرد خاضعاً تماماً لسيطرة الجماعة التقليدية ممثلة في تجمعات أو عشائر و قبائل دون أن يكون له آراء أو وجهات نظر خاصة وعليه أن يطيع أوامر الجماعة التي ينتمي اليها ،وتقاليدها وعاداتها واحكامها العامة طاعة عمياء باستسلاموخضوع تاركة للفرد قدراً هامشياً من الحرية .

وقد أعتبرها دومون(L .Dumont)"سمة كبرى تفضل الفرد بوصفه الكائن الاخلاقي المستقل ذاتياً وبوصفه الكائن الحقيقي،وبالتالي (جوهريا) غير اجتماعي ،وتهمل أو تخضع الكلية الاجتماعية"[3]يمكن القول بأن هذه الايديولوجية لا تنقسم وفق قطبين متضادين ولكنها تضع الفرد في مركز الاهتمام الجوهري ، وتفعل دوره بوصفه الأساس حيث الاولوية للفرد على حساب الجماعة ،أي أنها تتبنى الفرد بكونه الحقيقة اليقينية التي يرتكز عليها المجتمع، والتي من خلالها تفسر ملامح التميز والاختلاف وأبداع الفرد من عدمه قيمة أي أن الفردانية تكون بمثابة العالم الذي يمتلك فيه الانسان الفرد نفسه (ذاته) ويسيطر على وجوده بحرية مؤكدة، ذلك الوجود المرتبط بالوعي المستقل والمعزز بالاستقلالية والحرية، وهذا ما يتعارض مع المجتمعات التقليدية ، ولا تعير الفردانية أهمية للكلية الاجتماعية التي تنعدم فيها قيمة الفرد ودوره في

---

[1] - كاظم .علاء جواد :الفرد والمصير .مصدر سابق ،ص٩٨.

[2] - وف.ربودون ،بوريكو: المعجم النقدي لعلم الاجتماع ،ت. سليم حداد ،(بيروت-المؤسسة الجامعية للنشر)،٢٠٠٧،ص٤١٤.

[3] - دومون .لويس ،مصدر سابق ،ص٣٥٣.

المجتمع بوصفه عضواً فاعلاً وتحيله ألى كائن مهمش ،وبذلك تقتضي بأن يكون "الفعل الفردي في الاختيار والحرية والقصد لا يجري فقط على السطح ،أنما يتصل بما هو أعمق حيث يجري داخل بنيةٌ ما تحكم الحياة المجتمعية"[١].

أما ريمون بودون (R.Boudon)[٢] "فقد انطلق في رده من نقد ما يسمى بالفيضية أي تلك النزعة السوسيولوجية التي تركز على الكل (المجتمع)وتهمل الأجزاء(الافراد)" [٣]، بمعنى أنها "مجموعة الصفات التي يتميز بها الفرد عن افراد نوعه أو مجتمعه واعتماد الفرد على نفسه في اتخاذ القرار،حتى وأن عارضت هذه الأهداف المؤثرات الخارجية (الدولة، المجتمع ،او المؤسسات) وأي مجموعة اخرى على اختياره الشخصي ،التي تؤكد القيمة الاخلاقية للفرد وتميزه عن الجماعات التقليدية ،فهي سمة المجتمع التي يمثل فيها الفرد القيمة العليا" [٤].حيث الفرد يتميز عن اقرانه من الاخرين ومكانته كمكون أساسي وكواقعة اساسية في المجتمع الفرداني ومطروح بصفته مثلا أعلى ومتمايزاً عن الجماعة المحكومة ومستقل عن قوانينها التقليدية والقيمية .بالتالي يحقق الفرد تميزه وارتقائه داخل المجتمع ويرتقي بعيداً عن تدخل الاخرين .والفرديةالثابتة المتكاملة ،" هي ثمرة علاقات اجتماعية محددة ووظائف معترف بها علانية"[٥] .أي أن الفردية الثابتة أو استقرارها يعتمد على العلاقات الاجتماعية المستقرة والمستقلة التي يرتبط بها الولاء بصورة وثيقة .

ونظر اليها (دومون) بوصفها ظاهرة استثنائية في تاريخ الحضارات[٦]،يمكن أن تسود بلا قيود ولا حدود ، ترتكز على جوانب الحداثة وتقوم على محوريين :الفردانية (مقابل حلول الفرد في

---

١ - خليل .فؤاد : المحتمع النظام البنية ،مصدر سابق ،ص٨٦.

٢ - ريمون بودون :هو رائد من رواد علماء الاجتماع الفرنسيين في القرن العشرين ،وهو من ابرز رواد الفردانية المنهجية ،بحث مع علماء عصره عدة قضايا في كل المجالات الاجتماعية والسياسية ،دافع عن علماء الاجتماع التقليديين الكلاسيكيين الذين كانوا يعتمدون على المنطق وعلى القليل من المنهج التجريبي ،جاءت اغلب ابحاثه او اطروحاته العلمية في اطار الفلسفة الاجتماعية ، بحث بودون وتكلم بجدية على مسألة غاية في الاهمية في حقل علم الاجتماع والتي هي الفردانية المنهجية ،والذي سبقوه فيها العديد من العلماء من امثال ماكس فيبر ،والفرد باريتو ، ودوركهايم ،و توكفيل ،وغيرهم ممن كتبوا في هذا المجال ضمن نظرياتهم السوسيولوجية ،ولكن نجد بودون يرى ان كل التحاليل السوسيولوجية تحتوي بشكل واضح او خفي على فكرة او مبدأ الفردانية .

اما الفرد بالنسبة لبودون :هو ذرة من التحليل المنطقي في رأيه فأن العنصر الاول لكل ظاهرة اجتماعية ،اي في هذا المنظور تحليل عقلانية الافراد ،اي انت الوجهة التي هي مجموعة من الافعال الفردية لأنشاء ظاهرة اجتماعية . ينظر: زهير بن جنات : الفردانية في سوسيولوجية ريمون بودون ،العمق النظري والمرتكزات المنهجية ،مجلة العلوم الانسانية ،٢٠٠٩.

٣ - خليل. فؤاد: المحتمع النظام البنية ،مصدر سابق ،ص١١٧.

٤ - صليبا .جميل :المعجم الفلسفي ،(بيروت- دار الكتب اللبناني)،ط٢/ ،١٩٨٢،ص١٤٠.

٥ - ديوي .جون :الفردية قديما وحديثا ،مصدر سابق ،ص٥١.

٦ - دومون .لويس :مقالات في الفردانية ،مصدر سابق ،ص٣٢-٤٠.

الجماعة)والتمييز (المطلق بين الذات والموضوع)[1]"ويمكن أن يشار اليها على أنها الخاصية التي تجعل الفرد مستقلاً عن جماعته وقادراً على تكوين وعيه الذاتي الخاص به"[2]،ويمكن الاشارة الى الفرد بحسب النوري، بوصفه أساس لهذه السمة، "بكونه حقيقية يقينية متفردة" [3].

وفي الغالب تكمن الفردانية في مقدرة الفرد على اكتشاف وتحقيق نفسه وذاته في المفهوم الانثروبولوجي والاجتماعي ،و تنطلق من السلوك المنبعث عن الذات المستقلة ،بمعنى أن الفرد غاية في ذاته. وقد انطلق يونغ (k .young)في وصفه الفردانية من" التوكيد قصداً على خصوصية مفترضة من نوع ما ،والسعي الى أبرازها دون التفات الى الاعتبارات والالتزامات التي يفرضها المجتمع على افراده"[4]، معتبراً أن التحقق الفردي(Single investigation)هو التحقيق الأفضل والاكمل للفضائل الاجتماعية بمعنى أن يصير المرء فرداً مستقلاً ،"وبمقدار ما تشتمل (الفرادة)على فرادتنا الداخلية التي لا تقارن ،وبنفس المقدار تنطوي أيضاً على أن يصير المرء هو نفسه ،ولعلنا نستطيع ترجمة ألتحقق ألفردي بالقول انه وعي المرء لنفسه،أو تحقيق المرء لذاته"[5] ،وأن ايلاء الأهمية للخصوصية للفردية يتيح له اداء اجتماعي أفضل مما لو كانت هذه الخصوصية مكبوحة أو مهمله ،وبذلك أشار الى أن التحقق الفردي الذي يصبح فيه الانسان ذلك الكائن المحدد المفرد بعيداً عن الانانية أي يحقق ذاتية طبيعية.

وقد نظر كوجيف(A. kojeve)[6] الى الفردانية بكونه لا تدل على "الخصوصية المغالية "أو الذاتية المتطرفة ،بل تتضمن الفردانية التوليف بين الامر الخصوصي (رغبة الفرد) من جهة والشأن الكوني (رغبة الجماعة) من جهة اخرى، توليفاً بديعاً"[7]،بمعنى أن الاعتراف بالأغيار مرهون

---

١ - سبيلا .محمد ،العالي .عبد السلام : الحداثة ، دفاتر فلسفية ،(الدار البيضاء –دار توبقال)،ذ٩٩٦،ص١٢ ،

٢ - منهايم. كارل :علم الاجتماع النظري .ت. احسان محمد الحسن ،(بغداد- دار الكتب للنشر)،١٩٩٣.ص١٠٧.

٣ - النوري .قيس :الأنثروبولوجيا النفسية ، (بغداد- دار الحكمة)، ١٩٩٠، ص ٢١٠.

٤ - غوستاف .يونغ :البنية النفسية عند الانسان ،ت، نهاد خياط ،(سوريا –دار الحوار)،١٩٩٤،ص١٥٦.

٥ - نفس المصدر ،ص١٥٥.

٦ - **الكسندر كوجيف**:وهو فيلسوف روسي الاصل ومن ابرز مفكري الحداثة ، ويطلق عليه فيلسوف الرغبة ،استطاع من خلال قراءاته لفينيومينولوجيا هيجل ،التي هي عبارة عن اختصار لمجمل الحلقات الدراسية المتضمنة الفلسفة الدينية ،الرياضيات ،والفيزياء الكلاسيكية والحديثة ،وتشكيل خيطاً مدهشاً من الملاحظات نستطيع ان نقرأ بين سطورها تفكيراً متكسراً ومتوزعاً ،ولكنه قوي وضمني ،بحيث يضل عرضة متهرباً من إظهار ذاته بالقياس مع موضوعه ،ومن خلال انطلاقته من الفينومينولوجيا الروح استهدف ابراز موضوعة الرغبة باعتبارها عنصراً مؤسسا للإنسان الوعي بالذات وبالتالي الحقيقة الانسانية والتاريخ الكوني.
اما الانسان عند كوجيف هو وعي بالذات ،وعي بواقعه ،وكرامته الانسانية ،وهذا الوعي يحصل في اللحظة التي يتلفظ فيها الانسان بكلمة "انا" . وفهم الانسان لا يأتي الامن خلال فهم اصل الانا المنكشف بواسطة الكلام .
فالإنسان كما يقول كوجيف لا يبلغ استقلاله الحق وحريته الاصيلة الا بعد تجاوزه او اجتيازه العبودية ،واجتيازه قلق الموت بالعمل المنجز لصالح الاخر الذي يجسد بالنسبة له هذا القلق ،بالعمل المحرر هو اذن بالضرورة عمل اجباري للعبد الذي يخدم سيداً جباراً مستحوذاً على كل سلطة واقعية . المصدر: www.google.lq ;look in website

بتحقيق صفة الفردانية التي لا تكتسب أهمية حقيقية انسانية ألاّأذا اعترف بها الاخرين واعترفت بهم . وبذلك فهي"مركب من عدة مفاهيم مرتبطة فيما بينها ،مثل الاستقلالية ،الحرية ،الحقوق ،والمساواة والعدالة ،والهوية التي تؤلف مجتمعة مفهوم الفردية كما عرفتها المجتمعات الحديثة"[1] وهذا المركب الذي يعطي الاولوية للفرد على الجماعة أو مجموعة الاشخاص ويعطي اولوية للمصالح والحرية الفردية واستبعاد النظريات والنماذج الكلية يمكننا القولأنها تقوم على صيغة أساسية مفادها أن كل التغيرات التي تطرأ على الظواهر الاجتماعية يجب أن تنبع من أشكال السلوك والبواعث الفردية .

وقد تبين للباحثة ان (الفردانية) تتشكل بحسب نمط المجتمعات على نوعين:

اولاً :أما أن تكون هي القيمة العليا وتكون السيادة والحرية الحقيقية والكاملة للفرد والمغالاة في تأكيد اهميته وهذا نجده في المجتمعات الغربية وفي الايديولوجيات الحديثة للمجتمعات المتطورة وتلك المجتمعات المرتبطة بنوع تقسيم العمل والتعقيد والتخصص ،والفرد في تلك المجتمعات يكون غير قابل للاختزال ولا يمكن اخضاعه بوصفه صاحب الارادة العليا والكينونة المستقلة بذاتها بعيدا عن ارتباطات الجماعة كما يميل الفرد ألى أضفاء جوهر فريد على نفسه بكونه كائن مستقل ، وبالتالي تكون صفة الفردانية متصدية للبنى و التراكيب الاجتماعية التي انتجت تصورات أشد أصولية لتعزز مكانة الفرد.

ثانياً: هناك مجتمعات تحدد القيمة بوصفها (كلاً) أي الجماعة التقليدية حيث يرى الفرد نفسه مشابها للأخرين وهو صورة طبق الاصل ونسخة مكررة عن شخصية القبيلة أو الجماعة او المجتمع الذي ينتمي اليه بأفكاره وأسلوب تصوره للمعيشة ونمط حياته، وتقدم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد ويذوب فيها الفرد لصالح الجماعة ووفقاً لذلك لا يكون الفرد ألاّ وعياً ناقصاً لفرديته نتيجة تحديات البنى الاجتماعية وافتقار الأفراد للتفكير للنقدي ، وهو ما يجعل من مصير الأفراد واقعاً وموضوعاً عسيراً على الفهم وهذا ما نجده واضحاً في المجتمعات التي تفضل النمط التقليدي أي المجتمعات الفيضية (Diffusely complexes).

---

[٧] - الشيخ. محمد : رهانات الحداثة ،مصدر سابق ،ص٨٤.

[١] - لالاند ، اندريه :موسوعة لالاند الفلسفية ،(بيروت-منشورات عويدات)،ط٢/ ، ٢٠٠١ ،ص٥٢٠.

وقد قدم أميل دوركهايم(E .Durkheim) في كتابه حول تقسيم العمل الاجتماعي (Division the social works) الى تقسيم المجتمعات الى قسمين :بدائية قديمة ، ومجتمعات كبيرة حديثة ،ثم رأى أن التضامن الالي يسود المجتمعات البدائية حيث الافراد يكونون متشابهين وقلة التمايز فيما بينهم ويكون التخصص بينهم ضعيفاً ،فضلاًعن بساطة المعيشة التي تجعل الافراد مندمجين في المجموعة أو الجماعة بفضل قيم ومعايير محددة تفرض نفسها بوضوح ،أي أن الجماعة متوحدة ومتشابهة الى حد كبير ،أما التضامن العضوي فيسود في المجتمعات الحديثة حيث تقسيم العملوالتخصص المهني والتمايز والفروقات والاستقلالية ،فالتضامن يكون اذن ذو نمط عضوي "لكن المشكلة الاساس هنا ان دوركهايم بعد هذه الملاحظات يعبر باستمرار عن مخاوفه حول تطورها في المجتمعات الصناعية وكانت فرضيته الرئيسية تقوم على أن تطور الفردية فيما يتعدى حد معيناً يتناقض مع التطور المتناسق للفرد والمجتمع" [١] .

أن شيوع معنى لماهية الفرد هي نتيجة تحقيق تاريخي لتطور الانظمة الاجتماعية وبداية الفعل البشري تجاه العالم ،حيث يعتقد دورتيه(F. Dortte)"أنها ترتبط بعصر النهضة ففي هذا العصر اجتاحت الانسان الرغبة في النظر الى العالم الحاضر واعتباراته و اصبح الفرد يتخذ زمام المبادرة في النظر لكل شيء حوله ،كما توفرت له القدرة على ازالة كل شيء يعيق طريقه[٢] وبالتالي أخذ الفرد يدرك قدره وأصبح من هذا الاساس محور ثقل العالم وهدف لكل شيء . بينما ينظر كيفين (R keveen) "الىأن تفكك المجتمع المغلق والمنظم في العصور الوسطى هو الاساس الحقيقي لظهور فكرة الفرد الحديث"[٣] ،بمعنى أن اندثار سلطة الجماعة التقليدية أو المجتمع المغلق يقابله بداية لفكرة انبثاق الفرد بالمعنى الحديث واستعلاء اهميته.

ويمثل عصر النهضة بداية الفرد الحديث ، حيث شهدت مقولة (الفرد)نموا وتطوراً سريعاً وبات من الصعب أن نستدل ونفهم النظرية الابستمولوجية المعاصرة والأفكار السياسية الحديثة الأ بوصفها انفتاح لأفق جديد أخذ على عاتقه تشكيل التعبير الفردي والمكانة الفردية [٤].

بمعنى آخر انه أصبحت للفرد ثقه وقناعه في ذاته وعقله وفكره ومسؤوليته ورضاه بفعله وخياله أذ أصبحت لديه القدرةعلى الاختيار ولم يعد خاضعاً للتقليد ولا مسيراً من قبل الاخرين أو القوانين

---

[١] - ر.بودون وف.بوريكو :المعجم النقدي لعلم الاجتماع ،مصدر سابق ،ص٤١٦.

[٢] - الشيخ.محمد: رهانات الحداثة ،(بيروت-دار الهادي)،٢٠٠٧،ص١٢١.

[٣] -رايلي .كافيين :الغرب والعالم ،تاريخ العالم ،ت. عبد الوهاب المسيري(عالم المعرفة – الكويت) .١٩٨٦،ص٢١٤.

[٤] - كاظم. علاء جواد :الفرد والمصير ،مصدر سابق ،ص١٠٩.

المتبعة والمفروضة ،وأصبح يؤمن و يفكر بدءا من شيوع ضمير المتكلم "انا" هذه الأنا التي كانت في السابق مذعنة وغافلة ومغمورة في الجموع .

أن انبثاق الفردية كنمط مستقل جاء نتيجة تطورات اجتماعية واقتصادية وسياسية مكنت الفرد من تحقيق حريته واستقلاله وسيطرته على حياته.

وبذلك فالفردانية هي" الصفة التي تكشف عضو الجماعة وتظهره كعضو مميز محتفظ بشخصيته وبسلوكه المجرد من التقليد أو المحاكاة و عندما لا تكون استجابته للبيئة الاجتماعية حاصلة بطريقة أوتوماتيكية وانصياعيه ،عضو يشعر بنفسه ويرى فيها مركزاً للنشاط والاستجابة للمؤثرات الخارجية معبرا عن طبيعته الخاصة"[١].

أن تمسك الفرد بشخصيته جاء نتيجة تطورات وتغيرات صاغتها فلسفة الحداثة ويطلق هذا المصطلح بوجه عام على مسيرة المجتمعات الغربية، الذي "ادخل التقدم للعلوم والتكنولوجيا والى الحياة الاجتماعية عامل التغير المستمر الذي أدى الى انهـيار القيم الثقافية التقليدية"[٢] ، والحداثة تعني "ظهور الفردية والوعي الفردي المستقل والاهتمامات الخاصة بالقياس الى المجتمع التقليدي الذي يتميز بالطابع السحري والديني، الذي يبالغ في تقديس الانماط التقليدية"[٣]، وبالتالي اخذت هذه الفلسفة الحداثية تنظر للإنسان من حيث هو ارادة حرة عاقلة ومستقلة ،كما مكنت الانسان الفرد وجعلته فاعلا في العالم ، فهو كائن عاقل ذو ارادة غير مقيدة شأنه أن يتعامل في العالم ويتصرف وفق معنى يؤكد منزلته العليا ، مما ترتب على ذلك انحلال أو أستبدال الفكرة القديمة و التقليدية التي تحيل الانسان الفرد الى كائن غير ذات أهمية. وبالتالي هي "نتاج تطور اجتماعي ،وهي حقيقة أصيلة والمجتمع حقيقة مشتقة ،والفرد فيها يرتبط بأشكال اجتماعية خاصة على مستوى العقل والوعي والذات"[٤].

أما جون ديوي (J. Dewey)فيعرف الفردانية على "أنها طاقة وقدرة على التطور وأسلوب فريد للفعل في ومع عالم من الأشياءوالأشخاص"[٥]، وهي "حالة من حالات الوعي ، ونتيجة معرفية

---

١ - ماكيفر .ر.م ،بلج.شارلز هـ: المجتمع ، ت. علي احمد عيسى ،(القاهرة –النهضة المصرية)،ط2/ ،١٩٦١ ،ص١٠٦.

٢ - بومدين .بوزيد : الفكر العربي المعاصر واشكالية الحداثة ،(بيروت-الوحدة العربية)،ص١٩,٣١.

٣ - رشاد. عبد الغفار :التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية ،(بيروت –الابحاث العربية)،١٩٨٤ ،ص٢٨.

٤ - كاظم .علاء جواد :الفرد والمصير ،مصدر سابق ،ص٢٤.

٥ - ديوي .جون: الفردية قديما وحديثاً ، ت. خيري حماد ،(بيروت – دار مكتبة الحياة)،١٩٧٩ ،ص١٤٣.

وليست مرحلة تاريخية ،أنها من ظواهر التمدن ،حيث يصبح الانسان مسؤولا عن افعاله واختياراته"[1].

في الخلاصة فأن اغلب المصادر التي اطلعت عليها الباحثة تتفق ولو بشكل ضمني على التعاطي مع (الفردانية)بوصفها ايديولوجية ثقافية معرفية تنطلق من الفرد الانساني باعتباره الحقيقة الوجودية لكل شيء حوله ومن خلالها يشعر الفرد بأنه ذات فاعلة لها دورها في المجتمع كما يشعر بأنه قادر على تشكيل الواقع وتغير مصيره فضلاً عن أنها تتيح للفرد الحرية في اختيار معتقداته الدينية والفكرية وحرية التعبير والرأي بدون الخضوع لاعتباطات الجماعة وهيمنتها.

ثانياً :الجماعات التقليدية(Traditional groups)

تحمل كلمة (تقليد) في طياتها معنى تاريخيا وتتعلق بما هو متجذر في الماضي ، وهيأيضاً "حالة من التكرار و اعادة انتاج ما هو قائم"[2]والجماعات التقليدية هي " الجماعات المقيدة أو المحاصرة ،ولكنها في نفس الوقت تعمل على تحقيق قدر من الامن والطمأنينة لأعضائها، وذلك من خلال ما يتميزون به من علاقات أولية و مباشرة وجها لوجه داخل المجتمع المحدد، الأمر الذي أدى الى المحافظة على الكيان الثقافي المتميز لتلك الجماعات الاقليمية "[3]أن أهم صفة تتميز بها الجماعات التقليدية هي التوحد والترابط بين الأفراد، فالعلاقات بينهم قائمة على أساس التواصل ،ويتوحد الأفراد في ضل تلك الجماعات من خلال القيم والمعتقدات والممارسات المرتبطة بحياتهم ،كما تتميز تلك الجماعات بقدر كبير من البساطة فيما يتعلق بالوسائل والاساليب المستخدمة في حياتهم اليومية ، ولهذا تكون الحداثة متناقضة تماماً مع المعنى التقليدي واساليب الجماعات التقليدية التي تبالغ أو تغالي عادة في احترام وتعظيم الطرق والأصناف التقليدية التي توارثها الاباء والاجداد واعتادوا عليها منذ اجيال ،ولعل أفضل طريقة يسلكها الفرد أو تسلكها الجماعة هو النمط الذي رسمه الاباء والاجداد ،وما هو أصولي ليس سوى ما انبثق عن التراث وحفظ من الماضي[4] . ويمكن وصف الجماعات التقليدية من خلال "وظائف مجتمعية محددة خاصة بالإنتاج ،والتوزيع،والامن الاجتماعي، والانجاب التي تختلف عن وظائف المجتمعات الحديثة"[5]،يعتبر تماسك الجماعة من أهم مميزات الجماعات التقليدية حيث يتمسك الناس

[1] - مخادمة.سليمان خالد :الفكر العربي واشكالية الحداثة ،مجلة المنارة ،جامعة ال البيت ،العدد ٣ ايار ،١٩٩٩،ص١٩.
[2] - رشاد .عبد الغفار :التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية ،(بيروت –مؤسسة الابحاث العربية)،١٩٨٤،ص ٢٨.
[3] - أبراهيم .محمد عباس :الثقافات الفرعية ،دراسة انثروبولوجية للجماعات النوبية بمدينة الاسكندرية ،(القاهرة-دار المعرفة الجامعية)،٢٠٠٥،ص١٣٢.
[4] - ينظر في رشاد .عبد الغفار: التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية ،مصدر سابق ، ص٢٨.
[5] - لوتز ،جورج ،ليندر.وولف :البنى التقليدية في الحكم المحلي للتنمية المحلية ،٢٠٠٤، ص٤.

بفكرة مثالية تنعكس في احساسهم بالالتزام المتبادل داخل اطار الأسرة والجماعة من الأصحاب وتفضيلهم العام للانتماء الى جماعة صغيرة والرغبة في انتقاد أي فرد ينحرف عن السلوك المعتاد[١].

وتتميز الجماعات التقليدية من خلال وظائفها الاجتماعية والاقتصادية وحتى الدينية، تلك الوظائف التي تمتاز بالبساطة وعدم التعقيد وهذا ما يميزها عن وظائف المجتمعات الحديثة أو الصناعية ، كماأن السلوكيات والأنماط المتبعة داخل تلك الجماعات تكون مألوفة أو معروفة من قبل لأنها متأتية من الموروث التقليدي عن طريق الاباء والاجداد ، أي أنه سلوك خاضع للماضي ،حدث من قبل ولا يزال يحدث.

وقد نظر ايفرت هاجن(Everette Hagen)[٢]الى الجماعات التقليدية على أنها "مجتمعات ساكنة راكدة تعرف نظماً جامدة للمكانة الاجتماعية تحكمها علاقات تسلطية غير مبدعة وغير دافعة للتجديد وينعكس هذا على الافراد الذي يعيشون في هذه المجتمعات حيث يتصفون بعدم القدرة على التجديد وعلى ضبط وتحليل العالم الذي يعيشون فيه"[٣].

والجماعات التقليدية هي "مجموعة من الناس يشتركون في نفس الصفات والخصائص ،وتشكل نمطا فريدا واحداً نستطيع بواسطته تحديد هوية مجموعة من المجتمعات المميزة بوضوح عن تلك التي لا تمت بصلة الى هذا النمط "[٤]، وتتوحد الجماعات التقليدية من خلال المصالح المشتركة فضلا عن سيادة ثقافة شعبية ، وتعرف ايضا "بأنها وحدة اجتماعية تجمع بين أعضاءها مجموعة من المصالح المشتركة وتسود بينهم قيم عامة وشعور بالانتماء"[٥] ، وهذه الوحدة هي ايديولوجية ذات جذور عميقة في التاريخ ،تتميز بمضمون ثقافي ثابت ، بمعنى أنها جماعات ذات اتجاه محافظ لم يمسه التغير ، ولعل اهم ما يميز الجماعات التقليدية هو صلابة بنائها وقوة مؤسساتها وقوانينها، أما مكانة الفرد فيبدو وكأنه غير موجود بذاته فقيمتهتستمد من مكانه (العائلة أو

---

١ - استيتة .دلال ملحس: التغير الاجتماعي والثقافي ،(عمان –دار وائل للنشر)،٢٠٠٦،ص١٧٢.

٢-ايفرت هوجن : وهو احد السيوسيولوجيين المعاصرين لنظريات التنمية حيث ذهب الى ان التنمية تحدث نتيجة نمط الشخصية الذي يسود داخل المجتمع حيث يرى بأن المجتمع التقليدي تسيطر علية الشخصية التسلطية الغير اخلاقية ،اما المجتمع الحديث تسوده الشخصية الابداعية التي تتميز بنزعة ابداعية ابتكارية تميل نحو قبول التجديدات والتغيرات الى جانب الاهتمام بالاستطلاع الدائم والميل الشديد نحو اكتساب الثقة الجديدة والخبرات الايجابية . المصدر ،عبد الرحيم تمام ابو كريشه :دراسات في علم التنمية ،(القاهرة –المكتب الجامعي الحديث)،٢٠٠٣،ص٧٢-٧٣.

٣ - لوتز. جورج ، ليندر .وولف ، المصدر السابق ،ص١٥٠.

٤ - وف .ر بودون ،بوريكو : المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، مصدر سابق ،ص١٩٥.

٥ - هنا .غانم ،المجمي .: ندوة حول عناصر الحداثة في الفكر العربي المعاصر ، ١٩٩٨ ،ص٢٢١.

الطائفة أو الفئة) التي ينتمي اليها ،وهذا عكس ما نجده في المجتمعات الحديثة التي تتسم بشيوع فردانية تتخذ من الفرد أساس النظام ونواته الأساسية كما يتمتع بقدر كبير من الاستقلالية والحرية التي تشكل اساس هذه الاستقلالية .

ولا يخلو النمط التقليدي من مظاهر التوتر والاضطراب عندما يواجه أنماط حديثة ويرجع هذا الى استمرار الأنماط التقليدية التي تكون متأصلة عميقا في نفوس الأفراد خلال عملية التنشئة الاجتماعية، حيث يحدث ما يسمى بالتعارض بين ما هو قديم او متوارث وبين ما هو جديد، ومن ثم فأن أحداث التغيرات لا يتم بتلك السهولة من دون تغيير فيأنماط التنشئة السائدة في المجتمع ،وهكذا مع ازدياد واستمرار مجي الأنماط الحديثة يتوقع استمرار بعض الانماط التقليدية.

وتتميز الجماعات التقليدية "بنوع من العلاقات القوية المباشرة بين أعضائها ربما لدرجة خانقة من منظورنا الفردي الحديث، فكل فرد يعرف بقية اعضاء المجتمع معرفة وثيقة اذ تربطهم علاقات تراحميه تستند الى القرابة والجوار والانتماء المشترك والمصالح المعنوية المشتركة"[١].

لقد أشار ايفانز بريتشارد (E. brutsherd)" للبناء المجتمعي الذي هو علاقة بين جماعات وليس بين اشخاص فالجماعات المتماسكة كالعشيرة والقبيلة على سبيل المثال هي التي تدخل في تكوين البناء المجتمعي"[٢] ، مشيراً الى تلك الجماعات التي تعتبر جماعات بنائية لأنها استطاعتأن تتمسك بكيانها وهيكلها الاصلي على الرغم من كل التغيرات وهذا ما يمثل الجماعات التقليدية التي تحتفظ بكيانها وتكون ذات نمط مستقر ، كما تتميز تلك الجماعات باتجاه المحافظة على الهوية الثقافية وعلى التمسك بالبناء الثقافي التقليدي المتوارث أو المحافظة على ما هو سائد وعدم تفضيل الاتيان بالجديد لأن ذلك يمثل تحدياً ومبعث للأحتقار لدى أفراد الجماعات الأخرى .

كما يمكن أن تأتي بوصفها "جمع من الافراد تربط بينهم علاقات اجتماعية تتميز بالثبات والاستقرار يعتريها الضمير الجمعي،فالحرية الفردية تكاد تكون محدودة جدا في ضل تلك الجماعات ، كما تشترك في مجموعة من القيم والمعتقدات والدوافع والعادات كما أن أفرادها يجمعهم مصير مشترك واهداف ومصالح متشابهة" [٣] ،و تلك الجماعات محكومة بنسق متماثل من القيم الثابتة وتستند في تصوراتها عن نفسها و غيرها الى سلطات تكون ذاتآثر فاعل منها

١- المسيري ،عبد الوهاب :موسوعة اليهود واليهودية ، المجلد الاول ،ص ٣٩٠.

٢- خليل .فؤاد: المجتمع النظام البنية ،مصدر سابق ،ص١٩٦.

٣- مرعى .ابراهيم بيومي ،البغدادي. محمد حسين : الجماعات في الخدمة الاجتماعية ،(الاسكندرية – المكتب الجامعي)،ص٧٣.

وتتحكم بها روابط قبلية ، وطالما أنها تتمركز حول كل ما هو موروث من الاسلاف، ولم تتمكن من صياغة تصورات واضحة عن نفسها وعن الاخر لجات الى الماضي في نوع من الانكفاء باعتباره تمسكا بالأصالة، يمكن القول بأن تلك الجماعات هي جماعات مرجعية "حيث أن الفرد في ضل تلك المجتمعات يرجع أليها في تقويم سلوكه الاجتماعي لأنه يشترك معها في أهدافها واتجاهاتها ويتأثر بسلوك أفرادها ويخضع لضبطها الاجتماعي ومعاييرها"[١].

وتمتاز الجماعات التقليدية ببساطة المعيشة وشدة التماسك الاجتماعي أذا ما قورنت بالمجتمع الحديث ،وقلة التخصص في الوظيفة الاجتماعية كما تتميز بالاهتمام بالعلاقات القرابية ،وسيادة الضبط الاجتماعي المستند على حق الجماعة في الاعتماد على قوتها الذاتية .ولهذا فهي من "الجماعات ذات التنظيم الاجتماعي والنشاط الاقتصادي الذي يختلف كل الاختلاف عن تلك التنظيمات الاجتماعية الحديثة أو المتمدينة"[٢].

ومن أبرز خصائص الجماعات التقليدية هي التفاعل بين الاعضاء والتأثر بسلوك وأفكار الاعضاء الاخرين كما تجمعهم غايات مشتركة ومعايير ذاتية خاصة بسلوك أعضاء الجماعة فكل عضو سيتصرف وفق هذه المعايير كما أنه يتوقع من الاعضاء الاخرين الالتزام بها[٣].

ويقوم النظام في المجتمع التقليدي مقامة على أساس السن أو الجنس لذلك قد لا نستغرب أذا لم نجد سلطة حكومية أو هيئة رسمية تدير شؤون هذا المجتمع بل هناك جماعة مسنة (متقدمة بالسن) تمثل وجهاء المنطقة أو المجتمع تكاد تكون مسئوليتها التشاور في قضايا تلك الجماعات[٤] ، كما أن علاقات أعضائها قائمة على التفاهم والاتصال وتتميز بنوع معين من البناء والشكل العام ،" تنظمهم مجموعة من القواعد والقوانين والاعراف ، وتظهر بينهما نوع من التكامل فيانساق المعتقدات والقيم والاعراف والاخلاق والدين"[٥].

وغالباً ما يكون الافراد في الجماعات التقليدية متجانسين ثقافياً وفكرياً ويسلكون سلوكا واحداً وكأنهم فرداً واحداً بحيث لا يستطيع أحد أن يعبر عن "رغباته وحاجاته الخاصة لشدة الضوابط التي تمارس عليه من قبل المجتمع ،لذلك يمتثل امتثالا قوياً مع عناصر ثقافته وهذا بدوره يولد شعوراً قوياً بـ (المعية) او (النحن) وكنتيجة لهذا الشعور ينعزل هذا المجتمع عن بقية المجتمعات

---

١ - شفيق. محمد: الانسان والمجتمع ، (القاهرة-المكتب الجامعي لحديث)، ٢٠٠٥ ،ص١١.

٢ - محجوب .محمد عبدة : مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية ،(الكويت –وكالة المطبوعات)،ص ٣٠.

٣ - كولن فريزر واخرون: تقديم علم النفس الاجتماعي ،ت. فارس حلمي (عمان-دار المسيرة للنشر)، ٢٠١٠ ،ص٢٠٦.

٤ - ينظر في رهانات الحداثة ،مصدر سابق ،ص٢٣٤.

٥ - محجوب .محمد :مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية ،مصدر سابق ، ص٥٥.

الاخرى"[1]،ولا تملك تلك الجماعات افكار جديدة محدثة في حين تكون قراراتهم فورية في بعض الاحيان .

أن أهم مميزات الجماعات التقليدية هو الشعور بالانتماء للجماعة والارض ووجود الروابط من العادات والتقاليد التي تشد الأفراد الى بعضهم ،فواقع حياة الجماعات التقليدية يتميز بالترابط من الجوانب الاجتماعية والدينية ،فضلاً عن ذلك فأنهم لا يتبعون في حياتهم الأساليبوالانماط الحديثة وإنما يحتفظون بالأنماط المتوارثة سواء في نظام الزواج ، أوحل المشكلات وأساليب الضبط ، ويمثل الدين نظاماً اجتماعياً ضابطاً لسلوك ألفرد والجماعة ، كما أن تمسك الاجيال بتقليد الانماط المتوارثة قلما تغيره ،أما مكانة الفرد في تلك المجتمعات فتكون طبيعية متوارثة أي تقليدية ،ولا يستطيع الفرد أن يكون عالم مستقل خاص به وإنما يدخل في علاقات مع المجتمع من خلال أسرته أو عشيرته، "فالهم الثقافي للمجتمعات التقليدية كان ينصرف في المقام الاول الى انتاج افراد مندمجين في شبكة تنظيمهم الاجتماعي"[2]، (فالفرد) دائماً يكون جزء من كيان أكبر منه وليس لديه كيان مستقل حيث يفرض الواقع وعياً جمعياً بصور مختلفة وهذا نتيجة للنظام السائد في تلك المجتمعات ، أي أن النمط السائد داعم للجماعة على حساب الفرد ،و الفكر والانتاجات الثقافية يطغي عليها الجانب الديني ،كما تتميز تلك الجماعات بمحاولتها الحفاظ على المخزون التقليدي التراثي .

أن ثقافة التقليد في المجتمعات التقليدية تفرض نفسها كنموذج يتبعه الأفراد ، فثقافة الصهر واندماج الفرد وتقليلحريته ووعيه لا تتيح للفرد سوى سقف واطئ لحرية الاعتقاد لا يجوز معها المسالة والنقد والاحتجاج ،فعنصر القهر واضح تماماً في المجتمع التقليدي الذي يمتلك أبناءه ويلغي مبادرتهم لأنه يقولبهم في صيغ جامدة وثابتة[3].

ومن هنا نتوصل لتحديد مفهوم يجمع كل ما تم الاشارة اليه في التحديدات النظرية السابقة للجماعة التقليدية والتعامل معها بوصفها تجمع من البشر يسود بينهم تجانس وتفاعل وولاء عام، ويشتركون بنشاط مشترك وتتميز بالتضامن الاجتماعي الميكانيكي القائم على علاقات الاتفاق الجمعي بشأن القيم والاخلاق ، والملاحظة ألاهم أن الفرد يفقد أو يتنازل عند دخوله الجماعة التقليدية الكثير من صفاته الى

[1] - العمر .معن خليل :التفكك الاجتماعي ،(الاردن – دار الشروق)،٢٠٠٥،ص٣٧.

[2] - البرغثي. محمد حسن: الثقافة العربية والعولمة دراسة سوسيولوجية لآراء المثقفين العرب ،(بيروت- المؤسسة العربية للدراسات والنشر)،٢٠٠٧،ص١٠١.

[3] - حجازي مصطفى : التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور ،(الدار البيضاء –المركز الثقافي العربي)،ط١٠/ ،٢٠٠٧ ،ص١٠٤.

درجة أنه يفقد ماهيته وهويته الفردية أذا رغب بالبقاء بوئام وانسجام مع الجماعة ، بسبب من تعارض الماهيات أو الاسس التي تشكل كل منهما معاً .

وفي المجتمع العراقي يظهر لنا أن الجماعة التقليدية شبكة من العلاقات الاجتماعية تشد الافراد وتربطهم مع بعظهم حيث لا قيمة للفرد الا وسط جماعته ، فالفردفي مجتمعنا يذوب وسط الوجود العام للجماعات فضلاً عن انه يمثل نموذجاً لوعي جماعي اما بالنسبة لقراراته فتكون خاضعة لقرارات المجموع ،فالفرد في المجتمع العراقي خاضع للثقافة السائدة حيث أن العرف والعائلة والدين كلها عوامل تعمل على تشكيل الفرد ومنعه أن يكون ذاتاً مستقلة لذا فهو خاضع عرفياً ومعتقداتياً لأنماط العشيرة والعائلة والثقافة التي نشأ عليها.

الفـــــــصل الثانـــــي

المؤشـــــرات النظرية للظاهرة المدروسة

- **اولاً: مقالات في الفردانية**
  منمنظور انثروبولوجي للأيديولوجيا الحديثة (لويس دومون)
- **ثانياً: الشخص والزمن والسلوك في بالي (كيلفورد غيرتز)**
- **ثالثاً: الفردية قديماً وحديثاً(جون ديوي)**
- **خامساً: الأنسان ذو البعد الواحد (هربرت ماركوز)**

الفصل الثاني

المؤشرات النظرية لظاهرة الفردانية

اولاً: مقالات في الفردانيّة منظور انثروبولوجي للأيديولوجيا الحديثة

(لويس دومون)

Essais sur individualism une perspective anthropologique sur lideologie modern (L .Dumont)

تناول الانثروبولوجست الفرنسي دومونالمحاور الرئيسة لنمط الفردانية أو سماتها، بوصفها ظاهرة استثنائية في تاريخ الحضارات، متتبعاً مراحل ظهور الفردانية ابتداءاً من المسيحية دارساً مجموعة الافكار والقيم والشبكات الايديولوجية التي حاولت بلوغ العلاقات الأصولية التي تنطوي عليها الفردانية ،وقد بين بأن ثمة فردانية حديثة كانت حاضرة لدى أوائل المسيحين وفي العالم المحيط بهم ،ألاّأنها ليست الفردانية المألوفة لنا ،حيث أن الصورة القديمة والجديدة يكونان مفصولان بتحول من الجذرية والتعقيد[1].

ويرى(دومون) أن مشكلة أصول الفردانية تكمن في معرفة كيف تمكن نمط عام من المجتمعات "الفيضية" أن يتطور الى نمط جديد يناقض بصورة أساسية المفهوم المشترك ،وكيف أصبح هذا الانتقال ممكناًبين هاتين الأيديولوجيتين المتنافرتين ، وسعى الى اقامة مقارنة في الهند ،ذلك

[1] - دومون-لويس :مقالات في الفردانية ،منظور أنثروبولوجي للأيديولوجية الحديثة ،مصدر سابق ،ص٤١.

المجتمع الذي يتسم بسمتين متكاملتين :يفرض المجتمع على كل فرد ارتباطاً متبادلا وثيقاً يحل محل علاقات قسرية مع الفرد حيث تسمح مؤسسة الزهد في العالم بالاستقلال الكامل لكل من يختار هذا الطريقة ،ورأى في النصوص القديمة اصل المؤسسة :الانسان الذي يبحث عن الحقيقة العليا يهجر الحياة الاجتماعية وواجباتها لكي يكرس نفسه لتقدمه ولمصيره الخاص ،وحين ينظر وراءه الى العالم الاجتماعي يراه من مسافة كشيء لا واقع له ،ويختلط اكتشاف الذات في نظره بالتحرر من قيود الحياة على النحو الذي تعاش بموجبه في هذا العالم .لذلك اطلق دومون على هذا الزاهد الهندي الذي يكفي نفسه بنفسه تسمية (فردا خارج العالم) ،وبين قضية أساسية مفادها هي الهوة التي تفصل الزاهد عن العالم الاجتماعي والانسان في العالم مقترنة بالابتعاد ازاء العالم الاجتماعي كشرط للتطور الروحي الفردي [1] .

القضية الأخرى التي ناقشها دومون هي العلاقة بين الدولة والفرد اعتباراً من القرن الثالث عشر ، أذ تناول فيها دراسة المفهوم الحديث للفرد ،والتضاد الحاصل في النظريات السياسية بين (النظريات القديمة)وبعض (النظريات الحديثة) ، فالكل (الاجتماعي) والسياسي هو الأول ، في النظريات القديمة بينما ركزت النظريات الحديثةعلى حقوق الانسان الفردي وجعلها في المقدمة ، مقترحاً أو معتبراً أن الفردانية تقتضي في أن واحد مساواة وحرية ،وبذلك يمكن التمييز بين نظرية مساواتيه "ليبرالية" توحي بمساواة مثالية ، في الحقوق و الفرص ، بما يتلاءم مع الحرية القصوى لكل فرد وبين نظرية "اشتراكية " تريد أن تحقق المساواة في الوقائع بإلغاء الملكية الخاصة . وسعى الباحث الى أبراز أهمية الفرد بكونه هو المتصور او الكائن الحقيقي اعتبارا من اللحظة التي لم يعد للجماعة اي دور يذكر[2].

أما القضية الاخرى التي تناولها دومون فهي العلاقة بين الفكرة والفردية لدى هتلر (A. Hitler)،الذي تناول في كتابه (كفاحي) العنصرية بوصفها مذهبا ايجابياً ،كما حذر أيضاً من المثل العليا ومن الايديولوجيات بوصفها حاملة لمصالح خفية واعترافه بأن المذهب ضروري لإخضاع الجماهير الى القوة. وتأكيده على صراع الكل ضد الكل ،من أجل الحياة والسلطة والسيطرة، هذا الصراع في هذه الداروينية الاجتماعية الشديدة التعميمية بين معاصرينا من الأفراد البيولوجيين ،ومن الواضح ان هذا الصراع يستمر داخل المجموعة ،تلك اذن فردانية حاضرة على مستوى

[1]- المصدر نفسه ،ص٤٣.
[2]- المصدر نفسه ،ص ١٩٨.

التصورات الاشد اصولية ،تلك فردانية اصولية اقيمت في قلب مفهوم العالم لأدولف هتلر ،صامدة امام كل ضروب الهجوم وكل ضروب الشك التي استهدفت المساواتية والديمقراطية والايديولوجية بصورة عامة .والفردانية عند هتلر بوصفها جذر العرق [١]،ويطرح دومون في نهاية المبحث سؤاله: هل الدور الكبير الذي قامت به العنصرية ممكن ام أن المشكلة السياسية على العكس كانت عسيرة على الحل ومن ثم فقد فرضت العنصرية نفسها بالضرورة ،على الصعيد الفردي في رأى دومون بأن العنصرية المجردة أو النظرية تنتج عن التفكك الفرداني للتصور الفيضي لطائفة[٢] .

ثم تتبع بعد ذلك مارسيل موس (M. mous)، الذي أثار حقيقة أساسية مقاربة من دراستنا وهي بأنه في المجتمعات القديمة يثير الانتهاك غالباً رد فعل ديني .حيث أن العقاب هو كل جزاء يطال من يخرق الحق والعرف،وقد أشار أيضا بأنه لا توجد مجتمعات غير متحضرة ولكن توجد شعوب ذات حضارات مختلفة ،وسعى الباحث الى معرفة فكرة "الكل" لدى موس بتوجيهه لسؤال :ما الذي يميز "كلا "ولكن ما يؤكده هو أهمية الاختلافات والانفصالات ،ويقترب موس من تعريفه لـ"الكل" بوصفه بنية وتركيباً من "المشاركات "من حول واحد أو مجموعة من التعارضات[٣].

كما سعى دومون لمعرفة مكانة الفرد في طائفة الاهتمام الانثروبولوجي ،حيث وضح بأن الفرد في الحقيقة مستبعد بوصفه عنوان مرجع عام ،بمعنى أن الفرد الانساني بوصفه قيمة لا يظهر ألاّ في ايديولوجيات المجتمعات الحديثة ،متسائلاً: ما اذا كان يسعه التأكيد على أن المجتمعات الأبسط والأقل اتساعاً والتي كانت الموضوع الرئيسي للأنثروبولوجيا تتواجه مع المجتمعات السابقة ؟ما قاده الى نتيجة أو فرضية بأن هذه المجتمعات تعرف تباينات غير التباينات التي تعودنا عليها في أمكنة أخرى ،ويمكننا أن نقع في ما وراء أو خارج التضاد الفردانية/ الفيضية[٤].

أما النتيجة الاساسية التي توصل اليها دومون فهي أن الانسان بوصفه فرداً يقتضي الاعتراف له بحرية اختيار واسعة ،فبدلا من أن تصدر بعض القيم عن المجتمع ،ستصير محددة من قبل الفرد لاستخدامه الخاص ،بمعنى اخر ،يطلب الفرد بوصفه قيمة (اجتماعية) أن يوُكل اليه المجتمع

---

[١] - نفسه ،ص٢١٤.

[٢] - نفسه ،ص٢٢٣.

[٣] - دومون .لويس :المصدر نفسه ،ص٢٤٣.

[٤] - نفسه ،ص٢٧٢

جزءاً من قدرته على تثبيت القيم وحرية الضمير هي المثال النموذجي ،ووضح بأنه يجب أن تكون العلاقات بين البشر مترابطة لكي يكون الفاعل الفردي مستقلا و"متساويا"[1].

* * *

وفي نظرنا فان دراسة العالم لويس دومون (L .Dmont)(مقالات في الفردانية) ،تعتبر من أهم الدراسات التي طرحت بها افكار انثربولوجية عميقة وشروحات متعلقة بمكانة الفرد في المجتمعات الكلية الكبرى (التقليدية أو البدائية) محددا الهند أنموذجا ـ أذ تصاغ مكانة الفرد الهندوسي لا على أساس كونه كائناً مستقلاً معزولاً عن الجماعة التي ينتمي اليها ،بل هومرتبط منذ ولادته بنسيج من العلاقات وروابط التبعية بدءاً من (الاسرة ،العشيرة، الطبقة المغلقة،..الخ)،وهذا مشابه تماماً لتطرقنا لدراسة مكانة الفرد في المجتمعات الشرقية التقليدية ،التي تحيل الفرد الى كائن مهمش غير قادر على مواجهة العالم .

فضلا عن ذلك كان من بين الاستنتاجات الاساسية التي خلصنا اليها :

١–جاء تناوله للفردانية على وفق منظور التسلسل الزماني والمكاني لظهور الاديان ..

٢–طرح في دراسته هاته اشكالية التعارض ما بين الذات والموضوع المتكون نتيجة اختلاف الايديولوجيات التي تنادي بها كلاً منهما ،كما طرحت اساس التناقض القائم ما بين النظرية الكلية والفردية وهذا التصنيف يرتبط بعلاقة وثيقة بموضوع دراستنا القائمة على عرض التناقض ما بين الفردانية ونقيضتها الجماعات التقليدية من حيث اختلاف التصور لمكانة الفرد واهميته ودورة في المجــتمع.

٣–تأكيد دومون على القيمة اللامتناهية للفرد ،و في الوقت نفسه تأكيده على انحطاط وانخفاض قيمة العالم على النحو الذي هو عليه، فيما كانت دراستنا تتجه مع ما ذهب اليه دومون بتأكيده الاهمية المركزية لمكانة الفرد وبوصفه قيمة لا متناهية ولكنها مقترنة بالصعوبات التي يواجهها الفرد في ضل مجتمعاتنا التقليدية التي تحيله الى كائن مروض ذو قيمة اجتماعية وليست فردية.

٤– أشكال المرتبية المستندة الى الفيضية ،يمكن أن تختفي آذا ما اذا كان الفرد هو الكائن و المتصور الحقيقي، وبالتالي فان الاضفاء المباشر للسلطة لا يجد له تبرير على الفرد، فيما عرضت دراستنا الحالية الضغوطات التي يواجهها الافراد في المجتمع من خلال الدين أو السياسة أو

[1]- نفسه ، ص٢٣٩

منظومة الاعراف والتقاليد التي تحد من وجود الفرد وتجعل منه خاضع لمعايير الجماعة وبوقوعه لفريسة تحديات البنية الاجتماعية وضغوطاتها.

٥- كما تعتبر دراسة دومون كدليل ساعد دراستنا الحالية في انتاج تصورات عميقة قائمة على مقارنة الفرد المتحرر من القيمة وما بين الفرد الخاضع لها فهي كدراسة أنثروبولوجية وصفية تحليلية ساهمت في عرض الثقافة العامة للمجتمع وما يمكن أن تفرضه قيمها كما قدمت لنا أساسيات يمكن من خلالها تحليل وتفسير منظومة القيم والعلاقات الاجتماعية لأي مجتمع.

ثانياً: الشخص والزمن والسلوك في بالي

(كيلفورد غيرتز Clifford Geertz)

عرض كيلفورد غيرتز في بداية دراسته للشخص والزمن والسلوك في بالي أهمية الفكر الانساني بوصفه نشاط اجتماعي بأشكاله ووظائفه وتطبيقاته دارساً الاداة الثقافية التي يستخدمها أهل بالي لتعريف الأشخاص حيث بين بأن الافكار البالينية ليست متطورة بشكل فائق فحسب بل هي من منظور غربي تتميز بغرابة كافية لإظهار بعض العلاقات العامة بين نظم من التصورات الثقافية التي تبقى مخفية عنا عندما ننظر فقط الى الاطار المألوف الذي يجري ضمنه تعريف الأفراد من البشر واشباه البشر وتصنيفنا لهم ومعالجتهم ، وقد بين بأن الافكار البالينية تشير الى بعض الارتباطات الواضحة بين الطريقة التي يرى فيها الاشخاص في شعب من الشعوب أنفسهم وألاخرين والطريقة التي يختبرون فيه الزمن والنغمة العاطفية لحياتهم العاطفية الجماعية وهذه الارتباطات ليس لها مغزى لفهم المجتمع البالينى فحسب بل المجتمع البشري عامة[1].

لقد اتجه غيرتز في دراسته للأفكار البالينية الى تفهم طبيعة النظام الاجتماعي وأشكاله المؤسسية من خلال محاولة توضيح مفهومات التركيب الاجتماعي ومفهومات الثقافة مبيناً أن الافكار التي تتجسد في الرموز هي نواقل الفكر المادية غالباً ما تكون مراوغة وغامضة وملتوية الاّ انها قابلة للاكتشاف ، موضحاً أن الاّنسان يستخلص المعنى من الأحداث التي يعيشها ومن الانماط الثقافية والرموز المنظمة .وأن دراسة الثقافة التي هو المجموع الكلي المتراكم لأنماط كهذه هي دراسة

[1]- غيرتز.كيلفورد: تأويل الثقافات مقالات مختارة ،ت ،محمد عصفور، م بولس وهبة ،(بيروت –المنظمة العربية للترجمة)،٢٠٠٩،ص٦٧٥.

للأليات التي يستخدمها الافراد والمجموعات لإيجاد توجه لأنفسهم في عالم غامض غير شفاف[1].

وكان قد بين غيرتز بأن هناك مجموعة من الأنظمة التي من خلالها يجري تعريف الاشخاص(الافراد) في بالي أو التي تستخدم لتحديد هوية شخصاً مفرداً ومنها نظام الاسماء الشخصية مبيناً من خلال هذا النظام أن الاشخاص في بالي لا تبرز لهم أهمية لاحتساب وجودهم الانساني المتعلق بخصوصيتهم الفردية وبالحياة الذاتية ، فنظام الأسماء الشخصية يهمل الفرد الانساني وأهميته من خلال هذا النظام نستطيع فهم أفكار البالينيين عن ذاتية الشخص و بالنسبة لنظام أسماء ترتيب الولادة وضحه غيرتز بأنه بمثابة نظام يضمر أو يسحق أهمية الشخص بتعريف ذاتيته أو كيانه أي يختزل الأهمية الفردية، وكذلك بقية الانظمة الأخرى التي تختزل الوجود الفردي ، أو تبرز ذاتية الافراد بشرط أن يكون تفاعل الافراد في المجتمع وفق حاجة الحقل الاجتماعي ، أن تحليل غيرتز للأنظمة البالينية المختلفة يسعى الى توضيح اختزال مكانة الفردحيث الاليات التي يجري استخدامها في النظام الاجتماعي التي لا تجعل الهوية الفردية تحظى بالاهتمام ثقافياً والاعتراف بقدرة المجتمع لإخضاع الافراد[2].

كما أبان عنأهمية التأثير الثقافي للإشارة الى الاشخاص ، فمثلا المجتمع البالينى يشدد على أهمية الطبقات الانجابية فهي تصنف الاشخاص وتبرز أهميتهم ،فالأشخاص الذين لا يملكون ابناء تابعين لسواهم من الذين لديهم أبناء، الذين يعدون مواطنون فاعلون يشاركون في توجيه الحياة المجتمعية وبذلك تصبح "الحالة الانجابية" للرجل عنصراًأساسياً في تكوين هويته الاجتماعية في نظره وفي نظر الاخرين على حد سواء ،وبمعنى أخر أراد غيرتز توضيح بأن الاشخاص في بالي يسيرون وفق نمط تقليدي صارم فالشخص بدون ذرية أو اطفال يحملون اسمه لا يحظى بالاحترام والتقدير الكافي فهناك تراتبية اجتماعية فالأشخاص دون أولاد قاصرون وتابعون لسواهم أما اولئك الذين لديهم اولاد وأحفدة فقد اجتازوا نصف المسافة في طريقهم الى العودة الى عالم الالهة ، وفي الشكل التالي يظهر بها الطريقة التي يستخدمها أهل بالي في تقليد التنكية بالأبناء:

الجد الاعلى لجو

[1]- نفسه ،ص٦٧٨.

[2]- المصدر نفسه ،ص ٦٩٣.

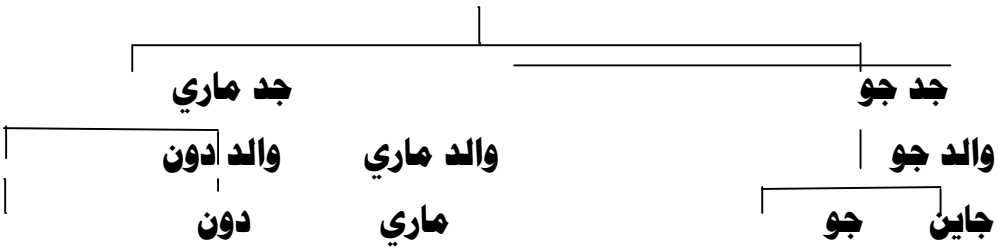

بين غيرتز ان المكانة العامة في بالي هي ميزة شخصية فهي مستقلة عن أي عوامل بنيوية اجتماعية ،فالمكانة العامة للشخص تتحدد عن طريق لقبه فمن معرفتك بلقب الشخص الذي تلتقيه باعتبار اللقب الذي تحمله أنت تعرف بالضبط الموقف الذي يجب أن تتخذه منه والسلوك الذي يجب أن تسلكه حيث ان نظام التهذيب والذوق الاجتماعي في بالي نظام راق ومتطور بدرجة كبيرة فهو يضبط المظاهر الخارجية للسلوك الاجتماعي للشخص في جميع مناحي الحياة اليومية تقريبا[١].

كما وضح نظرة البالينى الى الالهة مبيناً أن الشخص البالينى العادي لا يظهر اهتماما كبيراً في تفصيلات أفعال الالهة ولا بالحوافز التي تدفعهم أو شخصياتهم أو تواريخهم الفردية بل هو يستخدم الحيطة والاحترام والتهذيب ذاته في التعامل مع كبار السن والرؤساء ،باختصار ليس عالم الالهة ألاّ واحداً من الحياة العامة يسمو فوق الميادين الأخرى ،وهو مشبع بروحية مميزة تنشد تلك الميادين تجسدها في داخلها بحدود طاقتها على ذلك ،وتكمن اهتمامات هذا الميدان في المستوى الكوني وليس على المستويات السياسية أو الاقتصادية أو الاحتفالية (أي الانسانية) [٢].

وانتقل غيرتز موضحاً بعد ذلك شعور الناس بمرور الوقت من خلال وسائل عديدة ومتنوعة واحدى هذه الوسائل ملاحظة عملية تقدم الجسم بالسن حيث يراها المرء في نفسه وفي من حوله وتتلخص العملية بظهور النفس الفردية وتقدمها نحو النضوج وانحلالها ثم اختفائها ، فنظرة المرء لهذه العملية تؤثر وبعمق في كيفية نظرة الشخص البالينى الى الزمن لذلك فالشيء فأنأبرز الانماط الثقافية التي تتجسد في أفكار البالينين حيال الهوية الشخصية هو مقدار تصورهم لكل الاشخاص من حولهم فالناس في بالي يتدخلون بصورة مباشرة وأحياناً بعمق في حياة بعضهم بعض ، ولذلك فهم يوجهون أعمالهم باتجاه تشكيل العالم بالنسبة الى من سيأتون بعدهم ولكن ما يجري توكيده

[١] - غيرتز.كيلفورد: ، المصدر نفسه ،ص٧٠٦.
[٢]- نفسه ،ص٧٢٠.

رمزياً وتضخيمه ثقافياً ليست تلك الجوانب من وجودهم الشخصي الخاص الغير مكرر على مجريات الاحداث التاريخية بل هو تموضعهم المجتمعي ومكانهم المحدد ضمن نظام ما ورائي ثابت[١].

وربط البالينين تجرد مكونات الشخصية بمفهوم آخر يتعلق بالزمن وهو مفهوم يجرد الزمن من زمنيته وقد وجه غيرتز نظره خلال ذلك الى الروزنامات التصنيفية ودقة الوقت مبيناً بأن الافكار حيال الرزنامة هي بمثابة آلة ثقافية لتحديد الوحدات الزمنية فالباليينيين معتادون على عدم قياس مرور الزمن وعلى عدم التركيز على فرادة اللحظة العابرة وعدم قابلية استرجاعها بل هم معتادون على تمييز وتصنيف الأشكال النوعية التي يتمظهر فيها الزمن في التجربة البشرية ، وتجزئ الرزنامة الزمن الى وحدات محددة ليس بهدف عدها وجمعها بل بهدف وضعها وتمييز ملامحها لصياغة معناها الاجتماعي الفكري والديني[٢].

التفاعل الاجتماعي في بالي تطغي عليه صبغة المجهولية بالنسبة للأفراد حيث يجري الاهتمام والاحتفاء بالتفاعل الاجتماعي على حساب الفاعل الاجتماعي ، لذلك فاحتفالية التواصل الاجتماعي البالييني ليست اقرب الى محاولة تجهيل الاشخاص وتثبيت الزمن ، أن مسألة الاحتفالية في تحققها في الحياة اليومية ليست هاجساً مسيطراً بل أن الآداب الاجتماعية المتضمنة فيه تعتبر مسألة اهتمام روحي عميق ، أن العلاقات الاجتماعية في بالي هي لعبة رزينة ومسرحية مدروسة ويتجلى ذلك في حياة البالينين الطقوسية وحياتهم الفنية التي هي وفي جزء كبير منها صورة لحياتهم الاجتماعية ،فالتعامل اليومي يتميز بطابع طقوسي والنشاط الديني يتميز بطابع مدني ويمتزج الاثنان بحيث يصعب تبين أين ينتهي الاول وأين يبدأ الاخر وما الاثنان الاّ تعبيرات عن الصفة الثقافية البالينية الأشهر وهي عبقريتها الفنية وتنطوي تحت ذلك مظاهر مهرجانات المعابد المعقدة ،مسرحيات الاوبرا الجليلة المظهر ورقصات الباليه الدقيقة التوازن ومسرحيات خيال الظل وغيرها[٣]. ثم تتبع غيرتز قضية أخرى في بالي وهي التكامل الثقافي والنزاع الثقافي والتغير الثقافي موضحاً بأن التكامل الثقافي يشير الى انسجام في المعنى وعن التغير التراثي على أنه انعدام استقرار المعنى ،والنزاع الثقافي هو انعدام التطابق في المعنى ويتخلل ذلك كله المعنى المضمر بأن أيا من الانسجام أو انعدام الاستقرار أو انعدام التطابق هي صفات للمعنى

١- غيرتز.كيلفورد ،المصدر نفسه ،ص٧٢١.

٢-المصدر نفسه ،ص٧٢٤.

٣- المصدرالسابق ،ص ٧٣٨.

نفسه وقد بين بأن التفاعل الاحتفائي يقوي من الرؤية المعيارية للأخرين ،والرؤية المعيارية للأخرين تدعم رؤية المجتمع على انه حالة ثابتة وتصور المجتمع على هذا النحو يدعم تصوراً تصنيفياً للزمن ، ويصور مفهوم التكامل الثقافي على أنه حقيقة واقعية يتجسد في ترابط الانظمة فيما بينها ، ويكشف غيرتز في النهاية بأن التحليل الثقافي للشخص والزمن والسلوك في بالي ينتهي الى بحث عن الرموز ذات المغزى ، وعن صمامات الرموز ذات المغزى التي هي النواقل المادية للأدراك والعاطفة والفهم ، كما ينتهي الى تبين الجوانب المنتظمة في التجربة الانسانية المضمرة في تشكيلها[1].

أن أي تطور قد يصيب ادراكات البالينين حول مكونات الشخصية وتجاربهم حيال الزمن أو مفهوماتهم بخصوص اللياقة الاجتماعية والآدب سيكون حاملا في طياته احتمالات التغير بالنسبة للجزء الأكبر من الثقافة البالينية ، فأي تغيرّيحدث في مفهومات البالينين حيال نظرة أقل غفلية لبعضهم بعض لو طوروا أحساساً أكثر حركية بالزمن أو اسلوباً اقل تكلفية في التواصل الاجتماعي سيتغيرّ الكثير في الحياة البالينية وستؤدي تلك التغيرات ألى سياقات مختلفة لها دوراً حاسماً في تشكيل تلك الحياة أو أن ظهور زعيم سياسي مخبراً ومظهرا سيشكل نوعاً من التحدي لمفهومات البالينين في ما يتعلق بمكونات الشخصية ، فالشخصيات الكاريزمية ذات الحضور الأسر تكمن قوتها من عدم تأطرها ضمن الاصناف الثقافية التقليدية [2] .

* * *

اما أهم الاستنتاجات التي توصلت اليها الباحثة بشأن هذه الدراسة :

١– كان اتجاه غيرتز منصباً على تفهم الافكار البالينية من خلال فهم طبيعة النظم الاجتماعي واشكاله ،موضحاً أن الانسان يستخلص المعنى من الاحداث التي يعيشها من خلال الانماط الثقافية .

٢– جرى النظر الى الفرد في مجتمع بالي من خلال التصورات الثقافية أي من خلال الثقافة العامة، وهناك الكثير من اوجه الشبه التي ترد لموضوع دراستنا في هذا الشأن حيث أن الاشخاص في مجتمع بالي لا ينظر اليهم كذوات فردية خاصة وإنما كأفراد مرتبطين بنسيج من العلاقات التقليدية وهذا مشابه لواقع الفرد في مجتمعاتنا التقليدية حيث تضيع فيه قيمة الفرد الاساسية وتهمش منزلته نتيجة الارتباط في شبكات منسوجة عن طريق القيم والتقاليد .

---

[1]- نفسه ،ص٧٥٢.

[2]- المصدر نفسه ،ص٧٥٣.

٣- هناك نقاط كثيرة ترد في هذه الدراسة لموضوع دراستنا الحالية حيث مثلما يتم اجبار الفرد في مجتمع بالي للاندماج ضمن السياق الموضوعي كذلك هو الامر للفرد في مجتمعاتنا حيث ينظر اليه كجزء من كيان أكبر منه كما أن العالم الاجتماعي الموضوعي يحيل الفرد الى موضوع له وليس ككيان ذاتي فرداني .

٤- كما سعى غيرتز في دراسته التأويلية الى فهم طبيعة النظام الاجتماعي في مجتمع بالي انطلاقاً من تصورات الافراد وتمثيلاتهم الثقافية حول الوجود وحول علاقاتهم الاجتماعية بينما ركزت دراستنا على تحليل وتفسير التناقض القائم ما بين الفردانية والجماعات التقليدية وفق منضور انثروبولوجي .

٥- الفرد في بالي خاضع لنظام التسميات والالقاب فالأفراد في مجتمع بالي يسيرون وفق نمط تقليدي صارم فأهمية الفرد تحسب من خلال انتمائه للقب معين أو تنكية معينة وهنا يجري تجاهل الفرد بوصفه ذاتاً ،فالفرد يكون مغمور في ضل نظام جماعي مثلما هو الحال في مجتمعنا التقليدي حيث تتحدد مكانة الفرد باسمه ولقبه واولاده

ثالثاً: الفردية قديما وحديثاً Individualism old and new

(جون ديوي) John Dewey[١]

ناقش ديوي بدراسته مجموعة من القضايا الأساسية التي عرضت ظاهرة الفردانية ،فقد تناول على سبيل المثال القوى الاقتصادية بقوله :نحن نعيش وكأن القوى الاقتصادية هي التي تقرر نمو مؤسساتنا او تدهورها ،وكما لو أنها هي التي تقرر مصير الأفراد . وفي هذه المرحلة تصبح الحرية اصطلاحاً ممسوخاً ،ونصل نحن الى مرحلة تسيرنا فيها آلة صناعية ضخمة ،لذلك يصبح النظام الفعلي القائم كناية عن لائحة تسعيرية للقيم محددة تحديداً دقيقاً ،فتقاس قيمة الانسان بقدرته على الاحتفاظ بما هو عليه أو على أحراز السبق في سباق تنافسي لحركة المال ،وضمن نطاق بيوت ذوي الامكانات المحدودةأو الفقراء تستمر المقومات الشخصية للحياة العائلية كالزواج، والولادة ، وتربية الاطفال .ولكن ضرورات الحياة الواقعية هذه ليست من يقرر الاحتياجات المادية وطريقة الحصول عليها أنما تقررها التفصيلات الخارجية المتعلقة بمدى ما

[١] - جون ديوي: فيلسوف وعالم نفس امريكي يعتبر من اوائل المؤسسين للفلسفة البراكماتية ،ومن اشهر اعلام التربية الحديثة على المستوى العالمي . ارتبط اسمه بفلسفة التربية لأنه خاض في تحديد الغرض من التعليم وافاض في الحديث عن ربط النظريات بالواقع من غير الخضوع للنظام الواقع والتقاليد الموروثة مهما كانت عريقة ،فهو الاب الروحي للتربية التقديمية او التجريبية التي هي حركة نمت وتطورت من محاولات اصلاح التعليم الامريكي بين اواخر القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين وتعود جذورها الى فلاسفة عصر النهضة ،وتوكد نظرية التعليم التقدمي على استمرارية اعادة بناء الخبرة الحياتية وتضع تربية الطفل في مركز الاهتمام.. ديوي. جون: الفردية قديما وحديثاً ،ت. خيري حماد ،م. مروان الجابري ،(بيروت- المكتب العالمي)،١٩٧٩.

يحصل عليه رب العائلة من مال والفلسفة الصالحة لوضع كهذا ،هي التي تقوم بتنازع البقاء ،وبقاء الاصلح ، ويتناول من خلال ذلك ما يجري فعلياً للحياة العائلية وللحياة اليومية حيث ترتدي اوجه النشاط ثوباً علمانياً كاملا ،وانه ليس من المهم اختيار النواحي البارزة أو التافهة في التناقض بين الحياة الخارجية التي نعيشها وبين أفكارنا ومشاعرنا ،أو ما نسميه على الأقل بمعتقداتنا واحاسيسنا ،و هنا يطرح سؤال :ما العلة في هذا الانقسام والتناقض[١].

ثم تناول قضية أساسية أخرى وهي :دراسة قاعدية لأمريكا تطرق فيها الى حقيقة العيش في حضارة مالية ،وأن التنفيذ الفني والتكنولوجيا يسيطر عليها الاهتمام بالكسب الفردي الخاص و التنمية الضخمة التي أكد عليها النقاد الاوربيون ،بأنها طغت على الفردية وأغرقتها هي في الحقيقة ثمرة العصر الالي .ولاريب أن تأثيرها المباشر كان في السيطرة على أشكال معينة من الفردية ،وما دامتالفردية مقترنة بأرستقراطية من طراز تاريخي ،فأن امتداد العصر الالي ،سيكون في الظاهر معاديا للفردية في معانيها التقليدية في جميع انحاء العالم[٢] .

اما القضية الاخرى التي تناولها ديوي بالدراسة فهي (الفرد الضائع) هذا النوع من الضياع الذي اقترن بعملية نمو حضارة اتحادية تكتلية في مظهرها الخارجي أو الحضارة التي جعلت الفرد مغموراً ،ويقصد بالفرد الضائع الفرد المنفصل عن بواعث الولاء التي كانت في الماضي تشد الافراد بعضهم لبعض وتسندهم وتوجههم وتوحد نظرتهم الى الحياة باختفائهاأضحى الأفراد حائرين مرتبكين .وتوصل بالنتيجة الى أنه يصعب أن نجد حقبة في التاريخ كان فيها الأفراد مفتقرين الى مواد العقيدة الثابتة والراسخة والى أهداف العمل المقبولة كالحقبة التي نعيش فيها . وأن استقرار الفردية يعتمد على المواد المستقرة التي يرتبط بها الولاء بصورة وثيقة ،وبالتالي يتأرجح الافراد بين ماضٍ هو من الفراغ الفكري بحيث لا يؤمن الاستقرار ،وبين حاضر كثير الاكتظاظ مليء بالغموض والفوضى ،بحيث لا يمنح الاتزان أو التوجيه الى الفكر والاحاسيس ،وهذا على العكس من الفردية الثابتة المتكاملة التي يعرفها ، بأنها ثمرة علاقات اجتماعية محددة ووظائف معترف بها علانية .أما مأساة الفرد الضائع فلخصها ديوي بأنها تكمن بأن الافراد قد اضحوا اليوم في قبضة مجموعة واسعة من الارتباطات[٣].

---

[١] - ديوي. جون: الفردية قديماً وحديثاً ، مصدر سابق ،ص١٣

[٢] - ديوي ، جون : المصدر نفسه ،ص٥١

[٣] - نفسه ،ص٥١.

وبعد ذلك تطرق ديوي الى قضية أخرى وهي الفردية الجديدة ،وهي ليست مجرد مد جميع الافراد بسمات المبادأة الاقتصادية ،والفرصة ،والعزيمة والاقدام ،انما قضية تكوين طراز نفساني وروحي جديد ،وقد انطلق ديوي من فكرة أساسية وهي أن الفرد لا يستطيع البقاء فكرياً في فراغ ،واذا لم تكن آراؤه ومعتقداته الوظيفية التلقائية لحياة الجماعة التي يشترك فيها فأن في الامكان اقامة اجماع مصطنع بديل بالوسائل الآلية المصطنعة،فعند غياب العقلية التي تتجانس مع النظرية الاتحادية الاجتماعية الجديدة التي بدأت تظهر الى حيز الوجود ،تبذل محاولات يائسة لسد الفراغ بوسائل خارجية تحظى بالقبول المصطنعفالفردية الجديدة لا يمكن أن تتحقق بتعميم منافع الفردية الاقتصادية القديمة على مزيد من الاشخاص أو تطوير جديد للكرم والنوايا الحسنة ،ولكنها في الوقت نفسه تعبيرات مستمرة عن الطبيعة البشرية[1].

وأخيراً تناول ديوي قضيته وهي الفردية في الوقت الحاضر وحاول فيها الفصل بين فكرة الفرد الموروثة عن الماضي وبين حقائق وضع يسير باضطراد في طريق الاتحادية التكتلية ،وأكد أن الفردية ستصبح من جديد أمراً حيوياً متكامل عندما تخلق لنفسها اطاراً عن طريق الاهتمام بالميدان الذي اجبرت على أن تعيش فيه وتتطور ،وأكد ديوي بأن اليوم ليس هناك من نماذج أو صور تحمل طابع الديمومة ،ويمكن أن تقدم نموذج ثابتاً ومستقراً يمكن التسليم به ،كما لا توجد المواد التي يمكننا أن نصوغ منها أهدافاً نهائية وشاملة بل على العكس هناك تغيير دائم.

وفي النهاية أكد على نتيجة أساسية وهيأن الفردية منيعة لا تقهر ،ومن طبيعتها أن تفرض نفسها ،وتؤكد ذاتها والحركة الاولى في نقاهة فرد متكامل تسير وفقاً لذلك الفرد بالذات ، وتعود مناعة الفردية لأنها أسلوب متميز في الحساسية والانتخاب والاختيار والاستجابة والانتفاع من الاوضاع ،ويستحيل لهذا السبب وحده ،تطوير الفردية المتكاملة عن طريق أي نظام أو برنامج شامل ،فليس بوسع الفرد أن يصمم نيابة عن آخر كما ليس في وسعه أن يصمم لنفسه نظاماً فورياً الى الآبد[2].

* * *

لقد اعتمدت دراسة ديوي تصورات سوسيولوجية بحتة ونجحت بصورة واضحة في رصد ومراقبة هذه الظاهرة على وفق الآتي:

---

[1]- نفسه ،ص٨٣.

[2]- ديوي ، جون : المصدر نفسه ،ص١٥٣

- نشوء ظاهرة الفردانية من منظور تربوي سوسيولوجي ذي ابعاد واقعية فلسفية، وهو مختلف كثيرا عن تناول الباحثة لهذه الظاهرة فقد تناولتها من منظور انثروبولوجي .
- تناول الظاهرة فيالمجتمعات الحديثة (الرأسمالية)الغربية بينما تناولته الباحثة في المجتمعات التقليدية (الشرقية الريعية).
- تناول ديوي ظاهرة الفردية من منظور تطورها التاريخي وظهورها الحالي،وتناولت الباحثة باهتمام بالغ العلاقة بين الظاهرة بلا تاريخية ،وعلاقتها (العكسية)في نمو وتراجع الجماعات التقليدية .

خامساً:"الانسان ذو البعد الواحد "one-dimensional man""

(هربرت ماركيوز Herbert Marcuse)

في المجتمعات الحديثة التي حقق الانسان فيها استقلالا ذاتيا "والذاتية هنا تعني الاختيار الحر وقدرة الفرد على تجاوز الوضع الراهن أو تخطي المعطيات الواقعية"[1]، جعلته موضوعا للدراسة والأنشطة الفردية والأفكار ، بقدر ما تتطابق هذه الانشطة مع القواعد الجمعية في الفعل والإحساس والتفكير، ولكن بزوغ هذا النوع من الاستقلال الذاتي رافقه الكثير من مظاهر القلق والازمات، فمع ظهور المجتمعات الصناعية في مراحلها المتطورة ،و نشوب الحرب العالمية الثانية ،تدهورت أسس الفردانية الحديثة العهد[2]. ومع تطور الالة والتنظيم الصناعي في المجتمع الرأسمالي تعرض الفرد للتدهور ،بعد أن بدأت الآلة تسلب جهوده ، وأصبح المجتمع الرأسمالي يتطلب امكانيات تفوق قدرة العامل ،وبذلك اخذت الالة تتحكم في كامل الخطوات والانتقالات وباتت تزداد ثباتا واحكاما وهو ما حول العامل الى مجرد متحكم بها ،وفي تحليل هربرت ماركوز للمجتمع الصناعي الرأسمالي وضح "بأن هناك استغلالاً للإنسان فوفق مفهوم الهيمنة يتم استعباد الانسان في مجتمع التقنية والعقلانية حيث الانسان مستلب لصالح فيض انتاجي استهلاكي ووفقاًلهذا التحليل ركز ماركوز على النسق الثقافي والاعلامي ليوضح كيفية السيطرة على الانسان بحيث تغدو الديمقراطية التي تناد بها تلك المجتمعات وهماً استبدادياً"[3]،وعلى هذا الاساس فالمجتمع الصناعي يتسم بسمة اللاعقلانية بسبب هيمنته على العقل واستلابه لقدرة الذات على اتخاذ أي قرار وسلبه لجهوده واعتماده على المظاهر الاستهلاكية المادية القمعية التي اوهمت

[1] - جعفر .عبد الوهاب :البنيوية في الانثروبولوجيا وموقف سارتر منها ،(القاهرة – دار المعارف)،١٩٨٩،ص١٦٢.
[2] - ينظر في كاظم .علاء جواد: الفرد والمصير ،مصدر سابق ،ص٩٣.
[3] - ماركوز .هربرت: الانسان ذو البعد الواحد، ت جورج طرابيشي ،(بيروت- دار الآداب)،ط٣/ ، ١٩٨٨ ،ص١١٢.

الانسان بالحرية والديمقراطية حيث بين ماكوز "بأن أبرز مظاهر الفقدان تتمثل بإلغاء الفردية عبر الافراط في تقسيم العمل وتدمير المشروع الصغير أمام التضخم اللامتناهي لرؤوس الاموال الكبيرة [1]من هنااستنتجت الباحثة بأن المجتمع الصناعي الرأسمالي على الرغم وما تجري به من تطورات لا متناهية في مجال التكنولوجيا والتطور في رؤوس الاموال الاّأنه في الوقت نفسه استلب حرية الفرد فالمجتمع الصناعي التكنولوجي ذو نزعة كلية استبدادية سعى لتحقيق مصالح بعض الفئات البرجوازية دون مراعاة لفئات وطبقات المجتمع الأخرى فضلا عن ذلك خلقت تلك المجتمعات احتياجات وهمية للإنسان وصورت له الحرية في مقابل الازدهار المالي ولكن الحقيقة عكس ذلك تماماً فقد اضحى الفرد عاجزاً أمام الماكنات والآلات الكبيرة التي اخذت تسلب جهوده وتحيله الى كائن عاجزاً عن المواجهة يحيط به القلق والبؤس.

كتب " فيبلن(Th. Veblen)يفسر تلك الاشكالية معتبراً أن العملية التي تقوم بها آلة هي تنظيم صارم ثابت لذكاء المرء ، فهي تفكيرا دقيقا لا يتوقف ولكنه تفكير يخضع لمقاييس الدقة والكمية"، فضلا عن ذلك أن الفردانية التي عملتها الرأسمالية الصناعية كانت تنزف اثر ولادتها المشوهة في المجتمع الصناعي فتلك الانظمة أعطت للفرد الاستقلالية من جهة ولكنها من الجهة الاخرى جعلت من ظروف العمل لا تخدم الفرد لأنها غيرأنسانية ،وهو ما وضع الكثير من العراقيل أنتجتأفرادا قلقين يتسمون بذات السمات الصناعية منها التشرد و القلق[2]، وأصبحت هناك تنظيمات عملاقة لا يوجد داخلها سوى مكان ضئيل للمبادرة من جانب العضو الفرد.

يمكن القول بأن المجتمع الرأسمالي تكاسل عن خدمة الفرد وأخذ يرتهن ذاته من دون تلبية الحاجات الاساسية له أو إظهار طاقاته الابداعية ،أو تحديدًا لعلاقاته الاجتماعية التي تربطه مع الاخر، وبالتالي استنباط الهوية الخاصة له، لذلك يمكن القول بأن " أبرز سمة أصبح الفرد يمتلكها من الناحية الاقتصادية هي اللاأمنية (الافتقار الى الاطمئنان)"[3]أذ بات التوسع في الصناعات التكنولوجية بمثابة تدعيم لصفة عدم الاطمئنان وأصبحت الفردانية تتعرض للانهيار نتيجة التوسع في استخدام الآلة التي باتت تحل محل اليد العاملة وهو ماعزز مظاهر عدم الاطمئنان والقلق ،وعلى هذا الاساس أضحى الفرد عاجزا في ظل تحطم الامان التقليدي الذي كان

---

[1] - المصدر نفسه ،ص٢٥٤ .

[2] - ينظر في كاظم .علاء جواد :الفردانية في المجتمع التقليدي ،الحذور والتحديات ،دراسة في الانثروبولوجيا الحداثية ،مجلة الآداب جامعة بغداد ،العدد ١١١ ، ١٥اذار ، ٢٠١٥ ، ص٥٦١.

[3] - ديوي .جون :الفردية قديما وحديثا ،مصدر سابق ،ص٥٢.

ينعم به في ظل الأسرة والقرية أو الجماعة و" الفرد في المجتمع الرأسمالي الحديث كان متحرراً من شتى قيود العالم الوسيط ،متحررا من التزامات ولوائح الطوائف الحرفية والسلطات التقليدية ومن ثم حمايتها وأمانها"[1]، واستنادا لما تقدم يمكن القول أن فكرة الفرد لها تاريخها وجذورها كما أنها ترتبط بأشكال اجتماعية معينة.

أما صيغة الفرد في المجتمعات الحالية فقد وقعت تحت تراخي عوامل الاندماج و تنوع الأدوار الاجتماعية سواء في (المدرسة أو العمل أو الاسرة) أي اشتغاله بأكثر من دور في وقت واحد[2]. مما أجبره على الخضوع للمعايير الاجتماعية يمكن القول "أن الانسان الحديث فقد مقدرته على التجاوز وعلى نقد المجتمع واصبحت لديه مقدرة عالية على التكيف وقبول الامر الواقع والاذعان له"[3] ، و التبدل المستمر للأدوار يقابله اختلاف في السلوكيات ، فصراع الادوار هذا نتج بفعل التطورات والتغيرات الثقافية والحضارية لأن المهاجر الريفي اذا ما عاش مع الجماعات الريفية التي تشاكله في المدينة فأنه يواجه صراع الادوار بحكم تمسكه بعلاقات وثيقة مع هذه الجماعات من جهة وادائه للأدوار التي تتوقعها منه خصوصا الادوار القرابية ، ونتيجة لمساعيه لكي يحقق القبول والانتماء لتلك الجماعات يصبح موقعه هامشيا مع الرفض لتلك الجماعات المسيطرة ثقافيا"[4]، وهكذا فأن مفهوم الفرد الهامشي ينطبق "على حالات الجماعات العرقية المهاجرة التي تعيش في ثقافات مختلفة عن ثقافتها وتفتقر للقواسم القيمية والفكرية التي تسمح بتحقيق الانتماء للمجتمع الجديد" [5].

[1]- فروم .اريك :الهروب من الحرية ،ت. مجاهد عبد المنعم مجاهد ،(بيروت –المؤسسة العربية)،١٩٧٢،ص١٢٢.

[2]- ينظر في كاظم. علاء جواد :الفردانية في المجتمع التقليدي ،الحذور والتحديات ،دراسة في الأنثروبولوجيا الحداثية ،مصدر سابق ،ص٥٦٣.

[3] - المسيري. عبد الوهاب :موسوعة اليهود واليهودية ،المجلد الاول ،ص٢٦٩.

[4] - ينظر في النوري ، قيس : الانثروبولوجيا النفسية ،(بغداد- دار الحكمة) ،١٩٩٠،ص٣٣٣.

[5] - المصدر نفسه ، ص٣٣٤.

الفصـــــــل الثالث

في تفكيك البنى الاجتماعية : الفردانية في مواجهة الجماعات التقليدية

١- المبحث الاول :

الاسس الاجتماعية للفردانية

في مجتمع العراق القديم المجتمع السومري أنموذجاً

٢- المبحث الثاني:

الفردانية في مواجهة الجماعات التقليدية

٣-المبحث الثالث :

العراق والنفط والاستبداد ومستقبل الجماعات التقليدية

٤-المبحث الرابع :

نمط الانتاج الاسيوي :الانماط الاقتصادية واثرها في تباينات العلاقة بين الفردانية والجماعات التقليدية

الفصل الثالث

في تفكيك البنى الاجتماعية : الفردانية في مواجهة الجماعات التقليدية

تمهيد:

لان اثار المجتمع العراقي القديم مازالت تنبض في تفاصيل وحياة وشخصية العراقي الحديث ولا يمكن أن نفصل بين عراق قديم وجديد بل هنالك الى الان تدخل رهيب وشائك ومعقد بين مجتمع العراق امس واليوم لذا حاولت الباحثة في هذا الفصل معرفة الاسس الاجتماعية للفردانية في مجتمع العراق القديم وبالتحديد المجتمع السومري لنتتبع اصول هذه الظاهرة ومعرفة طبيعة الانظمة الاجتماعية وصورة الفرد فيها مع معرفة اثر القوانين التي تنظم حياة تلك المجتمعات بما فيها قوانين حكم الالهة وتسلط المعبد فضلاً عن عراقة التقاليد التي كانت سائدة مع انعكاسات طبيعة تلك الانظمة والتقاليد على مجتمع العراق الحديث .

المبحث الاول:الاسس الاجتماعية للفردانية

في مجتمع العراق القديمالمجتمع السومري انموذجاً

تتبع ظاهرة الفردانية ونقيضتها الفيضية (الجماعات التقليدية) في المجتمع السومري[1]القديم(Ancient Sumerian society) مسألة ضرورية،من شأنها أن تعرفنا على طبيعة الحياة السائدة في تلك الازمنة وفقاًلما تشتمل عليه جوانبها المختلفة من حيث طبيعة الانظمة

---

[1]- السومريون : فالسومريون هم احدى الجماعات المنحدرة من بعض الاقوام المحلية في وادي الرافدين في عصور ما قبل التاريخ البعيدة ، وانهم عرفوا باسمهم الخاص اي السومريين نسبة الى اسم الاقليم الذي استوطنوا فيه اخيراً في القسم الجنوبي من العراق[1] وقد تميز السومريين بأثوابهم المصنوعة من جلود الاغنام او الماعز[2]، فضلا عن اتخاذهم لجلود الغنم والصوف المعزول وكانت النساء يسدلن على اكتافهن اليسرى مازر على اجسامهن اما الرجال فكانوا يشدونها على اوساطهم ويتركون الجزء الاعلى من اجسامهم عارياً ثم علت اثواب الرجال مع تقدم الحضارة شيئاً فشيئاً حتى غطت جسمهم كله الى الرقبة [3]. المصدر : [ ]

[1]- سوسة .احمد: حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين ،(بغداد- دار الحرية) ، ١٩٨٠ ، ص١٤٣. (٢) ساغز ، هاري: عظمة بابل ، ت ، خالد اسعد عيسى ، احمد غسان سبانو ،(دمشق- دار رسلان)،٢٠٠٨،ص ٢٠٢. (٣)- ديورانت .ويل: قصة الحضارة –الجزء الاول حضارة الشرق الادنى ،سومر like to www. Al-olaf .com

الدينية السائدة وتحكم الدين (المعابد والكهنة) في مصير وحياة الناس ، فضلا عن طبيعة الحياة الاقتصادية وما تفرضه من ظروف تحتم على الفرد الانقياد والخضوع للجماعات الاجتماعية ،ودرجة تحكم الاساطير السومرية في حياة كل منهم وغيرها وقد تطرقنا الى أحد الشخصيات المؤثرة والهامة في المجتمع السومري وفي حضارة وادي الرافدين عامة وهو جلجامش .

١-الدين وسلطة تحكم المعبد

خضعأفراد المجتمع السومري كلياً لسلطة المعبد وقهره الديني والاجتماعي ، فالفرد لم يكن حراً مكتمل الشخصية يعي قدر نفسه نتيجة تسلط حكم المعبد فضلاً عن استغلال المصالح والأراضي فملكيتها لا تعود للمواطن وانما جميعها ملكاً للمعبد وبذلك كان الافراد يعيشون تحت سلطة المعبد غير امنين على أنفسهم أو مالهم ، وقد تركزت السلطة بيد شخص واحد يحكم البلاد ويسيرها وفقاًلما يريد فلا قيمة للإنسان في نظرهم فالملك بمثابة أله يخضع له جميع الناس وبدوره يقوم بتسييرهم وفقاًلرغباته، وما يؤيد تسلط الكهنة أو المعبد في المجتمع السومري على حياة الناس "هو العثور في الخرائب السومرية على لوح نقشت عليه بعض الصلوات وجاءت فيها هذه النذور الدينية الغريبة (أن الضأن فداء للحم الآدميين به افتدى الانسان حياته) وأثرى الكهنة من هذه القرابين حتى أصبحوا اكثر مالاً وأعظم قوة في المدن السومرية ، وحتى هم الحكام المتصرفين في معظم الشؤون"[١] .

اما مركز الحياة الثقافية السومرية فمتمركز في المدن ، المعبد في المدينة هو نواة حضارتها والمركز الرئيس فيها ، يقع في وسطها تحيط به الأسوار الضخمة التي تفصله عن باقي أجزائها[٢]،وتعتبر المعابد هي المالكة الكبرى لمعظم الأراضي مع أن بعض الملوك والملكات قد امتلكوا بعض الأراضي[٣] ،كما أن نفوذ المهاجرين الساميين مسؤول عن فكرة الملكية الخاصة للأراضي وحتى قبل مجيء الأسرة الاكدية وجدت عقود بيع للأراضي في المدن الشمالية وعدى عن استثناءات قليلة لهذه القاعدة فأن الملكية الخاصة للأراضي المروية نادرة جدا في سومر القديمة[٤] . اماأهل البلاد من

١-ديورانت .ويل: قصة الحضارة الجزء الاول-حضارة الشرق الادنى ، مصدر سابق ،ص١٦.

٢-برستر.جيمس هنري: انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم ، ت ، احمد فخري ، (القاهرة-مكتبة الانجلو المصرية)،ص١٦٤.

٣-اعتبر هذا عملا موجهاً ضد الالهة

٤- ساغر .هاري : عظمة بابل ، مصدر سابق ،ص١٨٣.

السومريين الاغنياء منهم والفقراء ينقسمون الى طبقات ومراتب كثيرة وتجارة الرقيق منتشرة بينهم وحقوق الملكية مقدسة لديهم[١].

وعلى الرغم من أن طبقة التجار كانت قوية ومتنفذوه أذ كانوا يسمون في بعض الأماكن "بـ الحكام" لكن المعابد بما لها من موارد عظيمة تمثل مركز الحياة التجارية اذ تهيمن على أراض كثيرة ولها تجارة واسعة كما كانت تقرض النقود ولكن اسعار الفائدة مرتفعةً[٢] وبذلك يمكن أن نقول بأن المعبد هو المالك لمعظم الاراضي وفكرة ما يسمى بالملكية الفردية أو الملكية الخاصة للأراضي تعتبر نادرة جداً وهي تحت تصرف ألمعبد أو الآلهة .

أما أهم طبقات السكان في المدن السومرية فهم الملاك الأحرار الذين يملكون الأراضي التي يعمل فيها ارقاؤهم،أو التجار الذين يملكون القوافل وهم يمثلون الطبقة المتوسطة ، في حين يمثل الموظفون والكهنة الطبقة الارستقراطية في المدينة[٣] والمدينة مع أراضيها مع جميع سكانها وطبقاتها هي ضيعة لإله المدينة أو الحاكم أو الملك الكاهن (ويعتبر كلكامش أحد هؤلاء)هو القهرمان أو الوكيل ، فقد خلقت الالهة هذا الانسان ليقوم بخدمتها ولهذا أصبح المواطنون الأحرار خداماً للإلهة[٤].ان الزام السومريين انفسهم باتباع القوانين جعل منهم خاضعين تماماً لسلطة وتحكم المعبد وأصبحت هذه القوانين قواعد تحدد سير حياتهم.

أما القوة العاملة فقد كانت تابعة للمعبد وهذه القوة هم المواطنين أنفسهم بمعنى لم يكن هناك أي طبقة مرفهة حيث كان كل انسان يعتبر عبداً في خدمة الالهة ولما كان جميع المواطنين هم عبيد ألاله لذا فهم جميعاً مجبرون على القيام بأعمال السخرة وعليهم الاشتراك في العمل في السدود والقنوات وبناء المعابد[٥]وعلى هذا الاساس فالمعبد كان مالك لجميع الاراضي فضلا عن أن آلهة المعبد هي المتحكمة في حياة الناس ومصائرهم .

أن خضوع الناس لحكم الإلهة ولتسلط المعبد يعود الى تحكم الحياة الدينية وأساطيرها في مظاهر الحياة اليومية فقد كانت"جذور الاساطير الدينية تتأصل في العقول ،ولم يكن الناس يترددون في

١- ديورانت ،ويل ، مصدر سابق ، ص ١٢.

٢- برستر.جيمس هنري: انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم ،مصدر سابق ،ص١٩٣.

٣- المصدر نفسه ،ص ١٧٠.

٤- ساغر.هاري: عظمة بابل ، المصدر نفسه ،ص١٨٢.

٥- المصدر نفسه ، ص١٨٨.

أن يؤدوا أغلى الاثمان لكي يطبقوا ما خطته أساطيرهم ومن حقنا أن نفترض بأن السومريين كانوا يؤمنون بالحياة الاخرة لأن الطعام والأدوات كانت تدفن مع الموتى في القبور"[1] .

ونجد أن المجتمع السومري قد كبل نفسه بقيود دينية فالإيمان الشامل بالأرواح والخوف منها واللجوء الى الكهان والخضوع لهم قد غرس فيهم خصوصية تتبعية و خضوع دائم لسلطة الكهان ، فضلا عن ذلك "انتشر بين السومريين عقيدة بأنه اذا مات انسان فأنه يحتاج في حياته الثانية أهل بيته فحرصوا على ان يضعوا معه ما يجنبه الحياة في العالم الاخر بدون خدم وحيوانات وقد رأينا في حضائر مقابر الامراء السومريين جثث الحرس والخدم من رجال ونساء والثيران ما زال مشدوداً عليها في المركبات قتلوها جميعاً لتلحق بسيدها ولتستمر في خدمته بعد الموت" [2] وهذا يدل على أن رفقاء الملك كانوا خاضعين تابعين له ليس في حياته فحسب وانما حتى بعد مماته كما ان مصير خدمة الملك وأتباعه مقرر سلفاً من قبل الالهة حيث نجد أن طرائق التفكير في المجتمع السومري اتسمت بالخضوع لإرادة قوة عليا قد تكون للكهان أو الالهة وبالتالي هذه القوة هي التي تحدد المصير الخاص للفرد .

وتفرض عراقة التقاليد في المجتمع السومري التزامات كثيرة ومنها "الالتزامات الدينية التي تفرض على كل واحد منهم بأن لا يقترب من الالهة الاّ بعد حلاقته للرأس بالموس مع حلاقة اللحية والشوارب"[3] وبذلك فقوة التقاليد كانت تخضع كل مواطن لمجموعة من القوانين والقواعد التي من خلالها تتحكم بتصرفاته وتفرض عليه عادات بمرور الوقت تصبح متأصلة في طبيعته وبالتالي تجعل منه خاضع غير قادر الاّ على الطاعة . و هناك بعض التقاليد الراسخة في ذهن الناس في المجتمع السومري والتي تعد بمثابة تقليد متبع لا يمكن الخروج عليه ومنها تقديس "يوم السبت حيث كان محظورا على الناس أن يطبخوا في يوم السبت او أن يغيروا ثيابهم او يقدموا ضحايا او قرابين ،كما كان محظورا على الملك أن يخطب في الشعب أو أن يقوم بأي واجب عسكري أو البت في أي مسالة دينية "[4] وهذا ما يؤكد تصوراتنا عن سيادة الطاعة العمياء وحكم الجماعات التقليدية وخاصة الجماعات الدينية والمتنفذة التي تركت اثراً كبيراً في نمو الفردانية في المجتمع العراقي السومري القديم .

---

[1] - ديورانت.ويل: قصة الحضارة الجزء الاول –حضارة الشرق الادنى، مصدر سابق ،ص ١٦.

[2] - برستر.جيمس هنري: انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم ، مصدر سابق ،ص ١٦٨.

[3] - فتوحي. عامر حنا: الكلديون /الكلدان منذ الزمان ، بحث في الهوية القومية الكلدية /الكلدانية ، ط /٢ ، ٢٠٠٧ ،ص٢٤٦.

[4] - المصدر نفسه ،ص٢٤٦.

٢- الحياة الاقتصادية:

وفيما يخص الحياة الاقتصادية في بلاد سومر فقد كان الشكل المميز الذي نما فيه المجتمع السومري منذ اوائل الالف الثالث قبل الميلاد هو المدينة السومرية المسورة في وسط مدينة صغيرة فضلاً عن بعض القرى الريفية التابعة لها، ويمكن التأكيد أن أساس المدينة السومرية كان زراعياً وليس صناعياً وأهم سمتين بارزتين في المدينة السومرية هي نظام الري ومعبدها الرئيسي[١] فكان الناس في العهد السومري يتخذونمن الزراعة كمصدر لمعيشتهم حيث الزراعة وسيلة لإنتاج الجماعات وليست افراد أذأن الاعمال الزراعية كانت تحتاج الى مجموعات من الافراد متحدين ومنساقين لقوانين محددة "وكانت تلك الأعمال التي فرضت على أولئك السكان الاوائل في سومر لا تنجزألاّ بوجود وحدات بشرية كبيرة يعمل جميع أفرادها في مجهودات مشتركة متعاونة فلا يمكن أن تتم هذه النتائج الباهرة عن طريق مجهودات العائلات المنفردة التي تسكن في قرى صغيرة في المستنقعات"[٢] .

ولما كان المجتمع السومري يعتمد في الاساس على الزراعة باعتبارها الثروة التي يستطيع السكان العيش من خلالها فكان من الطبيعي ان تتواجدمجموعات أو جماعات لإرواء الأراضي الزراعية أو العمل فيها سواء في تحصيل المنتوج أو زراعة الأرض لأن هذه العمليات تحتاج أيادي عاملة زراعية كثيرة.

وكان يعتقد حتى وقت قريب أن المعبد في اوائل الحقبة السومرية يملك جميع أراض دولة المدينة ولكن فيما بعد تبين أن حصة المعبد ربما لا تتجاوز ثمن المجموع وما عدا ذلك الجزء تعود ملكيته لأبناء الطبقة الحاكمة أو فئة النبلاء الذين سيأتون الى الحكم[٣]وقد يصبح للأفراد حصة في الأراضي الزراعية نظير خدماتهم في المعبد وأملاكه ،وتؤخذ من املاك الآلهةأي من الأراضي التي تعود ملكيتها للمعبد ويتحدد حجم الارض التي يستلمها الفرد بحسب حالته الاجتماعية[٤].

---

[١]- ساغر ،هاري.و.ف: الحياة اليومية في العراق القديم (بلاد بابل واشور) ،ت ، كاظم سعد الدين ،(بغداد- دار المأمون) ٢٠١٠ ، ،ص٣٤.

[٢]- المصدر نفسه ،ص١٧٨.

[٣]-المصدر نفسه ، ص٣٦

[٤]-نفسه ، ص١٨٣

وعلى هذا الأساس يمكننا القول أن الصيغة الجماعية في بلاد الرافدين (سومر)هي الصيغةالسائدة فالناس كانت تعيش في مجموعات متحدة وتخضع بشكل أوآخر لإدارة المعابد أو لتسلط الكهنة ، وفي تتبعنا لأحوال هذا المجتمع من حيث أنظمته الاقتصادية والدينية نجده أقرب الى المجتمع الفيضي ذي النمط التقليدي منه الى المجتمع الفرداني .

أن أتباع افراد المجتمع السومري لأنماط متماثلة سواء ما يخص الملبس أو الاعتقادات بالعقائد الدينية والايمان بسيطرة الخرافات على حياة الناس فضلاً عن الخضوع لتسلط المعبد يجعل منهم أفراد متماثلين في الأفكار والتصورات وبالتالي سيادة النزعة الجماعية حيث أن التشابه في أنماط اللبس وتقديس الملوك وعبادتهم والخضوع المطلق لتطبيق القوانين في تلك الفترة مما يثبت عدم معرفة المجتمعبالاتجاه الفردي وسيادة التنظيمات الجماعية فضلاً عن أن عدم التمرد على القوانين والانصياع لها يثبت بأن المجتمع السومري كان ذو نزعة جماعية وتعتبر من أهم الخصائص المميزة له والتي تسيطر على نظم وانساق تلك الثقافة (السومرية)، حيث الاساليب التي يطبقها ابناء المجتمع السومري ماهي الاّ انعكاس للاتجاهات والقيم التي كانت سائدة في ثقافة ذلك المجتمع .

٣-الفرد وبدايات الخروج على الثقافة السائدة

جلجامش والخلود انموذجاً

من المتفق عليه أن جلجامش(GI-IL-GA-MASH)عاش في جنوب بلاد الرافدين وكان ملكاً على مدينة اوروك (الوركاء)في حدود عام(٢٦٠٠) قبل الميلاد او قبل ذلك بقليل أي أنه احد ملوك دويلات المدن التي قامت في بلاد الرافدين خلال فجر عصر السلالات[١].وقد كان لملحمة جلجامش أو ما تسمى(أوديسا العراق) أهمية كبيرة نظراً لما جسدته موضوعاتها من قضايا إنسانية لا سيما وقوفها على قضية الموت والبرهنة على حتميته "والواقع أن هذه الظاهرة المتكررة والمعادة رغم كونها تبدو من البديهيات لدى العقل الواعي والتفكير المنطقي الاّ انها لا تزال لغزاً محيراً بالنسبة لأحاسيس الفرد ورغباته وغرائزه الحياتية تأخذ بلب الفرد وهي موضع حيرة في قرارة

[١] - حنون. نائل: ملحمة جلجامش ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الأكدي ،(دمشق-دار الخريف للنشر)،٢٠٠٠٦، ص١٥.

كل نفس بشرية أنها تتمثل على هيئة صراع بين ارادة الانسان بتشبثها بالحياة وبين تلك الحقيقة البديهية بالنسبة للعقل والمنطق"[1].

وما نود الاشارة اليه أن ملحمة جلجامش أكدت على حالتين في خلود البشرية أولها "متمثل بتقديم الاعمال الخارقة في الاهمية والأخرى في معالجتها لقضايا انسانية كبيرةكالحياة والموت وما بعد الموت ومسألة الخلود ، وقد جسدت الملحمة ببراعة الصراع الازلي بين الموت والزوال المقدرين بين ارادة الانسان المغلوبة والمقهورة في محاولتها التشبث بالوجود فهي تمثل التراجيديا الانسانية الازلية المتكررة، فضلا عن الخلود المعنوي الذي يتم بتقديم الأعمال المفيدة للفرد والمجتمع[2].

ولذلك كانت الملحمة(Epic) على درجة عالية من الاهمية لأن بطلها (جلجامش) استطاع أن يترك بصماته على مساحة واسعة من تاريخ حضارة عريقة كحضارة وادي الرافدين لا بل أن تأثير أحداثها ومواقفها وما تضمنته معانيها المختلفة تركت آثراً في عقول ابناء الحضارات القديمة والحديثة على السواء حيث "أثرت هذه الملحمة في آداب الامم القديمة وملاحمها بطرق غير مباشرة والبطل جلجامش انتقل اسمه الى معظم ادأب الامم القديمة أو أن اعماله نسبت الى ابطال الامم الاخرى مثل هرقل والاسكندر ذي القرنين والبطل اوديسوس في الاوديسة"[3] وعلى هذا الاساس نجد ان جسامة تأثيرها سواء كانت على الامم القديمة او الامم الحديثة واضحة حيث انها تركت اثراً كبيراً في عقليات الافراد على مختلف العصور ولا تزال الدراسات عنها مستمرة الى هذا التاريخ.

وقد عكست شخصية جلجامش الامكانات التي تتجسد في الذات البشرية من خلال الطموح والاصرار والقدرة المتجسدة بتخطي العقبات ومواجهة الصعاب والتعرف على أسرار الحياة واكتشاف طرق غير محددة بإمكانات الزمان والمكان فقد كان ساعياً لاكتشاف سر الخلود والتغلب على اللغز الذي حير العقل الانساني ،لغز الموت أو الفناء ، الموت الذي شغل الأنسان وتركه قلقاً أزاء هذا الواقع المرير فكان راغباً بتحرير النفس البشرية من العبثية والقلق رافضاً تقبل فكرة الموت والرحيل من العالم فهو بالتالي باحث عن الخلود بالمعنى الشمولي للنفس البشرية يقابلها الرغبة

[1] - باقر ، طه: ملحمة جلجامش ، ب ،ت ، ،ص٩.

[2] - باقر طه : ملحمة جلجامش ،المصدر نفسه ، ص٩-٣٥.

[3] - المصدر نفسه ،ص ١٠.

في تخطي المحدود والسمو بإمكانات الذات والتغلب على قلق الموت الذي يحيط بالنفس ،وقد ورد في اللوح العاشر من الملحمة خطاباً لجلجامش يحاوره أحد الشخصيات بقوله[1]:

الى أين تمضي يا جلجامش ؟

والى أين تسعى بك قدماك؟

أن الحياة الابدية التي تبحث عنها لن تجدها؟

يجيب جلجامش

سأعبر البحار وأجوب البرية ؟

واسند الى باطن الارض رأسي ؟

لا.. دع عيني تحدقان الى الشمس ؟

حتى يبصر الضياء عيني؟

أن ما نجده في حديث جلجامش هو اصراره وتحديه على المواجهة وعلى البحث الدؤوب عن الخلود بكل الوسائل الممكنة متخطياً الصعاب ومدرك في نفسه قدراته الذاتية للتغلب على العقبات وعلى الرغم من ذلك لم يحظى جلجامش بتحقيق هدفه المنشود(الخلود) "وأدرك من خلال معاناته الشخصية الطويلة أن خلود الانسان يتجسد بالأعمال العظيمة التي يقوم بها"[2] ومن المفارقات التاريخية الفريدة أن هذا الانسان الذي اقترن اسمه بالبحث عن الخلود والخلاص من مواجهة الموت والاخفاق في بحثه العقيم ذاك قد حظى بخلود فاق ما كان مرةً قانعاً به من خلود بديل عن الخلود المادي أي خلود الذكر"[3] .

وما نود الإشارة اليه هنا أن الإرادة الفردية القوية هي التي تدفع بصاحبها الى المضي لاكتشاف سبل وأفاق يمجد من خلالها الذات وهذا ما وجدناه في شخصية جلجامش الساعية لاكتشاف المسائل والقضايا الكبرى التي جعلت منه بطلاً يحتذى به وتخلد ذكراه فقد مثل قدرات الذات الفردية أفضل تمثيل بأعماله وقدراته واستغلاله لطاقته الذاتية كما كشفت بطولاته ومغامراته عن شخصية قيادية فردانية لا تخضع لما هو محدود، باحثة عن المطلق راغبة بتخطي الحواجز المتناهية من خلال المخاطرة بالحياة المقترنة بتوكيد الذات ،وهناك أبيات وردت في الملحمة تؤكد النزوع الفردية لجلجامش[4]:

من مثل جلجامش يقول "أنا الملك"؟

---

[1] - حنون.نائل :ملحمة كلكامش: مصدر سابق ،٢٠٠٦،ص٢٠٤.

[2] - مورتكات ،انطون: فنون سومر واكاد ، ت ، محمد وحيد خياطة ،(دمشق-العربي للطباعة والنشر)،١٩٨٨،ص٧٩-٨٠.

[3] - حنون.نائل: ملحمة جلجامش ،مصدر سابق ،ص١٨.

[4] - حنون نائل :ملحمة جلجامش : مصدر سابق.

أنا جوال العالم ،ناشد الحياة

أنا جلجامش ومن يتكلمون عنه

الذي تتداول البلاد اسمه باستمرار

لأقيم أنا لنفسي اسماً للأبد

لذا فهذه الملحمة وما جسدته موضوعاتها هي بمثابة نتاج ثقافي معرفي يستدل بها للسمو بإمكانات وطاقات الفرد الانساني وقدراته فضلاً عما عالجته من قضايا إنسانيةأكسبتها مكانة ثقافية ونفسية واجتماعية .

الفصل الثالث

المبحث الثاني : الفردانية في مواجهة الجماعات التقليدية

يعرف التكوين الاجتماعي (Social Configuration)على أنه "كيان اجتماعي موحد يشكل فيه نمط الانتاج للثروة المادية الاساس المحدد ، كما تكون فيه جميع مظاهر العلاقات الاجتماعية مندمجة، ويحوي التكوين على أنماط عديدة أحدهما هو السائد ويضفي صبغته على التكوين كله"[1]،فالنمط السائد في تكوين المجتمع العراقي هو التشكيل الجماعي، ويتميز مجتمعنا العراقي بوجود صيغ سائدة تكون هي الغالبة "فلم يكن هناك فلاح يزرع الاّ وهو فرد من افراد مشترك قروي ، ولم يكن هناك تاجر أو حرفي أو جندي أو كاتب أو اداري الى الخ.. الاّ وهو عضو في جماعة أو طائفة"[2]،وهذا مرتبط بالدرجة الاساس بطبيعة نظام المجتمع فضلاً عن أن اساس كل جماعة أو كل مجتمع تقليدي هي الأسرة فالفرد يمكن أن يكون فرداً مستقلاً او فرداً ضمن جماعة، ومن خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي تجعل من الطفل مدرك لما يحصل معه ومن خلال المواقف التي يتعلمها الطفل يتعرف على أهله واقرانه ويرتبط بهم ويجعلهم محوراً لكل شيء من حوله "وعندما يتعود أن يقول (نحن) لا مجرد (أنا) تكون هذه نقطة البداية في تنشئته الاجتماعية وتنشئ بداخله أيضاً مواقف موجهة نحو فئات كبيرة من الناس تؤيد حبه لعشيرته أو

[1] - سعد.احمد صادق: ست دراسات في النمط الاسيوي للانتاج ،(بيروت- دار الطليعة)،١٩٧٩ ،ص١٤٤.

[2] - المصدر نفسه ،ص١٥٤.

قبيلته أو طبقته الاجتماعية وهذا هو السبب الذي يجعل التعصب الاجتماعي عند الناس متأصلا فيهم ويؤدي الى أن يقاوموا بشدة كل تغير"[١].

وبذلك فهذه العملية وما يحدث فيها من تفاعلات مستمرة وعلاقات هي التي تنمي لدى الفرد خاصية التفكير بالأخر والارتباط معه أو حتى مع الجماعة حيث يدرك تشابه أهدافه وتفكيره معها لذا يصبح واحد من أعضائها نتيجة تفاعله الاجتماعي المرتبط بها ، أو بمعنى أخر أن مجرد مولده ضمن أسرة في مجتمع قائم على ارتباطات جماعية ينمي لديه حاجته المطلقة الى هذه الجماعة وهذا الارتباط ،" فظهور الاستعداد للحياة الاجتماعية ما هو الاّ جانب من جوانب نمو الاحساس بالنفس وبالشخصية فالطفل ليس مجرد مقلد للأساليب الاجتماعية التي يتبعها الكبار ولكنه من خلال قيامه بالتقليد تتكشف طبيعته الاجتماعية رويدًا رويداً "[٢] وعندما يشعر الطفل بنفسه يجد أن للأخرين نفوسٌ مميزة فضلا عن أن تفهم الطفل لنفسه لا يظهر ألاّ من خلال التناغم أو الانسجام المستمر مع الاخرين "وكون الاحساس بالنفس لا يظهر الاّ عند الشخص الذي يعيش في مجتمع ما حيث مبدأ الاّخذ والعطاء الذي تتميز به الحياة الجمعية قد تأيد بالأبحاث العلمية الحديثة "[٣].

أن مجتمعنا وتنشئتنا الاجتماعية هي التي تلبي أو تحتم على الفرد الاعتماد على الاخر أو الانتماء الى العشيرة "فالإنسان ينشأ في زمرة لابد أن تكون في أول الاّمر زمرة قريبة كالأسرة أو الاّقارب وبعد ذلك يصبح عضواً في زمرة اكثر اتساعاً كالجماعة المحلية والطبقة الاجتماعية وفي الوقت الذي يتعلم فيه كيف ينتمي الى أحدى الزمر يتعلم ايضاً كيف يبتعد عن زمرة أخرى"[٤] وعندما تقوى العلاقات والاّواصر بين الفرد وعشيرته يصبح من الصعب الانفصال عنها فضلاًعما توفره الجماعة من حماية للفرد يشتد معها الاحساس بالتماسك فيميل للذوبان فيها ، ويمكن القول بأن التهديد للذات والمصير يجعل من الفرد متحد مع الجماعة مما يحد من استقلاله الذاتي ويمنع بوادر نمو شخصية الفرد نفسه ،ولا يعود له هوية سوى الهوية الجماعية "لذا ترتفع درجة الذوبان في الجماعة عادة على المستوى الفردي بما يتناسب مع مستوى الاحساس بالضعف والعجز وانعدام القيمة"[٥] .

١- المصدر نفسه ،ص٥٥.

٢- ماكيفر. ر. م ، بيج. شارلز: المجتمع ، ت ، علي احمد عيسى ،(القاهرة-مكتبة النهضة المصرية)،ص٩٦.

٣- ماكيفر. ر. م ، بيج. شارلز ،المصدر نفسه ،ص ٩٨.

٤- ماركس ،كارل. انجلس ، فردريك: ماركس انجلس منتخبات ، مصدر سابق ،ص٧٣.

٥- حجازي ،مصطفى: التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور ، مصدر سابق ،ص١١٣.

و تسود داخل تلك الجماعات ظواهر الامتثال والطاعة والمجاراة،فتصور الفرد لنفسه لا يتعدى التصور التقليدي يمكن القول بأن الجماعة بالنسبة للفرد غير القادر على الاستقلال تعد مظهر من مظاهر الحماية ،فعلىالرغم مما تشكله من عقبات تحد من الحرية الفردية وترغمه على الانصياع لها الاّأنها تلعب دوراً نفسيا مهماً الى جانبضمان سلامته منأي خطر خارجي حيث" تساعد العناصر الضعيفة على مجابهة واقعها والتعويض عن مشاعر انعدام الامن من ناحية والهوان الذاتي من ناحية أخرى،فضلاً عن تقديم هوية أسرية لمن لا هوية مهنية أو علمية أو فردية له ومن عجز عن الحصول على مكانة مرموقة من خلال الانتماء الى المؤسسات الاجتماعية يفخر بمكانة ما في أسرته وضمن عشيرته"[1].

أن علاقة الفرد بثقافة مجتمعه علاقة وثيقة جداً وهذا ما أكده الانثروبولوجيين وأدركوه أدراكاً تاماً خلال دراستهم للشعوب البدائية ومن تلك الدراسات دراسة العلامة بيندكت(R.Penedict)التي لاحظت تأثير الثقافة في نفسيات الافراد من خلال دراستها الاسلوب (الديونيزياني)والاسلوب (الابوللونياني) وغيرها من الدراسات الانثروبولوجية الاّخرى التي أدرك الانثوبولوجيين من خلالها أن أي فهم ملم لشخصية الفرد أو للمركب الاجتماعي أو الثقافي الذي هو جزء منه يحتاج الى تحديد وتحليل دقيقا للعلاقة المتبادلة بين الجزء والكل واعتماد كل منهم على الاخر، وما نريد أن نبينه هنا بأن ثقافة الفرد نفسه مستمدة من طبيعة النظام الاجتماعي وبما أن طبيعة نظام مجتمعنا هو من النوع التابع والمقلد فقد انعكس ذلك على طبيعة العلاقات وبالتحديد العلاقات الأبوية فأحدى الخصائص أو المميزات الكبرى لمجتمعنا هو الهيمنة الاّبوية (البطريركية) حيث ينبثق مفهوم النظام الابوي أو "الهيمنة الأبوية كما عهدته (وتعهده)المجتمعات القديمة أو التقليدية السابقة لعصر الحداثة في بناه السياسية والاجتماعية والنفسية ، وما يميز هذا النظام هو ازدواجيته النظرية أنه يشير الى نظامين مترابطين لا الى نظام واحد ، النظام الابوي التقليدي أو القديم والنظام الابوي الجديد أو المستحدث"[2] وبذلك لا يمكن القول بان النظام القائم هو نظام حديث أو نظام قديم لأنه خليط متمازج بين الاثنين بين التراثي والمعاصر حيث نجد بان الشخص متمسك بالتقاليد وخاضع لها وأحيانا متوجه نحو الماضي ويأخذ بالعرف والتقاليد كعادة له وكمقياس للنظر الى الامور فضلاً عن تمسكه بالعديد من

[1] - حجازي .مصطفى ، المصدر نفسه ،ص١١٦.

[2] - شرابي. هشام : النظام الابوي واشكالية تخلف المجتمع العربي ، مصدر سابق ،ص١٥

الخرافات التي تحد احيانا من استقلاله وتطوره وغيرها ومن جهة أخرى نجده يأخذ بالأساليب العصرية السائدة من ملبس ومأكل وطرق مواصلات وبعض من الاّساليب الحديثة الاخرى لذا فالمجتمع الابوي المستحدث هو مجتمع هجين يجمع بين التبعية والتمسك بالماضي كـ أرث حضاري وبعض مظاهر الحداثة.

أما مكانة الاب فيمثل المركز الذي تنتظم حوله العائلة أذ تمثل ارادة الاّب مطلقة فعلى جميع افراد الاسرة طاعته ،أذ يتعرض الابن الى العقوبة حين يعصي اوامر والده وبذلك تنمي لدى الفرد خاصية الخضوع واطاعة الاوامر أذأن الذات الانانية (الابوية)المتحكمة لا هم لها الاّإبقاء سلطتها واخضاع الاّبناء لها.

"ويعاني المجتمع الأبوي المستحدث من الانفصام في الدرجة الاّولى ذلك أن حقيقته الخفية تقع مباشرة تحت مظهره الحديث ، فينشأ عنهما تنافر وتوتر وتناقض لذا فالمجتمعات الابوية وبغض النظر عن اختلافها في المظهر تتقاسم البنى العميقة نفسها الاّ وهي غياب التقليدية الاّصيلة وبالمقدار نفسه غياب الحداثة الحقة حيث يصعب الوقوع على فرد أو مؤسسة حديثين حقاً أو تقليدين حقاً"[1] فمكانة الفرد في المجتمع لا تظهر الاّ من خلال الجماعة أو من خلال ارتباطه بعشيرة او طائفه لذا فالفرد يكون تابعا غير مستقل وما المجتمع بكل تقاليده ونظمه السائدة ألاّ نظام يتصف بفرض سلطته على الافراد والفرد يعمل فيها مسيراً بإرادة الجماعة ، و عندما يلجأ الفرد ليستظل بالمؤسسات الاولية ليحمي نفسه فأنه سرعان ما يكتشف أن هذه المؤسسات جميعها تتبدى عن أشكال مماثلة من التسلط والقمع ولذلك فمهما كانت المظاهر الخارجية مادية– قانونية جمالية للعائلة الأبوية المستحدثة المعاصرة ومجتمعها حديثة فأن بناها الداخلية تبقى مجذرة في القيم الاّبوية وعلاقات القربى والعشيرة والطائفة والجماعة العرقية[2]

ولقد عرف المجتمع العراقي التحديث وعملياته المختلفة بعد الاحتلال ٩ نيسان عام ٢٠٠٣ واستدخال المظاهر أو التغيرات من الجانب المادي وشيوع نماذج مختلفة من اساليب الانتاج وكذلك عرف النظام الابوي المستحدث الذي "هو تشكيل اجتماعي مهدور طاقته وتعوزه مظاهر الحداثة ومتميز بطبيعته الانتقالية وضروب شتى من التخلف والتبعية وهذا كله متجسد في اقتصاده وبنية طبقاته وكذلك في تنظيمه السياسي والاجتماعي والثقافي"[3] .

---

[1] - شرابي. هشام : النظام الابوي واشكالية تخلف المجتمع العربي ،نفس المصدر ،ص٤١.

[2] - ينظر في شرابي ،هشام: المصدر نفسه ،ص ٢٥

[3] - نفسه ، ص٢٢

أما الحداثة(Modernity)فهي "رؤية جديدة للعالم مرتبطة بمنهجية عقلية مرهونة بزمانها ومكانها"[1] بمعنى أنها ترفض الجمود والانغلاق والتبعية وتتيح أسس الانفتاح والتفاعل واطلاق الحريات كما أنها تفسح المجال للتعبيرات الاجتماعية للقيام بدورها ، فضلا عن أنها تمكن الفرد من أطلاق طاقاته وتتيح له حرية الممارسة والمعتقد وتنمية الوعى الحر و المستقل وغيرها من الاهتمامات الخاصة الآخرى ، فضلا عن فكر الحداثة المرتبط بالحرية واعطاء مكانة متميزة للفرد ككائن مستقل نسبياً عن الجماعة مع ما يترتب عن ذلك من حقوق ومن حريات للفرد في أطار الدولة .

فمضامين الحداثة لا تنطبق على واقع مجتمعنا القائم على الاتباع والتقليد الذي مسه نوع من التحديث من خلال "عملية استجلاب التقنية والمخترعات الحديثة حيث توظف هذه التقنيات في الحياة الاجتماعية دون أحداث أي تغير عقلي أو ذهني للإنسان من الكون والعالم"[2] فهذه العملية مقتصرة على أستدخال الوسائل التكنولوجية والمظاهر العصرية بدون التبدل في بنية العقل وذهنيته وأساليب تفكيره لذا فالحداثة لا تنشئ او تتم وفقاً لمبدأ الصدفة أو كطفرة تاريخية وانما هي تحول في ابنية المجتمع وتطور اتجاهاته فضلا عن تنامي القدرة على النقد وامتلاك الوعي الثقافي لذا فمجتمعاتنا مقتصرة على الجانب المادي من الحداثة وبذلك فهي تعيش وفق منظومتين اجتماعيتين متنافرتين في أن واحد مجتمع تقليدي يمارس حياته وفق معايير وقيم تقليدية ومجتمع حداثي يعيش وفق احدث المقاييس العصرية دون أن يتمثل روح هذه الموازين أو المقاييس.

وعلى هذا الاساس فمفهوم الحداثة[3]الحقة لم يأخذ مكانه في بنية المجتمع أو بنية الحياة الاجتماعية في مجتمعنا ولذلك فأن الطابع الفردي أو النزعة الفردية لن تظهر في مجتمعنا مالم تكون هناك حداثة حقيقية قائمة على الاستقلال وحرية القيم الانسانية وحرية التصرفات أو الانتماءات ، فالفردانية تقاس بقدرة الفرد على الانفراد التام اي الحرية والاستقلالية سواء بأفعاله أو افكاره بغض النظر عن الاخرين او ردود افعالهم " حيث يحاول كل فرد أن يسلك سبيله دون

[1] - جرار. سمير احمد : التربية العربية ومأزق الثنائية المتوهمة الحداثة والتغريب ،الكويت ، ١٩٩٠ ، ص٦٣.

[2] - محفوظ. محمد: الاسلام والغرب وحوار المستقبل ،(الدار البيضاء-المركز الثقافي العربي)،١٩٩٨ ،ص٣٣.

[3] - في معرض التمييز بين الحداثة الغربية والحداثة العربية ،حيث ان الحداثة العربية عقيمة وباقية على مستوى الشعارات ، اما الحداثة الغربية كانت وليدة تطور تاريخي –اجتماعي لا يمكننا تجاوزه وبالتالي فالحداثة ليست شعارات واشكالا سياسية بل هي قبل ذلك كله صيرورة تاريخية اجتماعية يصل اليها المجتمع بعد حقبة تاريخية من العمل المتواصل والجهد المركز في هذا السبيل .المصدر : محمد محفوظ ، الاسلام والغرب وحوار المستقبل ،(الدار البيضاء-المركز الثقافي العربي)،١٩٩٨ ،ص٤٧.

ان يفكر في أقرانه او في أعمالهم "[1]، أما ما يحدث للتفاعل بين الجماعات حيث يسعى الناس لتحقيق اغراضهم متضامنين على اساس تعاوني ويسهم كل واحد منهم بطريقة ما على تحقيق أغراض الآخر .

ولذلك فبنية مجتمعاتنا محكومة بالجماعات التقليدية لأنها لم تبلغ درجة اعطاء الحرية الانسانية للفرد ولا قيم تأكيد دور الانسان في المجتمع بوصفه ذاتاً فاعلة قادرة على التغيير في ميادين المجتمع المختلفة ، وإنما استوعب التحديث واقتصر بمظاهره المادية وبقيت العادات والتقاليد القديمة والموروثة مترسخة في عقلية الجماعات أو في ابنية المجتمع وبقيت قيم التسلط الابوي هي السائدة والمتحكمة وظلت العائلة الابوية المستحدثة تنتج افراداً تبعيين لكي تلبي حاجاتها الاساسية ولكي تعزز نظام الانتماء لها وتضمن استمرار النموذج الاولى للسلطة الابوية ، وحتى على مستوى الممارسات اليومية تظل مؤطرة بما تريده الجماعة فحتى لو كانت هناك بعض حالات الخروج عن طرق الجماعة واساليبها وافكارها وايديولوجيتها يقابل الخروج بالنقد والنبذ، لذا لا تزال ثقافتنا و ابنيتها التقليدية وممارساتها هي التي تتحكم بفاعليات الآفراد ونشاطاتهم ، أذ يمكن القول بأن مجتمعنا لا يميز بين فرد وفرد ولكن بين جماعات ، أي أن قيمة الفرد ليست شخصية بل اجتماعية .

ونتيجة لما يترسخ لدى الفرد من انتماء وارتباط للعائلة أو العشيرة أو لاستمداد سلطة الاب فأن المرء متى ما انقطع عن عائلته أو عشيرته أو جماعته يجد نفسه ضائعاً وهذا نتيجة لعدم الاستقلال الشخصي أو الاعتماد الكلي على العائلة او الجماعة و هذا ما يظهر في المجتمعات الجمعية الابوية حيث يكون الآفراد متجهين بالاهتمام بمحيطهم الاجتماعي متأثرين به وبقراراته وبذلك تظهر هوية الطائفة أو العشيرة بدلا من الهوية الآساسية للفرد فضلاً عن أن هناك من ينظر الى نفسه على أنه غير قابل للانفصال عن العلاقات الآسرية ومكانته في شبكة العلاقات الاجتماعية تكون أكثر رسوخاً من وضعه كفرد مستقل ومنعزل .

فضلا عن أن سيطرة الجماعة على الفرد ورفضها للحرية الفردية لتؤكد الصالح العام بدلا من مصالح الافراد "ولا تقاوم الآسرة الكبيرة الميول الاستقلالية فقط بل هي تقاوم الفردية ضمنها ،حيث ليس هناك قطاع خاص في الاسرة —العشيرة بل كل شيء عام ومشاع الانسان نفسه ملكية

[1]- ماركس. كارل ، انجلس. فردريك: ماركس انجلس منتخبات ، (موسكو-دار التقدم) ، ١٩٨٨ ،ص٢٩.

عامة ضمن هذه المؤسسة فكل ميل الى الفردية ، الى الذاتية يفسر كتهديد لتماسك الاّسرة وكخروج عن سطوتها"[1] فضلا عن ذلك "تعمل الاّسرة باستمرار على الحد من حرية الفرد لكي ينسجم مع المجموع وهي التي تؤدي الى اطراء الشخص أو تأنيبه على أعماله منذ الطفولة حتى سن متقدمة أو بعبارة أخرى التصديق على اعماله المتماشية مع الآداب العامة واستنكار اعماله المضادة لها"[2].

لذا فهذه الممارسات وغيرها التي تقوم بها الاسرة كواحدة من انظمة المجتمع الرئيسية تشكل عقبات جدية في وجه التغير الاجتماعي والثقافي حيث تنصهر الذوات الفردية وتذوب في وسط الجموع وتتأثر بها وتضيع بنيتها ضمن الجماعة كحشود تسيرها التقاليد الموروثة أو الاعراف السائدة وأن الابقاء على الذات المتحكمة لن يقود الاّ الى خضوع وتقليد سواء كانت داخل الاّسرة الواحدة أو المجتمع –القبيلة – الدولة –الدين –الايديولوجية ...الخ ، التي لن يكون لها دور الاّ تحطيم أي امكان ابداع فردي على اعتبار أن لا معنى لأي ذات فردية دون وجود الجماعة ، ومن هنا يتضح بأن ممارسات المجتمع التقليدي هي تؤدي دوراً تسلطياً على الفرد من أجل اخضاعه لها ولقوانينها وقد تتجسد ايضاً بـ[3]:

١–الادآب العامة حيث تعمل الجماعة على تحديد سلوك الفرد ، أنها الجهاز الاّمر الناهي مهمتها الضغط على كل عضو في المجتمع .

٢–تعمل الآداب العامة على ادماج الفرد في المجموع فاذا كانت الآداب العامة تمارس الضغط على الفرد من جهة لكي يتمشى مع اساليب مجتمعه أو طبقته الاجتماعية أو نوعه ذكراً أو انثى فأن الفرد من جهة اخرى يكسب اندماجه مع اقرانه.

و تجدر الاشارة أيضاً الى أن المجتمع الاّبوي المستحدث كوحدة اجتماعية أو كجماعة تمثل المجتمع التقليدي لا يستطيع أن يستغني عن عملية خلق الرموز أو الشعارات التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمعتقداتهم وطقوسهم وتحدد تتابع أعمالهم أو تصرفاتهم وكثيراً ما تتصف هذه الشعارات أو الممارسات بسيطرتها الخرافية غير العقلانية على الفرد مما يؤدي الى عدم تطور العقليات بسبب

---

[1]- حجازي ، مصطفى: التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور، مصدر سابق ،ص١١٦.

[2]- ماكيفر.ر.م ،بيج ،شارلز: المجتمع ، ت ،علي احمد عيسى ،(القاهرة- مكتبة النهضة المصرية)،ص٤٦.

[3]- ماكيفر.ر.م ،بيج ،شارلز : المصدر السابق ، ص٤٨.

خضوعها لاعتباطيات تفكيرية حيث ، "لم يتجذر في الشخصية العربية أو العراقية العقلية العلمية التي تفسر الظواهر بأسباب تخضع للدرس والتجربة"[1] .

"فالعقيلة السحرية ماتزال فعالة على نطاق شعبي واسع جداً وفي قطاع عريض داخل العقلية الفردية الواحدة ولم تنظم داخل المجتمع القطاعات العقلانية وبذلك نجد قطاعان مسيطران،سحري وعلمي، يتراكمان بتلاصق وتتعايش البنى التقليدية بجانب البنى العصرية"[2]، فسيادة الخرافات يؤدي الى طمس الواقع ويصرف الناس عن التفكير الموضوعي العلمي و شيوع هذه الانماط يجعل من المجتمع يتباعد عن التطور العلمي والحضاري و لا يواكب مسيرة التقدم الحضاري وعلى هذا الاساس تشيع ثقافة الطقوس والخرافة بديلاً عن ثقافة الابداع ، وهذا أيضاً مناط بالوعي الغير متكامل واتباع العقلية القبلية المتحكمة بوجودنا .

الفصل الثالث: المبحث الثالث

العراق والنفط والاستبداد ومستقبل الجماعات التقليدية

في تفسير الحالة العراقية فان الحقيقة السائدة للاقتصاد السياسي للدولة العراقية هو اقتصاد ريعي[3]بالكامل ، والعراق هو من الدول الريعية التي تعتمد كلياً على النفط بنسبة ٩٨٪ ،لذا علينا أن نقوم بأجراء نوع من الربط التحليلي لهذا الاقتصاد وعلاقته بالظاهرة المدروسة الفردانية ومصير الجماعات التقليدية والحق أن "هناك شبه اجماع على أن الانظمة الريعية(Rentier Regimes)النفطية تعزز السمات التسلطية (الدكتاتورية)في النظم السياسية ، فحيثما كانت الدولة هي المتحكم بهذه الثروة في مثل هذه الدول فأنها تشكل اقتصاداً سياسياً

[1] - ينظر في زيعور ، علي: التحليل النفسي للذات العربية انماطها السلوكية والاسطورية ،(بيروت - دار الطليعة)،ط/٣، ١٩٨٥.

[2] - ينظر في شرابي ، هشام :النظام الابوي واشكالية تخلف المجتمع عربي ، مصدر سابق ،ص٦١.

[3] - يمكن ان نعرف الريع على انه الدخل الذي تحققه الارض الزراعية الحدية نظراً لما تتمتع به من خصوبة فهذا الريع هو دخل المالك المتحقق من ميزة الارض التي يملكها ، فالريع هنا يتحقق من بيع النفط الخام الذي خلقته الطبيعة وليس الانسان الذي يستثمر ما يكفي لاستخراجه واستغلاله وحينما يصب هذا الريع عائداً مالياً ضخماً للمالك كما في (الحكومة العراقية) ،تترتب عليه بشكل طبيعي تنموية ايجابية / او سلبية اعتماداً على السياسات التنموية التي تتبعها الحكومة` المصدر :حلقة بحث منشورة للدكتور كامل العضعاض ، بعنوان: هيكلية الاقتصاد العراقي والمسألة الريعية عوائق امام تحقيق تنمية مستدامة ،نشر بتاريخ ٢٠١٣/٤/١٣.

للاستبداد وهو ما دفع البعض الى ابتكار تعبير "لعنة النفط" أو "لعنة الموارد" بل أن هناك من يسمي النفط "براز الشيطان"[١].

وهناك عدة أشكال لملكية الموارد الطبيعية ومنها النفط ،ويمكن ايجازها كما يلي :

١–الملكية الحكومية التي تسمى عادة وطنية رغم أن الاوطان (أي الامم أو المجتمعات) ليست هي الحكومة.

٢–الملكية الأسرية (كما هي الحال في السعودية ودول الخليج الأخرى عدا الكويت)حيث العائلة المالكة هي التي ابرمت العقود بصفتها الفردية في مرحلة ما قبل نشوء الدولة الحديثة ،ويتلقى افراد هذه الاسر حصة الاسد ويدفعون من عائداتهم لتمويل الحكومة.

٣–ملكية المواطنين حيث تؤول عائدات النفط الى المواطنين على شكل مدفوعات نقدية[٢].

والدولة الريعيةتتلقى ريوعاً ضخمة من أفراد أجانب أو شركات أو حكومات اجنبية[٣].

وهناك عدة فرضيات بشأن الدولة الريعية أخترنا منها اثنين:

اولاً: يشير الى أن ثروة النفط تجعل الدولة المالكة لهذه الثروة أقل ديمقراطية .

والثانية: تقول أن تراكم مبيعات الثروة النفطية تتسبب في سوء عمل الحكومات في مجال التنمية الاقتصادية[٤].

والملاحظ أن للنظم للريعية تأثيراً مباشراً على تشكل بعض الفئات الاجتماعية أو تراجعها فعلى سبيل المثال أن ايرادات النفط تمنح الحكومات اموالا كافية تستطيع بواسطتها أن تشكل فئات وشرائح تابعة وملحقة بالطبقة المسيطرة على الدولة أو الحاكمة أو تمنع، ربما، تشكيل فئات وشرائح اجتماعية مستقلة عن الدولة ، فأحدى خواص الدولة الريعية(State rentier)انها تعيق تشكيل شرائح اجتماعية مستقلة وبفعلتها هذه أنما تعيق بذلك شرطاً ضرورياً من شروط نشوء الديمقراطية [٥]، وستكون النتيجة اننا نكتشف أن النفط له الاثر الاكبر في نشوء الديمقراطية التي

---

[١] - ان عوامل الضريبة ،والانفاق ،ومنع نشوء الفئات الاجتماعية المستقلة تؤلف بمجموعها (مفعول الريعية) وان هذه العوامل مجتمعه تعني ان السياسات المالية للدولة تؤثر على نمط نظام الحكم ،اي ان الحكومات التي تمول نفسها بعائدات النفط وتتوفر على ميزانيات ضخمة مرشحة اكثر من غيرها لان تكون تسلطية ،اما الحكومات التي تتمول عبر الضرائب وتتوفر على ميزانيات صغيرة نسبياً فأنها تميل الى ان تكون ديمقراطية ،المصدر :روس. مايكل: هل يعيق النفط الديمقراطية ،معهد الدراسات الاستراتيجية ، تحرير ،حسين بن حمزة ، (بغداد-معهد الدراسات الاستراتيجية) ،٢٠٠٧، ص١٦٤-١٦٥.

[٢] - مورس. ادوارد ، بالي ، توماس واخرون : النفط والاستبداد الاقتصاد السياسي للدولة الريعية ،(بغداد –معهد الدراسات الاستراتيجية)،٢٠٠٧،ص٥-٦.

[٣] - مورس ادوارد ،بالي.توماس واخرون : النفط والاستبداد الاقتصاد السياسي للدولة الريعية ،مصدر سابق ،ص١٥١-١٥٢.

[٤] - نفسه ص١٥١-١٥٢.

[٥] - نفسه ،ص١٦٢.

تؤثر بدورها في انتاج الفردية أو يمكن أن تحطمها وتحيل المجتمعات الى مجتمعات تستند كلياً الى الجماعات التقليدية من خلال قيام الدولة بمنع تشكل جهات مستقلة أو منعزلة عنها أو ممانعتها لتشكل مؤسسات المجتمع المدنية التي تفضل ممارسة الانظمة والقوانين الديمقراطية .

وهو النموذج المتجسد في طبيعة الاقتصاد العراقي بحسب تصور الباحثة وهو أن ملكية الدولة للثروة النفطية وتصرفها بأهم مصدر للثروة في البلاد أدى ألى تراكم سلطتها واستبدادها وسوء استخدامها لهذه الثروة[١][٢] .

فضلاً عن أن الريعية وما يرافقها من عوامل وتعاظم سلطة الحكومة وجنوحها ألى الدكتاتورية والهدر وتوجيه الموارد الريعية للاستهلاك النهائي والتبذير ولبناء الأجهزة القمعية وربما لتسهيل الفساد أو التستر عليه هي اثار مشهودة في الكثير من الدول النفطية يقع العراق في مقدمتها ، والتحليل الذي شخصه الكثير من الباحثين في العراق لا يقف عند هذه الاثار فقط وإنما يتجاوز لغياب رؤية استراتيجية للخروج من الحالة الريعية و ينعكس في نوعية السياسات النفطية التي تتبعها الحكومة[٣] .

أن تشكل الفردانية وانتشارها راجع الى عوامل عدة ومنها شيوع مؤسسات المجتمع المدني المستقلة فضلاً عن طبيعة الاقتصاد الذي يعتمد عليه البلد وبما أن المجتمع العراقي يتميز باقتصاد ريعي يعتمد النفط وعائداته بصورةرئيسية فأننا نجد سياسته تسلطية لا تفسح المجال لنشوء

---

[١]- نفسه ،ص٣٢٠.

[٢]- قامت منظمة الشفافية الدولية Transparency International (TI) بإعداد مقياس عالمي للفساد أسمته بارومتر الفساد العالمي Global Corruption Barometer وقد أطلق المقياس منذ عام ٢٠٠٣ ، ويشير تقرير منظمة الشفافية للعام (٢٠١٠ الى تطبيق بارومتر الفساد ومن ضمنها العراق ، حيث تقوم الذي شمل مقابلة أكثر من ٩١٥٠٠ شخص ، في ٨٦ بلدا مؤسسات ومراكز بحثية في هذه الدول بالتعاون مع منظمة الشفافية الدولية لتطبيق المقياس ، وأن الطريقة المعتمدة في ملء الاستبانات هي طريقة المقابلة المباشرة مع المستجيبين وطرح الاسئلة عليهم ، وذلك لغرض توضيح الأفكار والحصول على إجابات أكثر دقة ومصداقية ، وقد أظهرتالنتائج أن ٦ من كل ١٠ دول أظهرت زيادة في مستويات الفساد ، وأن أكبر زيادة هي تلك التي حصلت في أمريكا الشمالية والاتحاد الأوربي ، وقد أشار ٨ من كل عشر مستجيبين الى أن الأحزاب السياسيةعادة ما تكونً فاسدة او فاسدة جداً ، وتليها الخدمة المدنية ، والسلطة القضائية ، والبرلمانات ، والشرطة ، وأن الرشوة مازالت منتشرة بشكل كبير وبقي مستوى تعاطي الرشوة (الفساد الصغير) نفسه مقارنة مع تقرير ٢٠٠٦ ، وأن الشرطة هي ابرز المؤسسات تعاطياً للرشوة ، وكانت أكثر أسباب دفع الرشوة هو تفادي المشاكل مع المؤسسات الحكومية ، وأن (١) من كل (٢) أشاروا إلى أن إجراءات الحكومة في مكافحة الفساد غير مؤثرة ، وغيرها من النتائج .أما فيما يخص العراق ، فقد أظهرت الدراسة أن(٧٧%) من المستجيبين أيدوابأنالفساد في العراق ازداد في السنوات الثلاث الماضية ، وأن أعلى مستويات الفساد كانت في الأحزاب السياسية بتقدير (٣,٩) ويليها من حيث الفساد البرلمان (مجلس النواب العراقي) بتقدير (٣,٦)ويليها جهاز الشرطة بتقدير (٣,١). وأن (٥٦%) من العينة قد قاموا بدفع رشوة خلال الـ(١٢) شهراً الماضية ، أما بالنسبة لإجراءات الحكومة في محاربة الفساد يرى (٦٣%) من العينة أنها كانت غير مؤثرة و(١٨%) يرون أنها مؤثرة).المصدر :

طبرة .حسن فارس عبود : تقييم حجم ظاهرة الفساد في المؤسسات الحكومية العراقية من وجهة نظر تدريسيي الجامعات ،مجلة النزاهة والشفافية للبحوث والدراسات ، العدد السابع ،٢٠١٤ ، ص١٧

[٣]- حلقة بحث منشورة للدكتور كامل العضاض ،المصدر السابق.

سياسات ديمقراطية وأنظمة حرة وهذا بدوره ينعكس على نشوء أو اضمحلال الفردانية كلما كان البلد أكثر ديمقراطية اتاح بالتالي فرصة لنشوء ظاهرة الفردانية ، وبما أن النفط يسهم وبصورة مباشرة في تحديد السلطة سواء الدكتاتورية أو الديمقراطية نجد تأثيره حاسم في تشكيل الانماط الاقتصادية وبالتالي فهو عنصر حاسم في الفردية ، وبذلك فالدول المستندة الى اقتصاد النفط بالكامل يتم فيها صياغة الظاهرة على نوعين من التوجه :

اولاً / أما أن يتيح فردية اذا تم توزيعه بشكل عادل حيث" يعتمد على أرساء أسس مادية لأوسع مشاركة من قبل العراقيين في الثروة الوطنية بما فيها المشاركة الفعلية المباشرة في ملكية الثروة النفطية وايراداتها كما أن المشاركة تمثل فرصة لغرس جذور مصالح اقتصادية حقيقية لعموم المواطنين في حاضر ومستقبل العراق تمكنهم من ممارسة أكبر قدر من الرقابة والاشراف على تسيير وادارة الاقتصاد"[1]ويمكن القول بأن توزيع النفط[2]من شأنه أن يساهم في دعم قوة التشكيلة الاجتماعية وبالتالي في أنتاج نظام أسري ناضج من شأنه أن يسهم في أنتاج أفراد حقيقين ومستقلين عن التأثيرات الاجتماعية من الطبقات الاخرى خاصة وأن هؤلاء الافراد هم أبناء الطبقة الوسطى الذين يصعب التأثير عليهم من قبل الشرائح والطبقات الاجتماعية الاخرى.

وعلى سبيل المثال لا يمكن للجماعات التقليدية (القبيلة والعشيرة) أن تؤثر على اتجاهات التنشئة الاجتماعية للأسرة وبالتالي على الافراد من الطبقة الوسطى ،(التي يمكن ان تستعيد عافيتها اذا تم توزيع أرباح النفط بشكل عادل) كذلك لا يمكن للجماعات الدينية أن تؤثر في افراد نشؤوا وتعلموا في أحضان الطبقة الوسطى[3]المستقرة والمستقلة اقتصادياً.

---

[1] - مورس .ادوارد ، بالي ،توماس ، المصدر السابق ،ص٣٣١-٣٣٢.

[2] - لقد اقر البرلمان بترودولار للمحافظات المنتجة دولاراً للنفط المنتج واخر للغاز بحجم مكافئ لبرميل النفط كان المقصود منه التقليل من الظلم الذي لحق محافظة البصرة من حيث الاساس لأنها مهمشة ومدمرة بكل ما للكلمة من معنى ورغم ان القانون كان على خطأ ومخالف للدستور ، الاقليم هو الاخر يأخذ بالبترودولار علىطريقته بأخذ ما سمي بالحقوق فوضع الاقليم فيعقوده المثيرة للجدل حصة تقدر بـ١٥% كريع للتعليم ورغم الاعتراضات على هذه العقود ومدى مخالفتها للدستور الا ان احداً لم يعترض على الريع ، ويمكن القول بأن البترودولار والريع مخالفان للدستور لكون المادة(١١١)منه تشير بوضوح الى ان النفط في كل مكان من العراق هو ملك للعراقيين اي ان ابن النجف او الانبار يملك من النفط المنتج مثل ما يملك ابن البصرة او كردستان. المصدر .

مقال لـ حمزة الجواهري : بعنوان البترودولار فقط للمحافظات الغير منتجة دستورياً ،مركز الدراسات والابحاث العلمانية في العالم العربي ، في تاريخ ٢٠١٢/١٠/٢٩.

[3] - الطبقة الوسطى: تشير الى ذلك الجزء لمركب المتعدد الوظائف في المجتمع والذي يشترك في الوقت نفسه في الدخل المتوسط والمنزلة المتوسطة وهو يضم التجار والحرفيين وملاك الاراضي وضباط الجيش والطلاب والمهنيين والموظفين لدى الحكومة او في الشركات الخاصة ، ومن الخطأ اقامة تمييز حاد بين قسم واخر من هذه الطبقة كالتمييز بين ضباط الجيش وملاك الاراضي لأنه يجب ان لا ننسى ان الوحدة الحقيقية للطبقة هي العائلة وليس الفرد وان افراد العائلة من الطبقة الوسطى يتوزعون

ثانياً/أويكون للنفط تأثيراً عكسي بحيث يقلل من فعالية الأفراد، ويعيد انتاج الجماعات التقليدية فيما لو تم استخدامه كعاملاًأساسياً من عوامل الاستبداد ، اذ يعدّ النفط عاملاً من عوامل الاستبداد في الانظمة السياسية والاقتصادية التي تركز هذه الثروة بيد حكومة مركزية دكتاتورية كما هو الحال في العراق قبل الاحتلال وحتى بعده ، حيث قام النظام الاستبدادي السابق بتدمير الطبقة الوسطى وبالتالي الأفراد المستقلون على حساب أحياء الجماعات التقليدية مثل القبيلة والجماعات الدينية والعائلة ، "فقصة استغلال النظام البعثي السابق للثروة النفطية هي قصة عقود من دمار وحروب وغياب استثمار خرج منها العراق باقتصاد منهار ومفلس وبنية تحتية مدمرة غير قادر على تلبية الحاجات الأساسية للمواطنين بصورة منتظمة ومعقولة[1]،و لاتزال تبعات السياسات السابقة تلقي بظلالها على كاهل المواطن كما أن عدم استثمار الطاقات المتاحة وتركز الطاقة النفطية بيد الدولة جعل من البلاد غير متقدمة ومشابهه لما كانت عليه في السابق .

أن عوامل الضريبة والانفاق ومنع نشوء الفئات الاجتماعية المستقلة تؤلف بمجموعها مفعول الريعية وأن نشوء هذه العوامل مجتمعة تعني أن السياسات المالية للدولة تؤثر على نمط نظام الحكم ،اي أن الحكومات التي تمول نفسها بعائدات النفط وتتوفر على ميزانيات ضخمة مرشحة اكثر من غيرها لان تكون تسلطية أما الحكومات التي تتمول عبر الضرائب وتتوفر على ميزانيات صغيرة فأنها تميل الى أن تكون ديمقراطية[2]، لذلك فالدولة التي تمتلك وتتصرف بجميع مصادر الثروة وبضمنها اكبر مصدر لإيرادات الاقتصاد أي بمعنى احتكار الدولة لجميع الثروات النفطية وتركز مسؤولية السلطة بيدها مما يولد انظمة استبدادية غير ديمقراطية تتيح نشوء جماعات تقليدية لكونها تقلص من حرية الفرد ،وتجعله تابعاً للجماعات التقليدية للتخلص من حصة الفرد.

وبقيت طاقة العراق الانتاجية من النفط هي المحدد الوحيد للحصول على الموارد فالعراق لم يستغل الموارد المتأتية من النفط لأغراض تطوير الصناعات غير النفطية كالقطاع الزراعي (وتوسيع القاعدة الصناعية ، ورفع المستوى المعاشي للسكان وغيرها).

على مهن مختلفة. المصدر : بركات ،زكي ، عبد الرحيم . مصطفى : مساهمة في الحوار العلمي التاريخي حول اسلوب الانتاج في المجتمع اليمني القديم ، تحرير وترجمة احمد صادق سعد ، (بيروت — دار الطليعة)، ص٤٥

[1]- مولارس .ادوارد ، بالي. توماس ، المصدر السابق ،ص٣٢٢.

[2]-مولارس .ادوارد ، بالي. توماس ، المصدر نفسه ،ص ١٩٦.

وعلى هذا الاساس يمكننا القول بأن الاهمال في مختلف قطاعات التنمية الزراعية والصناعية والتجارية وبقاء اساس الميزانية العامة للعراق هو النفط أي بقاء العراق دولة ريعية تعتمد على مصدر واحد في معيشتها يشكل عقبة كبيرة في وجه التحول نحو الحرية أو الديمقراطية كما أن اقتصاد البلاد الثري يتيح مجالات لظهور الفردانية حيث أن التحول والتغير الاقتصادي المزدهر يسهم بتقديم الحرية التي تكفل مصالح الفرد مما يؤثر على المستوى الثقافي ليتقبل حالة الديمقراطية.

الفصل الثالث : المبحث الرابع :نمط الانتاج الاسيوي

الانماط الاقتصادية واثرها في تباينات العلاقة بين الفردانيةوالجماعات التقليدية

قرر ماركس في حتميته الاجتماعية ان التاريخ البشري يمر (بشكل حتمي) بمراحل عدة في تطوره يشكل كل منها تشكيلة اجتماعية اقتصادية قائمة بذاتها وعلى النحو التالي : ١–المشاعية البدائية ، ٢–نظام الرق والعبودية (مرحلة العبيد)، ٣–المرحلة الاقطاعية ، ٤–المرحلة الرأسمالية ، ٥–المرحلة الاشتراكية ، والتي تؤدي بدورها الى المرحلة المشاعية.

وتتميز المرحلة المشاعية (Communal phase)البدائية بعلاقات انتاجية سلالية (جزئية) مبنية على اشكال جماعية لملكية الارض والانتاج الزراعي أو الاستحواذ عليهما[١]، ولقد وضح ماركس بأن في ظل هذا النظام تكون الجماعة الزراعية باعتبارها اخر مرحلة في التشكيل البدائي للمجتمع هي في الوقت نفسه مرحلة انتقالية الى التشكيل الثانوي ، اي التحول من مجتمع قائم على الملكية المشاعية الى مجتمع قائم على الملكية الخاصة[٢]، كما تتميز هذه المرحلة في المجتمع بكونها خاضعة الى حد كبير لسيطرة الروابط المحلية والنظرات المستقبلية المحلية وسيطرة الحرف اليدوية الصغيرة أو انتاج زراعة الكفاف وخاضعة خارج المدن لصيغة ملكية الدولة والملكية العشائرية المشاعةوكان المجتمع العراقي قد مر بهذه المرحلة من تطور ادوات الانتاج ووسائله [٣].

أما مرحلة الرق أو العبودية (Slavery stage)فهو شكل النظام الذي نشأ في بلدان الشرق القديم وهي مرحلة عامة عرفتها بعض الشعوب وهي سابقة لمرحلة النظام الاقطاعي وتعرف على انها " كيان

---

[١]- جغلول . عبد القادر :التكوين الاحتماعي الجزائر عشية الاستعمار ، تحرير وترجمة احمد صادق سعد،(بيروت-دار الطليعة)،١٩٧٩ ،ص٢١.

[٢] - بركات ،زكي ، عبد الرحيم . مصطفى : مساهمة في الحوار العلمي التاريخي حول اسلوب الانتاج في المحتمع اليمني القديم ، تحرير وترجمة احمد صادق سعد ، (بيروت — دار الطليعة)، ص٥٩.

[٣]- بطاطو. حنا : العراق الطبقات الاحتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الحمهورية ،ت ، عفيف الرزاز ،(بغداد-منشورات فرصاد)، ٢٠٠٥ ،ص٢٢.

اجتماعي خاص له قوانين ظهوره وتطوره ، نظام اقتصادي أساسه الملكية الخاصة لوسائل الانتاج بما في ذلك الارض وملكية السيد لرقيقه ملكية تامة، واستغلال طبقي كامل ،وهو نظام قانوني تضمن قواعده وتشريعاته حقوق وامتيازات الطبقة الحاكمة"[١].

ونجد أن مجتمعنا العراقي قد عرف ظاهرة العبودية[٢]وهي نظام أو كيان اجتماعي خاص فهذه الظاهرة على الرغم من أن المجتمع العراقي قد عرفها خلال" كثرة الحروب التي كان على الدولة العباسية خوضها في اصقاع مختلفة حيث ادى الى اتساع الدولة وانتشار الرقيق انتشارا واسعا"[٣]ولكن لا يمكننا القول بأنه مجتمع العبودية فالعديد من المجتمعات عرفت ظواهر مختلفة ولكن هذا يحسب في درجة تطور المجتمع نفسه أو من ضمن مفاهيم تشكيله الاجتماعي أو الاقتصادي .

بينما المرحلة الاقطاعية(Feudal phase) تشير الى علاقات اجتماعية معتمدة على الاستحواذ على الريع العقاري المستخرج من طبقة فلاحية تحتفظ بحقوق استعمال الارض ووضع اليد عليها ، وهذا بواسطة فئات (ارستقراطية) يرتبط اعضائها فيما بينهم بروابط شخصية ويشكلون الطبقات العليا للجهاز السياسي ، ويتميز نمط الانتاج الاقطاعي بأنه لا يعرف اغتصاب جزء من الفائض الاقتصادي للمشتركات القبلية او القروية لصالح نوع من غير العاملين ولكن بالاستحواذ الخاص للأرض وتدمير الملكية المشتركة والتنظيم القبلي او القروي للعمل[٤]، كما مثلت مرحلة الاقطاعية نمطا اقتصاديًا —اجتماعياً أرقى وأكثر تقدما من نظام الابوية السابق على الحداثة وذلك مرده تجاوز الاقطاعية لنظام القرابة وروابط الدم[٥].

ويشير نمط الانتاج الرأسمالي الى نزعة نحو التطور المطلق للقوى الانتاجية بغض النظر عن الشروط الاجتماعية التي يحدث في ظلها الانتاج ، و يكون هدف هذا النمط الحفاظ على قيمة راس المال

---

[١] - بركات ، زكي. عبد الرحيم ،مصطفى ، مصدر سابق ، ص٤٨.

[٢] - اشار انجلز في كتاب "ضد دوهرنج" الفرق بين نظام الرق في الشرق وبين نظام الرق في الرومان حيث اشار بأن الرق في الشرق لم يكن قوة اساسية في الانتاج بينما شكل رق المجتمعات الاغريقية والرومانية طبقة اساسية في الانتاج ،ولكن من جهة اخرى يمكن القول بأن المجتمعات الشرقية (الاسيوية) عرفت ظاهرة العبودية (الرق) بل كانت موجودة من ضمن المجتمع ولها قسطها من العملية الانتاجية الى هذا الحد او ذاك ولكن الرق بذات الوقت لم يشكل عنصراً اساسياً في مضمار الانتاج ، فقد تحول الى ما يعرف بالرق الابوي البطريركي -كالخدمة في البيوت الذي كان يميل لان يجعل العبد فرداً من العائلة ، بيد ان ذلك لم يمنع الدولة من تستخدم العبيد(واحياناً بأعداد ضخمة) في انجاز بعض المشاريع الكبرى والانشاءات الضخمة وربما استخدام العبيد بأعداد كبيرة أيضا بعض الافراد الذين امتلكوا عبيداً عديدين استخدموهم في حقول الانتاج المختلفة لاسيما في استصلاح الاراضي والزراعية واستولوا على ثمرة اتعابهم . المصدر : بركات ، زكي ، عبد الرحيم. مصطفى: مصدر سابق ،ص ٤٨.

[٣] -السامرائي .هند يوسف مجيد : مقالة بعنوان أثر الجواري في العصر العباسي ،٢٠١١.

[٤] - جغلول. عبد القادر : التكوين الاجتماعي الجزائري عشية الاستعمار ،ت. احمد صادق سعد ، مصدر سابق ،ص١١-١٤.

[٥] - شرابي. هشام : النظام الابوي واشكالية تخلف المجتمع العربي ، مصدر سابق ،ص٧٢.

القائم وتشجيع التوسع الذاتي ولذا فأن توسع راس المال هوالهدف الاساس والدافع في ظل الإنتاج الرأسمالي ، وهذا الانتاج هو مجرد انتاج لراس المال وليس العكس بالعكس[١]، كما تتميز المرحلة الرأسمالية بأنهاتتخيل مجتمعاً يكون كل الانتاج فيه هو انتاج سلع ينظمها الرأسماليون لتحقيق اعلى نسبة من الارباح وفي هذا المجتمع يكون راس المال "قيمة" ذاتية التوسع وهذا يقتضي ضمناً ان العلاقات الاجتماعية الاقتصادية تكون مختزلة كلياً الى قيمة تعمل بشكل اقتصادي —سلعي بدون دعم خارجي لتوسيع ذاتها[٢]، وأهم ما يميز الحياة المادية في المجتمع الرأسمالي هو "طمس العلاقات الشخصية (شخصاً لشخص) المباشرة بما فيها تلك العلاقات التي تنطوي على السيطرة والخضوع ، وبناء على ذلك يقوم زعم الرأسمالية بأنها تجسيد (للحرية الفردية)، وانها نظام اجتماعي يلغي الصراع الطبقي" [٣] .

وهذا الامر بالتحديد هوما دفعبالباحثة الى مناقشة حالة الفردية في حركة أنماط الانتاج في الانظمة الاقتصادية ، من خلال ما تقدم يمكننا القول بأن مرحلة الرأسمالية تقتضي الربح وهدفها الاساس هو توفير راس المال من خلال العمل وانتاج البضائع أي أنها مرحلة تتميز بسيطرة الحياة المادية فضلاً عن أن العلاقات وفقها تكون قائمة على خدمة مصالح أرباب العمل أو أفراد الطبقة البرجوازية على حساب المصالح الآخرى لذا تشيع علاقات التسلط والاستغلال منها (أي المرحلة الرأسمالية) وبما أنها مرحلة تسعى لتوفير الربح ورأس المال فهدفها الاساس هو تأمين اسواق تسعى الى زيادة ارباحهم ، كما يمكن القول بانها مرحلة طبقية لكونها تضمن مصالح اقتصادية مادية للطبقات البرجوازية على حساب مصالح الطبقةالبروليتارية الكادحة .

بينما تأتي المرحلة الاشتراكية (Stage of socialism)نتيجة للفعل الاجتماعي القائم على الفهم العلمي للحياة المادية المنطلقة من نظرية المجتمع الرأسمالي الخالص التي تبرهن على امكانية تحقيق الاشتراكية، وتأتي بوصفها نتاجاً للقوانين (المجمعنة) الحتمية للرأسمالية وقد قدمت مساهمة تاريخية في التطور البشري الى حد كبير من خلال شفاء العلل المفترضة للرأسمالية (مثل التبعات التوزيعية غير المتكافئة لهذه الأخيرة)[٤] .

---

[١] - اريغي .جيوفاني ، مور. جاسون و: التطور الرأسمالي في المنظور التاريخي العالمي ،تحرر ، روبرت اولبريتن واخرون ، ت ،عدنان حسن ، ٢٠٠١،ص ٨٠.

[٢] - -اريغي .جيوفاني ، مور. جاسون ، المصدر نفسه ،ص١٣٤.

[٣] - ويسترا.ريتشارد : اطوار الرأسمالية والتغير الاجتماعي ما بعد الرأسمالي ، تحرير ، روبرت اولبريتن واخرون ،ت ، عدنان حسن ،ص٣١٢.

[٤] - المصدر نفسه ،ص٣٠٤.

وقد عرفها شومبيتر[1]بأنها "ذلك التنظيم الاجتماعي الذي تكون فيه وسائل الانتاج والقرارات الخاصة بكيفية الانتاج وما هي السلع التي تنتج ومن هم الذين يحصلون عليها وماهي مسيطراً عليها من قبل السلطة العامة بدلا من الشركات ذات الملكية الخاصة والمدارة ادارة خاصة فكل ما نعنيه بالسير نحو الاشتراكية هو رحيل شؤون الشعب الاقتصادية من الدائرة الخاصة الى الدائرة العامة"[2]. وفقاً لهذا التعريف لشومبيترفالمرحلة الاشتراكية تتميز بسيادة السلطة العامة على حساب المصالح الخاصة لذا فهي تبرز الجماعات(الطبقية) على حساب (الفرد) من خلال أخضاع الوسائل الانتاجية والقرارات الخاصة محكومة بالسيادة العامة على حساب المصلحة الخاصة ولم تعطي هذه المرحلة أي اهمية للملكية الخاصة أو المستقلة فقد كانتمرحلة غنية بالقيم الجماعية . "كما تقوم المرحلة الاشتراكية على ملكية الدولة لوسائل الانتاج وعلى تخطيط توزيع الموارد بين النشاطات المختلفة بهدف تحقيق الصالح العام فلا يعود هناك وجود لدافع الربح كمحرك للنشاط الاقتصادي"[3] .

- المجتمع العراقي ومحددات التشكيلة الاجتماعية

كل دراسة لتشكيلة اجتماعية واقتصادية معينة تفرض بالضرورة دراسة ظهورها وقوانين تطورها واسلوب انتاجها (القوى المنتجة وعلاقات الانتاج)ولقد مرت البشرية خلال تطورها بتشكيلات اجتماعية واساليب مختلفة في الانتاج ، فبعض الشعوب الاوربية مرت بالمراحل التاريخية المشاعية ، الرق الإقطاعي ، الرأسمالية ، وغيرها ، ولكن ليس معنى هذا بأن كل الدول مرت بنفس هذه المراحل متعاقبة أذ هناك بعض الشعوب التي تجاوزت مرحلة بدون المرور بمرحلة مشابهة لغيرها .

---

[1] - جوزيف شوميتز (١٨٨٣-١٩٥٠) اقتصادي وعالم اجتماع أمريكي ، اهتم بالاقتصاد الديناميكي لا الستاتيكي وبالفردية المنهجية وبمنهج الاستنباط وبتماثل المنهج التاريخي مع النسق البيولوجي لشرح التطورالبعيد المدى ، وتتميز نظرياته =الاقتصادية بكونها توحد بين ظاهرتين مهمتين من ظواهر حركة الانظمة الاقتصادية التي ركزت عليهماالدراسات ، والا وهما دورة الاعمال وتغيرات التكنولوجيا والانتاجية ثم اعتباره دورات الاعمال نتاجاً ثانوياً للتقدم المتقطع فيالتكنولوجيا ، وقدعملشوميتر مع اعظم سوسيولوجيي القرن العشرين وهما ماكس فيبر وتالكوت بارسونز ، وقد ترك شومبيتر اثراً كبيراً في تطور النظرية الاقتصادية ، المصدر : الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية ، جوزيف شوميتر ، ت ، حيدر حاد اسماعيل ،(بيروت — المنظمة العربية للترجمة)،٢٠٠١.

[2] - شومبيتز.أ جوزي: الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية ، ت ، حيدر حاج اسماعيل ، (بيروت- المنظمة العربية للترجمة)، ٢٠٠١ ،ص٣٣.

[3] - المصدر نفسه ،ص٧٨٣.

أذا طبقنا هذه التتابعات بين المراحل على المجتمع العراقي سنلاحظ ان المجتمع العراقي قديماً لم يعرف الملكية الخاصة للأرض مثله مثل المجتمعات الشرقية التي تنطبق عليها خصائص اسلوب الانتاج الاسيوي حيث عرف فقط (التملك الفردي) المرتبط بالملكية الجماعية اذ كانت الارض ملكاً للدولة تمنحها للجماعة (القبيلة)من اجل الانتفاع بها وتمنح الدولة مقابل ذلك ريعاً لقاء حق استعمال الارض ، كما تقوم بجباية الضرائب من جماهير المنتجين[1]،ويمكن أيجاز أهم خصائص الاسلوب الاسيوي للإنتاج المشابهة لواقع وخصائص المجتمع العراقي :

١–غياب الملكية الخاصة للأرض ويؤكد ماركس ذلك بقوله " أما في الشكل الاسيوي[2] فلا وجود للملكية (في اغلب الاحوال على اقل تعديل)بل بالتملك الفردي فقط ،اذ أن الجماعة هي المالك الحقيقي بالمعنى الدقيق للعبارة ، أي وجود الملكية المشاعية للأرض فقط .

٢–شكل الاستغلال الحكومي أي أن الدولة أو الطبقة الحاكمة تقوم بدور المستغل لجماهير المنتجين عن طريق تحصيل الريع وجباية الضرائب .

٣–الدولة هي المسيطرة على الآرض ، وتقوم بالمشاريع العامة الكبرى بالجهود الجماعية .

٤–نظام يتصف بالركود الكبير أو الطويل في عملية الانتقال التاريخي[3].

٥– أن الملكية النهائية لمعظم الآراضي الزراعية كانت تخص الدولة حيث أن المستفيدين الحقيقين لم يكونوا فلاحي العراق ، بل الطبقة المسيطرة من المشايخ والاغوات ورأسمالي مدنه وكبار مسؤوليه[4].

٦–أن سيادة المشايخ والاغوات على الآراضي الزراعية والتحكم بها كانت بمثابة اعتراف قانوني بعملية كانت جارية في الريف العراقي لعقود عدة الآ وهي اغتصاب المشايخ والاغوات للملكية الجماعية (المشاع) للعشيرة وسلب ملكية الجيران الاضعف[5].

---

[1]- ينظر في ست دراسات في النمط الاسيوي للإنتاج، تحرير وترجمة احمد صادق سعد ،(بيروت –دار الطليعة)، ١٩٧٩،ص٥٦ .

[2]- ظهرت فكرة الاسلوب الاسيوي للإنتاج عند ماركس وانجلز عام (١٨٥٣) ، ويشمل عدة مجتمعات مختلفة في اوضاعها الاقتصادية والسياسية والمناخية والقومية والدينية عن مجتمعات الملكية الخاصة ، ومن هذه المجتمعات التي يشملها اسلوب الانتاج الاسيوي – على سبيل المثال – الوطن العربي والبلدان الاسيوية الافريقية ويشير هذا الاسلوب الى عدم وجود الملكية الخاصة للأرض واتجه تفسير ماركس وقتها في تفسير غياب الملكية الخاصة للأرض بالقول انه يعود الى ظروف خاصة تتطلب تمركزاً استثنائياً مثل الحاجة الى الاشغال العامة ومشاريع الري في مناطق لم يكن بالإمكان زراعتها بفاعلية بطريقة اخرى ، المصدر: بركات . زكي ،عبد الرحيم . مصطفى : مساهمة في الحوار العلمي التاريخي حول اسلوب الانتاج في المجتمع اليمني القديم ، تحرير وترجمة ، احمد صادق سعد ،(بيروت- دار الطليعة) ،١٩٧٩،ص٥٤.

[3]- المصدر نفسه ،ص٥٥.

[4]- بطاطو. حنا : العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهوريةمصدر سابق ،ص١٣٧.

[5]- المصدر نفسه ، ص ١٣٧-١٣٨.

كذلك فأن تطبيق أو الاستفادة من قراءة حالة المجتمع العراقي من منظور "نمط الانتاج الاسيوي" هي الاخرى تدلنا على الطرق والوسائل النظرية التي تمكننا من فهم الاّصول الانثروبولوجية لظاهرة الفردانية واحباطاتها في المجتمع العراقي وهو ما يكشفه الباحثون في أصول المجتمعات الانسانية .

وفكرة (الاستبداد الشرقي) تشير الى تشكل اجتماعي (أسيوي) أو (شرقي) ذي شكل أبوي محدد ، وبالنسبة ألى ماركس كانت ظاهرة نمط الانتاج الاسيوي ظاهرة ابوية محددة وبالمعنى الشرقي للتعبير : كانت (معسكراً ملكياً ولم تكن بنياناً ملكيا)"[1]، "وفي التشكيلة الاجتماعية لنمط الانتاج الاسيوي يسود تشكل اجتماعي تطغى عليه مظاهر الجماعات التقليدية ، وتسود من خلال ذلك الابوية المستحدثة التي هي تشكل اجتماعي مهدور طاقته ومتميز بطبيعته الانتقالية وضروب شتى من التخلف والتبعية وهذا نتجسد في طبيعة اقتصاده وبنية طبقاته ، وكذلك في تنظيمه السياسي والاجتماعي والثقافي لذا فهو تشكل غير مستقر ابداً تفسخه التناقضات والنزاعات الداخلية"[2] ، "وأن التناقض الداخلي لنمط الانتاج الاسيوي هو تناقض الوحدة بين الهياكل المشتركة والهياكل الطبقية"[3].

وتمثل الزراعة أهم أسس الاّنتاج في المجتمعات القديمة يعول عليها بالدرجة الاساس في المعيشة "حيث كانت تتطلب قيام اشغال كبرى لتنفيذ تلك المهام التي يعجز الافراد بسبب ضخامتها وصعوبتها عن تنفيذها بمفردهم"[4] ، وبذلك كانت هذا المهام تتطلب ايادي عاملة وبصفة جماعية من أجل اتمام الاعمال وألاّ فأنها غير قادرة على التطور والنمو مالم تتشكل بهذا الشكل الجماعي المتمثل بعدم وجود ملكية فردية خاصة للأرض ولا قدرة فردية للعمل بالمعنى المطلق ، لذا كانت القبائل العراقية تشكل جماعات قروية ملتحمة ترتبط في أحيان اخرى بروابط الدم والعادات والمصالح المشتركة وتقوم بالعمليات الانتاجية (الزراعية)، وقد ظل المجتمع العراقي يراوح مئات السنين في دائرة هذا الاسلوب من الانتاج دون أن ينتقل الى تشكيلة اجتماعية واقتصادية متقدمة فضلا عن تشكيله للتجمعات على اساس المصلحة المشتركة ، حيث يشعر الافراد أنهم داخلون

---

[1] - شرابي. هشام: النظام الابوي واشكالية تخلف المجتمع العربي ،(بيروت- مركز دراسات الوحدة العربية)،ط/٢، ١٩٩٣، ص٣٥.

[2] - المصدر نفسه ، ص٢٢.

[3] - جغلول . عبد القادر : التكوين الاجتماعي الجزائري عشية الاحتلال ، مصدر سابق ، ص٢٤.

[4] - نصر الله .محمد علي : اضواء على نمط الانتاج الاسيوي ، تحرير ،احمد صادق سعد ،(بيروت- دار الطليعة) ،١٩٧٩.ص ٦٨

في اتحاد شامل لا تنفصم عراه مع اقرانهم ، فأن المصلحة المشتركة تظهر في هذه الحالة حينما يفكر الناس في أنهم ينتمون الى أسرة أو مدينة أو جماعة ما فأنهم يسهمون في مصلحة مشتركة مع غيرهم وهذا الاحساس بالارتباط مع الزمر الاجتماعية أو مع الطوائف يعتبر من خصائص الحياة الجمعية في العراق منذ مئات السنين [١].

أما بالنسبة للعلاقة التعاقدية ما بين الدولة والفلاح حيث تظهر الازدواجية فالدولة تفرض التزامات تكاد تكون برمتها لصالحها والفلاح لا ينال من حصيلة كده وعمله في طين الارض الاّ من الحد الادنى الذي يسمح بتجدد قوى الانتاج عنده بل غالباً ما يكون دون هذا الحد ، الا ان وجود العلاقة المصلحية المتبادلة بين الاثنين مساعد على ديمومة هذه العلاقة فالفلاح بحاجة الى دولة ذات هيمنة مركزية كي تقوم بالخدمات التي يعجز عن تحقيقها بمفرده فلا يمكنه الاستغناء عنها لأنها جزء أساسي من العملية الانتاجية التي يمارسها وذات طابع شبيه بالجماعي ومن خلال هذه العلاقة تظهر الازدواجية فالمالك الفرد محتاج الى خدمات الدولة من ناحية ومشتبك معها في صدام من ناحية أخرى لأنها تحول بينه وبين تحقيق تطلعاته [٢]، لذا فالملكية كانت بيد الدولة او على الاقل تلعب (الدولة) فيها دوراً كبيراً حاسما في الانتاج وفي السيطرة ولم تكن هناك ملكية فردية "حيث أن شكل الملكية كان قبلي أو متخذ شكل ملكية الدولة وكان حق الفرد بمفرده يقتصر على مجرد وضع اليد الذي لم يكن يشمله مثله مثل الملكية القبلية"[٣]، "ونظراً للسلطة التي كانت تمارسها الدولة أو المهام الاقتصادية والاجتماعية التي تتولاها كانت علاقة الانتاج ذات طابع مزدوج او ذات وجهين : فمن خلال المشترك كان المنتج يستفيد من اشراف الدولة ومهامها من جهة وكان يستغل من جهة اخرى وكان شيخ القرية يمثله ازاء السلطة المستغلة ، ويمثل هذه السلطة في وجهه الثاني ازاء القرية ، ولذلك فالمشترك هو النواة الاجتماعية التي تجعل المنتج عبداً عمومياً وليس عبداً فردياً لسيد فرد"[٤].

وعلى هذا الاساس يمكننا القول بأن مجتمعنا(العراقي) عبارة عن تشكلات جماعية وليس هناك اعتباراً للأفراد ألاّ من خلال وجودهم ضمن هذه العموميات وليست هناك صيغ فردية سائدة او اشخاص الاّ وكانوا ضمن مجموعة أو طائفة أو تجمع لذا فالنظام المشاعي أو الملكية المشاعية

---

[١] - ينظر في ماكيفر م ،و بيج.شارلز : المجتمع ،ت ، علي احمد عيسى ،(القاهرة-مكتبة النهضة المصرية)،ص٧١.

[٢] - سعد ، احمد صادق : ست دراسات في النمط الاسيوي للإنتاج ، مصدر سابق ، ص ٧٤.

[٣] - ماركس ،كارل. انجلس ، فردريك: منتخبات ، المجلد ١ ،ت ،الياس شاهين ،(موسكو-دار التقدم)،١٩٨٨ ،ص١٨٨.

[٤] - سعد ، احمد صادق ، مصدر سابق ،ص١٥٣.

هي التي كانت سائداً ولقد حدد ماركس طريقين بعد النظام المشاعي أما طريق الملكية الخاصة (العبودي)وأما طريق يتغلب فيه العنصر الجماعي على الملكية الخاصة(الاسيوي) وبما أن المجتمع العراقي هو من دول الانتاج الاسيوي فهو يتغلب عليه الطابع الجماعي.

والحق أن تبدل شكل الملكية لم يقضي كلياً على بعض الظواهر التي كانت سائدة كالعبودية (الرق) بل كانت موجودة ولها قسطها من العملية الانتاجية "ولكن الرق بذات الوقت لم يكن يشكل عنصراً أساسياً في مضمار الانتاج ، فقد تحول الى ما يعرف بالرق الابوي (البطريكي) كالخدمة في البيوت الذي كان يميل لان يجعل الفردعبداً من العائلة "[1]، ويقوم النظام الابوي البطريكي على خاصية التبعية التي تخضع الافراد لإرادته أذ تمثل هيمنة الاب(البطريرك) أحدى أهم سمات مجتمعنا ، ويبدو أنه المركز الذي تنتظم حوله العائلة وتعتبر ارادته هي المسيطرة أو انه صاحب الحق الاعلى في اتخاذ كافة القرارات .

وكان فردريك انجلز(F. Engels)قد اعتبر أن نمط الانتاج الاسيوي يتميز بالشكل الاستغلالي الجماعي المتمثل في عدم وجود الملكية الفردية الخاصة للأرض والمياه بالمعنى المطلق بقوله :"أن عدم وجود ملكية الارض هو بالحقيقة مفتاح كل أوضاع الشرق وفي هذا يكمن تاريخه السياسي والديني ،فضلا عن ماركس الذي أكد بدوره أن أسلوب الانتاج الاسيوي مرحلة بين المشاعية ونظام الرق تتميز بنمط الملكية الشرقية غير القابلة للتقسيم[2]. ونجد أن ملكية العشائر هي السائدة ولها الغلبة ،والملكية الفردية غير موجودة ويمكن أن نعزو هذا الى طبيعة النظام الاجتماعي والاقتصادي.

ومن جهة أخرى أذا اتبعنا المجتمعات الاوربية نجد بأن الملكية الفردية هي التي تلعب الدور الحاسم "وتعتبر الشعوب الحديثة التي حلت عندها الصناعة والتجارة شكل الجماعة الاقطاعي فقد بدأ بالنسبة لها مع انبثاق الملكية الخاصة والحق الخاص ، طور جديد كان قادرا على التطور واصبحت هناك ملكية خاصة مستقلة تماماً عن الجماعة"[3]،وبما أن الملكية الجماعية كانت قائمة في بعض منها على الروابط والصلات القرابية وغيرها فقد استبدلت الروابط القائمة على القرابة والدم بروابط أخرى قائمة على اسس اجتماعية او سياسية وهذا ما حدث للمجتمعات الاوربية ، في حين ان صلات القرابة في مجتمعنا بقيت الروابط الاساسية واستمرت العشيرة أو العائلة بكونها

[1] - سعد ، احمد صادق ، مصدر سابق ،ص٧٨.

[2] - بركات .زكي ، عبد الرحيم . مصطفى : مصدر سابق ،ص ٥٤.

[3] - ماركس. كارل ، انجلس ،فردريك ، مصدر سابق ،ص ١٨٩.

الوحدة الجوهرية للعلاقات الاجتماعية والسياسية للمجتمعات العربية [1]، فضلا عن ذلك تعتبر الأسرة الى حد كبير هي المحدد لحياة اعضائها تضع القواعد لكل ما يتعلق بشؤون حياتهم لذا فهي كرابطة مؤسسية بصفة خاصة تحقق اغراضاً معينة لأفرادها.

ولابد من الإشارةالى أن ذلك الواقع فرض على المرأة أعباء كثيرة "فكان عليها أن تتحمل تحكم الرجل* واستبداده فقديماً وفي بعض المناطق لم تكن هذه المرأة بأفضل من العبد أو قطعة الاثاث ولم يكن من النادر أن تحل النزاعات العشائرية على حسابها اذ تدفع هي كـ(فصل) أي ثمناً لتسوية نزاع اراق دماً أو كان سيريقه"[2]، أن التغير لا يأتي ألاّ مع تبدل نوع العلاقة القائمة بين الرجل والمرأة وذلك عن طريق الممارسة في المجتمع وهذه عملية طويلة الامد تشتمل على تربية ترتكز على المساواة بين المرأة والرجل في جميع مراحل العمر منذ الولادة حتى الممات ، مساواة في الحقوق والواجبات خارج المنزل وداخله ، وفي تربية الاطفال[3].

أذا تتبعنا ظروف العمل في المدن نجدها تختلف عما هي في الريف حيث " العمل في المدينة وهي واقع تركز السكان وأدوات الانتاج والرأسمال بينما في الريف واقع مناقض تماماً العزلة والتشتت ولا يمكن للتضاد بين المدينة والريف أن يقوم ألاّفي اطار الملكية الخاصة وهذا التضاد يعبر بأحد أشكاله عن خضوع الفرد لتقسيم العمل ولنشاط معين مفروض عليه"[4] ، أن هجرة العاملين الريفين الى المدينة وهم منفردين لم يستطيعوا يوماً أن يصبحوا قوة لان أرباب العمل كانوا يخضعونهم لأنفسهم وينظمونهم وفق مصالحهم الخاصة ، لذا كانت اتحادات المدن حقيقية ولدتها الحاجة المباشرة وكان الصناع والمهنون منظمين في كل حرفة لان هذا كان يتفق على خير وجه مع مصالح ارباب العمل [5]، لذا فنظم المدينة وطبيعتها السائدة تحتم تشكل الجماعات لان التهديد للذات يتفاقم مالم يكن هناك احتواء اجتماعي جماعي للفرد .

---

[1] - ينظر في شرابي ، هشام : النظام الابوي واشكالية تخلف المجتمع العربي ، مصدر سابق .

[2] - بطاطو ،حنا : العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهورية ،مصدر سابق ،ص١٧٥.

[3] - شرابي ، هشام : النظام الابوي واشكالية تخلف المجتمع العربي ، مصدر سابق ،ص٥٢.

(*)وما نود الاشارة اليه هنا بان لدينا في المجتمع العراقي الكثير من الامثلة التي تؤكد عبودية الرجل للنساء والاطفال وحتى من منظورات التسمية حيث تطلق النساء تسمية(ابونة) بالعامية سواء على الزوج او الاب للإشارة منها الى انه صاحب الارادة والمقرر للأمور او صاحب السيادة العليا او غيرها.

[4] - نفسه ،ص١٥٣.

[5] -شرابي. هشام: النظام الابوي واشكالية تخلف المجتمع العربي ، مصدر سابق ،ص ١٥٥.

هذا فضلا عن التبعية الاقتصادية التي تعتبر واحدة من مؤشرات الدول النامية حيث تشهد تفككاً في الدورة الانتاجية والاستهلاكية "فما أن كان النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى لم يكن هناك مفر من المد الحضاري الذي اجتاح المجتمع التقليدي وادى الى نشوء نخبة تشربت ثقافة الغرب الى حد ما وقد ادمج اقتصاد المجتمع العربي بالنظام الاوربي العالمي فما ان اندلعت الحرب العالمية الاولى حتى كان المجتمع العربي هامشياً آمناً للسوق العالمية الرأسمالية مما رسخ آنذاك علاقة التبعية الاقتصادية والثقافية"[1]، مما جعل اقتصاد المجتمع العربي برمته أسير الاقتصاد الخارجي وما ينتج عن الاقتصاد التابع من تبدد الثروات وعدم استخدام الأيدي العاملة والاعتماد الكلي على المصادر الخارجية مما يحطم اقتصاد الدول النامية ويعزز بنفس الوقت اقتصاد الدول الرأسمالية.

أن من الامور الاساسية التي وصفها ماركس لأنظمتنا الشرقية هي (الوحدة المكتفية بذاتها بين الصناعة اليدوية والزراعة) داخل مشاعية القرية والتي تحوي في داخلها كافة شروط اعادة الانتاج وانتاج الفائض ، حيث نظر ماركس الى أن الغياب النظري للملكية في الشرق يخفي وراءه الملكية المشاعية أو القبلية التي تشكل اساس هذا النظام وهذا ما يجري فعلا في واقع مجتمعنا التي تتملك فيها الجماعات للأراضي وتختفي فيه ملكية الفرد[2] .

أن تملك الجماعة لكافة القوى المنتجة يقلل من النشاط الذاتي للفرد كما يجعل من سيطرة الجماعة على هذه القوى هو استملاك للطاقات الفردية وهذا بدوره مرتبط ببنية المجتمع التقليدي.

وهي القناعة الاساسية التي تقدم بها ماركس:فالتحرر الفعلي للأفراد مرتبط بالمجتمع وبأنظمته المختلفة ومنها الجانب الاقتصادي أي الجانب المادي أذ "أن أنتاج الأفكار والتصورات والوعي مشبوك منذ بادئ بدء بنشاط الناس المادي وبلغة الحياة الفعلية وان تشكل تصورات الناس وتفكيرهم ومعاشرتهم الروحية هي نتيجة مباشرة لأفعالهم المادية"[3].

---

[1]- سعد ، احمد صادق ، ست دراسات ي النمط الاسيوي للإنتاج ،مصدر سابق ، ص٧٦.

[2]-ينظر في سعد ،احمد صادق ، ست دراسات في نمط الانتاج الاسيوي ،مصدر سابق ،ص ٥٦.

[3]- ماركس. كارل ، انجلس .فردريك: منتخبات ،مصدر سابق ،ص١١١ .

الفصـــــــل الرابع

البيـــت التقليـــدي: الاتجاهات نحو التفرد والتقليد

١-المبحث الاول

ملاحظات انثروبولوجية : (البيت التقليدي)أنموذجاً

الحاضنة الاساسية للجماعات التقليدية

٢-المبحث الثاني

المجتمع العراقي وطبيعة العلاقات الاجتماعية التي تستند اليها الجماعات التقليدية

٣-المبحث الثالث

المجتمع العراقي والبنى الاقتصادية للجماعات التقليدية

٤-المبحث الرابع

المجتمع العراقي و(الانظمة التربوية) واثرها في بيان اتجاهات التفرد والتقليد

٥- المبحث الخامس

خصائص الفردانية

الفصل الرابع

البيت التقليدي: الاتجاهات نحو التفرد والتقليد

المبحث الاول: (البيت التقليدي)

ملاحظات انثروبولوجية في تفكيك الحاضنة الاساسية للجماعة التقليدية

يتميز البيت التقليدي(Traditional House) بكونه أول حاضنة أساسية للجماعات التقليدية وكل ما يدور داخل البيت من تفاعلات وسلوكيات وأنماط معيشة مختلفة ينعكس على نمط حياتنا بشكل كبير، واذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ثقافة المجتمع العراقي نجد أنها ثقافة تقليدية تعكس ما يدور داخل البيت التقليدي فثقافتنا العراقية خاضعة وبشكل أساس الى الموروث ما يجعلنا محكومون مسبقاً بكل ما هو متوارث، وحتى لو كان لدينا رؤية نقدية جديدة في ضل أنظمتنا ومجتمعاتنا فأن ذلك يمثل تحدياً أو خروج على ما هو مألوف .

ولايزال المجتمع التقليدي يدين كل (فرد) غير متماثل مع ما هو سائد من أحكامه أو غير المنسجم مع أنماط التقاليد والأعراف السائدة في تلك المجتمعات ،ويعتبر الاتيان بأنظمة جديدة أو بديلة بمثابة تحدي للأيديولوجية ونسف للأصالة التراثية ،وهذا ما يحول دون الثورة عليهاأو مجرد التفكير بالبديل.

وبما أن البيت هو أول حاضنة للجماعة التقليدية فهو النواة الاساسية الذي يضم تفاعل الجماعات التقليدية وتعاونهم وتكافلهم ،ويعد البيت العراقي الريفيأحد المكونات الاساسية الذي نستطيع من خلاله أن نتعرف على مكونات الثقافة التي كانت سائدة والتي تلتقي عندها مجموعة من العلاقات المتشابكة مع بقية العناصر الثقافية الاخرى، أن فكرة دراسة البيت التقليدي تمكننا من التعرف على أبرز أنماط الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية التي كان معمول بها وبالتالي انعكاساتها على هيكلية البيت التقليدي ومن هذا المنطلق نتلمس معرفة اثر التبدلات أو التطورات التي أصابت تلك الانظمة واثرت على تلك الحاضنة الاساسية .

ولعل أهم مميزات البيت العراقي التقليدي ، هو الاتساع الكبير أي المسافة الكبيرة التي يتكون منها ، كما أن نمط التفكير التقليدي للبيوت العراقية نتج عنه الشكل المنتظم المخطط للبيت التقليدي، الذي عادة ما يتكون من فسحات متصلة بعضها مع بعض ومتقابلة حول فناء مركزي مكشوف ، يتألف من جناح يحتوي على (الليوان)(Liwan)الذي هو: " مظلة مسقوفة محمولة على اعمده وهو من الاشياء المفضلة في البيوت القديمة ويبني على طول الجدران الداخلية المطلة على الساحات الداخلية المكشوفة"[١]،تحف به من الجانبين غرف ،واهم ما يميزه هو وجود (الفناء)(The yard)،ويمكن تعريف الفناء على "انه مساحة من الارض الفضاء ،تقع داخل أو خارج المبنى وتطل عليها بعض نوافذ الحجرات ،ويستخدم كعنصر معماري في تصميم المبنى لتلطيف درجات الحرارة داخل الحجرات ولإضاءتها وتهويتها"[٢] لذا فأهم مميزات تلك البيوت التقليدية هي طريقة تصميمها وبنائها ، "وكانت البيوت تتسم بالبساطة الاّأنها تكون عالية البناء وتتكون من دور واحد فقط ومعظم هذه البيوت محاطة بسياج من البناء العالي ومن الملاحظ ان معظم البيوت ليس لها نوافذ على الخارج ونادراً ما يكون للغرفة التي في السطح نافذة تطل على الخارج"[٣].

وكما قلنا مسبقاً أنه بسب أتساع المنازل أنتفتالحاجة الى بناء عدة طوابق فهو لا يزيد على طابق واحد(الطابق الارضي) وتتميز البيوت القديمة أو الريفية بعدد من الميزات فضلاً عن اتساعها أذ نجد الرسوم الجدارية ،كما تستخدم في داخل تلك البيوت المصنوعات اليدوية من سعف النخيل ،أو تعليق السجاد ذو الالوان الزاهية والذي يكون متنوع في الرسوم كما،" تتميز تلك البيوت بكونها تبنى من الطين والقصب ومن اللبن المصنوع من الرمل والطين وتضاف الى مونة السقف روث البهائم لكي تكتسب صلابة اكبر"[٤] ، وتكون البيوت ملتصقة مع بعضها وللبيت واجهة واحدة فقط " فلم يراع في تخطيطها تلك السعة التي تتطلبها الان ضرورات صحية ،ولم يراع فيها ذلك التعامد في التقاطع الذي تمتاز به شوارع اليوم في تصميم المدن الحديثة"[٥]،ونظراً لبساطة الحياة لديهم والاعتماد على الطبيعة فقد استخدمت في بناء تلك الدور مواد بسيطة تتلاءم مع

---

[١] - سنبل ، اميرة ، واخريات: النساء العربيات في العشرينيات حضورا وهوية ، (بيروت- مركز دراسات الوحدة العربية)،ط/ ٢ ، ٢٠١٠ ،ص٥٤٦.

[٢] - http.// ar.m.wikipedia.org.>wik i

[٣] - سنبل ،اميرة ، واخريات ، المصدر نفسه ،ص ٥٤٦.

[٤] - الجوهري. محمد: الانثروبولوجيا ،اسس نظرية وتطبيقا عملية ،(القاهرة-دار المعرفة الجامعية)،١٩٩٦ ،ص

[٥] - حسن .محمد عبد الغني :ملامح من المجتمع العربي ،(الاسكندرية-دار المعارف)،١٩٥١ ،ص٧٧.

طبيعة حياتهم و عادةً ما تكون أرضية البيت رملية مماثلة لأرض الصحراء أما عدد الغرف فكان محدد لأن اجتماعات الافراد ونقاشاتهم وحواراتهم تتم في مكان واحد.

ومن ألمهم أن تكون "هناك غرفة لاستقبال الضيوف أو للجلوس وموقعها يكون بعد الباب الخارجي الرئيس للبيت مباشرةً ،بحيث أن القادم يدخل مباشرةً من دون المرور ببقية أجزاء البيت"[١] ، ولا تمتلك تلك البيوت غرف نوم كثيرة بل أن من المعتاد أن ينام اكثر من شخص في مكان واحد ،وتمتلك تلك البيوت خصوصية بدرجة كبيرة، وبداخل تلك البيوت توجد غرف لتخزين المؤن أو المواد الغذائية وكذلك تحتوي على "فرن الذي يتم تجهيز الخبز فيه عن طريق عجن الدقيق ثم يوضع في اطباق مصنوعة من الطينتضع في الشمس لمدة من الوقت ثم ينتقل الى الفرن"[٢]، وقد يستخدم لطحن الحبوب أداة الرحى التي تدار باليد ،كما أن عدم توفر طرق لتوزيع المياه "يضطر الناس الى تخزينها في صحيفة اسطوانية بأسفلها صنبور للانتفاع والاستفادة من المياه، كما تمتلك تلك البيوت مكاناً للحيوانات ونجد أن من تكثر لديهم الحيوانات مثل المواشي والطيور يخصصون زرائب لها في ركن معزول عن البيت"[٣] ،أما بالنسبة لجدران تلك البيوت فتتميز بالارتفاع ليس فقط للحماية وإنمالإبقاء النساء بعيداً عن العيون [٤]. وذلك يعود لأسباب اجتماعية فرضتها التقاليد والاعراف السائدة والنظرة المحافظة آنذاك.

ولكن بفضل التغيرات و التطورات طرأت بعض التحولات على تلك المنازل ،وقد صاحب تلك التغيرات استخدامالأثاثالحديث المصنوع من الخشب "ولكن من المؤكد أن اثاث حجرة النوم هو الذي عكس بشكل واضح الفروق الاجتماعية والاقتصادية بين الاسر المختلفة"[٥]، أما دورة المياه فقد ادخلت حديثاً في بعض المنازل ، حيث أن بيوت القرية القديمة كانت أما تمتلك دورة مياه او لا ،واذا ما وجدت فأنها عبارة عن حجرة صغيرة غير مسقوفة لها باب خشبي،ومن هذا يتضح مدى تأثير المنزل بالظروف والتغيرات التي تطرأ على الاحوال الاقتصادية والاجتماعية وارتباطها بالتراث التقليدي السائد في المجتمع. ورافق تلك التحولات التي طرأت على البيوت التقليدية "الرغبة في الاستقلال منذ بداية تشكيل الأّسرة الجديدة وهذا بدوره ارتبط بالارتفاع في مستوى المعيشة الاقتصادي والاجتماعي ،حيث أصبحت البيوت تبنى من الحجارة الصخرية

---

١ - حسن .محمد عبد الغني :ملامح من المجتمع العربي ، مصدر سابق ، ص٧٨ .

٢ - الجوهري .محمد :الأنثروبولوجيا ،اسس نظرية وتطبيقات عملية ، المصدر نفسه ،ص٤٦٩

٣ - ينظر في نفس المصدر ، ص٤٦٥ ،

٤ - ينظر في حسن. محمد عبد الغنى : ملامح من المجتمع العربي ،(الاسكندرية-دار المعارف)،١٩٥١ ،ص٧٢.

٥ - الجوهري .محمد : الانثروبولوجيا اسس نظرية وتطبيقات عملية ، المصدر نفسه ، ص ١١٠.

وحجراتها المسقوفة بالإسمنت المسلح ،والاتساع في النوافذ على خلاف النمط الذي كان سائداً والذي يتميز بضيقهٌ"[1]، لذلك يمكن القول أن التغيرات في الثقافة المادية التي تشمل (أثاث البيوت ،والعمل المنزلي، وتغير هيكلية البيت ،واحداث تغير في شكل البناء) هي أكثر قابلية على التغير من العلاقات والقيم والافكار الموروثة ،أي أن التغيرات تمس الجانب المادي اكثر من الجانب المعنوي المتمثل بالقيم والعادات والافكار وذلك راجع الى العقلية التقليدية والمحافظة التي لا تفضل الاتيان بالجديد وتتمسك بكل ما هو متوارث باعتباره أرث الاسلاف السابقين من الاباء والاجداد مكتفية بالتغيرات التي لا تمس جوهر الاعراف والتقاليد المتبعة.

ومن الجدير بالذكر أن العقود الاخيرة شهدت" تغير واضح بالنسبة لحجم المسكن والغرف التي يتضمنها مما يعكس طبيعة التغيرات التي طرأت على حجم الأسرة وخصائص الثقافة التقليدية"[2] ،"أما الامور الصحية التي يفضل الافراد توفرها في السكن فتعكس ابعاد هذه التغيرات التي طرأت على الطابع المعماري حيث يهتم الافراد بتوفير وسائل الراحة والصحة بالمسكن"[3] وأنشئ عمران جديد على حساب العمران القديم ،"واتسمت بأنماط ومعايير غربية وبالتالي امتدت عمارات و أبنية على مساحات واسعة قد قلصت بالنتيجة من المناطق والقرى المجاورة المختلفة" [4] .

لقد كان البيت العراقي يتكون من نسيج مواد بناء بسيطة لا تتعدى الطابوق المصنوع من الطين مع ارضية رملية فضلا عن ذلك يتميز بكونه يراعي أساسيات متعلقة بالتقاليد الاجتماعية ومنها ارتفاع جدرانه وخلوة من الشبابيك الارضية مراعاة لقيم كانت سائدة كما هو الحال في مدينة النجف حيث يتميز البيت العراقي قديماً بخصائص عمرانية ترتبط بمتطلبات الواقع الاجتماعي والديني والبيئي "حيث يتميز بكونه انعكاساً لقيم المجتمع الاسلامي وخصوصيته الدينية والخصوصية الانغلاقية العالية وتجاوبه مع الظروف البيئية السائدة وتوافق خصائصه مع واقع المجتمع واهدافه[5]أن تصميم البيوت العراقية يعكس قيم اجتماعية كانت سائدة منها ما يراعي التماسك الاجتماعي والمشاركة الجماعية ومنها ما يعكس مبدأ الانغلاق أو الخصوصية الانغلاقية العالية كذلك ارتباط فضاءاته الداخلية مع بعضها وقلة الفتحات الخارجية في الطابق

---

[1] - ينظر في المصدر نفسه ،ص ٤٧٠.

[2] - الجولاني .فادية عمر: المحتمع الانساق التقليدية المتغيرة ،(الاسكندرية –المكتبة المصرية)،٢٠٠٤،ص٢٢٦.

[3] - المصدر نفسه ،ص٢٢٧

[4] - الجوهري .محمد :الانثروبولوجيا ،اسس نظرية وتطبيقات عملية ،المصدر السابق ،ص.١١٢

[5] - الخطيب. ماجد مطر عبد الكريم: الفكر التخطيطي واثره في تصميم البيت التقليدي في المدينة العربية الاسلامية ، مجلة كلية المأمون الجامعة ، العدد السادس عشر ٢٠١٠، ص٤٩.

الارضي وعدم وجود غرف متعددة مما يلغي الاستقلالية أو الخصوصية لكل فرد "كما تميزت مواد البناء المستخدمة بالبساطة فهي مقتصرة على الجص والحجارة والسقوف تبنى من خشب الاشجار وجذوع النخيل ومن القص"[1].

وفي وقتنا الحاضر وبتأثيرات عوامل مختلفة اجتماعية واقتصادية ومورفولوجية اثرت على طبيعة هيكلية البيت فارتبط نوع المسكن بتلك التغيرات التي شهدها المجتمع العراقي حيث زاد الاهتمام بمساحة تلك البيوت وفضاءاتها الداخلية التي اخذت تراعي الخصوصية الفردية حيث ازداد عدد النوافذ واخذ يستخدم مواد بناء جديدة ،وتأثر البيت العراقي التقليدي بمجموعة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والديموغرافية والتي اثرت على تحديد شكل السكن ومساحته و هيكليته الداخلية وهذه العوامل كالآتي[2]:

١–الوضع الاجتماعي للأسرة ونمط حياتها وطريقة استعمالها للمساكن ينعكس في تصميم المسكن من حيث السعة وعدد الغرف.

٢–حجم العائلة وتركيبها العمري والجنسي وموقعها ضمن حياتهم يسهم في عدد وحجم الفضاءات السكنية .

واذا ما أردنا تحليل هذه العوامل ومطابقتها في وقتنا الحاضر نجد أنها تنسجم مع متطلبات الحياة الحديثة حيث أخذ يراعي التركيب العمري والجنسي وبات يصبح لكل فرد غرفة مستقلة له أو فضاء سكني مستقل يمتلكه كل فرد في الاسرة العراقية الحديثة ،فقديماً كان لا يراعي الظروف العمرية أو الجنسية فالأفرادكلهم يسكنون في مكان واحد ويتشاركون انشطتهم بشكل جماعي وتطغى على حواراتهم وافكارهم قيم جماعية وهذه تعتبر أهم مميزات البيت التقليدي ونظراً لشدة تطبيق العادات والتقاليد وفرض سلطتها على كل الافراد تلغي أي خصوصية فردية وهذا ينعكس على قلة عدد الغرف ومشاركة الافراد وتجمعهم في مكان واحد ، حتى أن دخل الفرد كان يتقاسمه مع افراد عائلته لأن شدة الضوابط والاعراف كانت تحتم المشاركة الجماعية حتى في دخل الفرد الواحد نتيجة ازدياد متطلبات الحياة والتطورات التي مست جوانبها كافة منح بعض الاستقلالية الاقتصادية عن الارتباطات الجماعية .

[1] - الشرقي ، علي : موسوعة الاحلام ، القسم الرابع ،(بغداد- مطبعة العمال المركزية)،١٩٩١ ،ص ٩٥-٩٦.

[2] - الخطيب. ماجد مطر عبد الكريم : الفكر التخطيطي واثره في تصميم البيت التقليدي في المدينة العربية الاسلامية ،مصدر سابق ،ص٤٦.

الفصل الرابع : المبحث الثاني

المجتمع العراقي وطبيعة العلاقات الاجتماعية التي تستند اليها الجماعات التقليدية

يتميز المجتمع العراقي بكونه مجتمعاً عائلياً وبالتالي عشائرياً . فالعائلة تعتبر النواة للتنظيم الاجتماعي والنشاط الاقتصادي ، في ظل العائلة العراقية يتوارث الابناء انتماءاتهم الدينية والطائفية والعرقية والطبقية الى حد كبير . وتقوم الأسرة على تنشئة ابنائها وفق ثقافة المجتمع ، حيث الطاعة الأبوية واحترام الأسرة ،"واتسمت ثقافة المجتمع العراقي القديم بالطابع التقليدي والاتجاه المحافظ بالنسبة للقيم المتعلقة بالولاء للمجتمعات المحلية والقيم المتعلقة بالأرض والنعرة القبلية والتعصب للعائلة"[1] .

وتميزت العلاقات الاجتماعية في البيوتات التقليدية العراقية، بالتماسك العائلي الذي يبدو واضحاً من خلال اعتماد الأفراد على بعضهم بعض ،أما النظام الابوي في تلك البيوتات التقليدية فيتميز بتسلطه أذ يكون الافراد خاضعين له حيث العلاقات تكون تسلطية يمكن أن نسميها (بنية ابوية)(parental structure) ذلك أن نظام الرعاية الذي يحظى به الطفل يكون نظاما قائما على تسلط الاب وتحكمه ، "وتشير القيم التقليدية المتعلقة بالسلطة الى أن الاكبر سناً والذي يمارس دور السلطة في العائلة ذو المكانة والهيبة في المجتمع لا يمكن تخطيهم"[2]، وهكذا فأن هذه البنية الابوية تجعل من الفرد خاضع وتضلل حريته وتعيق استقلاله وبالتالي ليس على الفرد الا أن يتقبل وضعه الحياتي .وذلك لان هذه الثقافة التقليدية تؤمن للفرد انتمائه الى طبقة أو فئة اجتماعية ،وبذلك يستفاد الفرد من خلال علاقته به ، وكانت" مواضيع قمع الطفل واساليب الرعب تتحول في مرحلة الشباب ،الى خضوع شكلي وعدم الوداد داخلياً ازاء الاب، والغير،والرئيس في العمل ،أي الى ازدواجية في السلوك"[3]، أذ يكون الاطفال خاضعين تماما لتسلط الاب ويتوجب عليهم أيضاً الطاعة المطلقة له مما يولد علاقات تكون اشبه بالعلاقات القسرية القائمة على القوة والضبط وتقبل الاوامر المفروضة ثم تتحول هذه العلاقات في مرحلة الشباب الى انعدام المودة و سيادة نوع من الكراهية تجاه الأب أو رئيس العمل الذي يصدر الاوامر

---

[1] - الجولاني .فادية عمر : المحتمع ،الانساق التقليدية المتغيرة ،(الاسكندرية –مكتبة مصر)،٢٠٠٤،ص١١٣.

[2] - الجولاني.فادية عمر :المحتمع ،الانساق التقليديةالمتغيرة ، المصدر نفسه ،ص١٨٦.

[3] - زيعور .علي :البنية النفسية للذات العربية انماطها السلوكية والاسطورية ، (بيروت – دار الطليعة)،ط/٣، ١٩٨٢،ص٤٨

،"وذلك لأن التواصل قد اتخذ طابع توجيه الاوامر والتبليغ والتحذير والتهديد والتلقين والتوبيخ والتخجيل وأملاء الاوامر والتعليمات[١].

أن المجتمع الأبوي يشجع سيادة العائلة الكبيرة ويحد من العائلة الصغيرة وذلك بسبب تركيبه ويلاحظ في هذا المجال أنه بمقدار ما يسمح للعائلة الصغيرة بالتوسع يقابله تقلص في السلطة الابوية، وكان الفرد في ذلك النظام يقبل ما هو موجود ولا يتطلع ببصره الى ما بعده ، "أن الجماعة المبنية على علاقات الدم مثل الأسرة أو العشيرة يكون الفرد فيها مرتبطاً بأنظمة وروابط اجتماعية واخلاقية لا يمكن التحرر منها"[٢] ، حيث أن الاسرة التقليدية الكبيرة تقاوم الميول الاستقلالية بل وتقاوم الفردية ضمنها ولا يوجد قطاع خاص في الاسرة –العشيرة كل شيء عام ومشاع والانسان نفسه ملكية عامة ضمن هذه المؤسسة وكل ميل الى الفردية أو الذاتية يفسر كتهديد لتماسك الاسرة وخروجها عن سطوتها[٣]، ذلك أن العائلة التقليدية هي أول نظام اجتماعي يولد أو ينمي لدى الفرد تركيبا خاضع لنظام اجتماعي متسلط ،حيث أن الانتقال من التبعية الى الاستقلال الذاتي داخل العائلة التقليدية يبدو ناقصاً ،وبالتالي مستحيلا "فالفرد لا يستطيع توحيد انشطته وفق مصالحة الذاتية بل وفقاًلمصالح وتطلعات وأماني العائلة التي ينتمي اليها"[٤]،فالعائلة التقليدية الابوية في تركيبها تواصل غرس مفاهيم ومواقف تتصف بالتبعية وتنتج افراد خاضعين غير مستقلين وتبدو أهمية ذلك من النواحي الاجتماعية فـ العائلة العراقية التقليدية تنشئ أشخاصاً او أفراداً يخشون الحياة والسلطة باستمرار وهي وفقاً لذلك تحدث تكرارا وتشابهاً ،حيث أن الافراد في ضل مجتمعنا التقليدي يكونون منساقين وراء أفكار واتجاهات موروثة وانماط متشابهة من حيث التفكير واساليب المعيشة والالتزامات والعلاقات الاجتماعية وغيرها ،هذا فضلاً عن كل ما ورثة ابائنا واجدادنا من خشيه السلطة والتزاماتهم الدينية وتقيدهم بالقوانين وتتبعهم لكل ما هو متعارف عليه أو ما هو متبع مسبقاً ، حاولوا أن يرثوه لنا وبنفس الطريقة ،وبالتالي يصبح الافراد متشابهين في جميع النواحي الفكرية والنفسية لأنهم اتبعوا نفس الوتيرة السابقة التي سار عليها الآخرون قبلهم.

---

[١]- بركات .حليم : المحتمع العربي في القرن العشرين ،بحث في تغير الاحوال والعلاقات ،مصدر سابق ،ص٣٨١.

[٢]- منهايم .كارل :علم الاحتماع النظري ،ت .احسان محمد الحسن ،(بغداد –دار الكتب)،١٩٩٣،ص٧٥.

[٣]- ينظر في حجازي مصطفى: التخلف الاحتماعي مدخل الى سيكولوحية الانسان المقهور ،(الدار البيضاء-المركز الثقافي العربي)،ط/١٠، ٢٠٠٧، ص١١٦.

[٤]- المصدر نفسه ،ص٧٥.

كما أن ولاء الفرد في ظل الجماعة التقليدية يكون محصوراً بالعائلة والجماعة التي ينتمي اليها ،وتكون الفروقات الأساسية والمميزات ما بين الافراد موضع تجاهل وعدم الاهتمام بينما التوافق والتماثل هو السائد، وذلك لأن الاختلاف في المجتمع التقليدي بمثابة تحدى للقيم والقوانين السائدة فلا يشعر الافراد بذاتهم الاَ من خلال انتمائهم للروابط التقليدية "فالفرد في ذاته لا قيمه له لكنه يستمد قيمته الاساسية من العائلة فهو يعمل من اجلها ويتزوج وينجب من اجلها في قالب من الجمود والانطوائية والسلبية تجاه القضايا القومية"[1] ،وذلك راجع لأسباب عديدة منها ما يخص عملية التنشئة الاجتماعية المتوارثة والتي تكون قائمة وفقاًلأسس مستقرة وثابتة غير قابلة للتبدل والتي تجعل من الافراد متماثلين بحكم التواجد الدائم مما يؤدي الى عدم نضوج الوعي الفردي والذات المستقلة ،وشيوع الافكار المتماثلة والسلوكيات المتشابهة، وهذا ما يؤكد بان المجتمع المتجانس هو من "يعتمد على التقليد الميكانيكي والتقيد بالتقاليد المتشددة والصلبة ،وهذا المجتمع لا يسمح بانحراف أفراده عن سياقاته الاجتماعية وعاداته وتقاليده "[2]،مما يؤدي الى انعدام الاتجاهات الفردية وتكون الطاعة أهم من الاستقلال الذاتي.

كما أن كل القرارات المتعلقة بالفرد في المجتمعات التقليدية ومن ضمنها مجتمعنا العراقي تكون مناطة بمجتمعه ولا تسمح تلك الانماط السائدة للفرد بالاستقلال، فقراره مقرر سلفاً من قبل مجتمعه كذلك الامر فيما يخصأصدقائه أو شريك حياته أو مكان عيشه أو هواياته المختلفة وهذا الامر لا يسمح له بالتفكير والابتكار والابداع في اتخاذ أي قرار فردي –شخصي كما أنه يشل عنده الطموح والتميز والاستقلال الذي يطمس طاقاته ويحول دون نموها وتطورها[3].

وعلى الرغم من أن العائلة التقليدية قد تشكل عقبات أمام التغيّر ألاّأنها تنهض بوظائف نفسية مهمة على المستوى الفردي فهي تساعد العناصر الضعيفة على التصدي للأخطار الخارجية(الطبيعية والانسانية) وتساعدهم على تحقيق الاصالة الذاتية من خلال القدرة على مجابهة الواقع أي أنها تقدم لهم هوية أسرية تساعدهم على الانتماء للمؤسسات الاجتماعية[4].

ومن خصائص ثقافتنا التقليدية العراقية هي تفضيل الذكور على الاناث ،أي أننا مجتمعات ذات أتجاه ذكوري أذ تبرز الهيمنة الذكورية مقابل الموقع الدوني للإناث،"حيث

---

[1] - الجولاني .فادية عمر :المجتمع ،الانساق التقليدية المتغيرة ،ص١١٤.

[2] - منهايم.كارل : علم الاجتماع النظري ، ت. احسان محمد الحسن ،(بغداد –دار الكتب)،١٩٩٣،ص١٤٨.

[3] - ينظر في العمر .معن خليل : التفكك الاجتماعي ،(الاردن-دار الشروق)،٢٠٠٥،ص٢٦.

[4] - حجازي .مصطفى: التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور ،مصدر سابق ،ص١١٦.

خلفة الاولاد الذكور ونظرتهم للإناث ترتبط أشد الارتباط بالنعرة القبلية وعذوة العائلة والتمسك بقيم العرف والكرامة ،و أن انجاب الابناء الذكور وكثرة عددهم ترفع في نظرهم قيمة المرأة التي تلد ذكوراً اكثر ممن تنجب اناثاً"[1]،وهذا نجده مرتبط ارتباطا وثيقا بالثقافة التي كانت سائدة "حيث أن البنت تدفعها العائلة منذ طفولتها المبكرة الى الشعور بأنها عبء غير مرغوب فيها"[2] وخلال عملية التنشئة الاجتماعية يتم منح الامتيازات والأفضلية للولد أكثر من البنت في الحقوق والواجبات والالتزام الاسري والاجتماعي،حيث أن التيار الذكوري يضغط على المرأة نتيجة لعوامل التنشئة الاجتماعية القائمة على تفضل الذكور على الاناث واعطاء الاهمية والأولوية دائما على حسابها سواء في بيت العائلة أو في بيت الزوج " تعرضت المرأة خلال التاريخ الى ظلم مزدوج ، الظلم الواقع على الطبقات الدنيا وعلى المجتمع كله الظلم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ،ومن جهة أخرى ظلم الرجل المباشر الذي استطاع من خلال هذه الظروف أن يكون الامر والناهي والسيد المطاع"[3] .

كما كانت الاناث محرومات من التربية والتعليم أما الرجل فمسموح له بممارسة التعليم مع إعطائه قدر كبير من الحرية والاستقلالية التي من خلالها يمارس تسلطا واضطهاد على المرأة "له الحرية ولها الرق ، له العلم ولها الجهل ، له الامر والنهي ولها الصبر والطاعة"[4] ،ومن هذا نستنتج بأن المرأة كانت مضطهدة محرومة من مزاولة أي مهنة أو عمل نتيجة الضغوط التي تمارس عليها والتفرقة من قبل العائلة و المجتمع التقليدي ذي الصورة التقليدية والهيمنة الذكورية ،فقد كانت شخصية مسلوبة الارادة مسيطر عليها غير قادرة على الاستقلال أو المطالبة بحقوقها سواء في المنزل او حقها في التعليم نتيجة الممارسات والعادات التقليدية التي تجعلها خاضعة ومنصاعة لأوامر الاب والزوج ومكتفية بالأعمال المنزلية وتربية الاطفال وتلقي الأوامر مما يولد لديها الشعور بالعجز .

وقد مرت الأسرة العراقية عبر الزمن بتبدل في الاحوال واختلاف بأنماط المعيشة و التركيب، "حيث أن من المعايير التي كانت سائدة هي المحافظة على البناء الثقافي المتوارث ،وعدم القدرة على الاقبال تجاه تطويره أو تعديله أو نقده والذي كان من أبرز سماته الطاعة

---

[1]- الجولاني .فادية عمر : المجتمع ،الانساق التقليدية المتغيرة ، المصدر نفسه ،ص١٤٣.

[2]- بركات .حليم :المجتمع العربي في القرن العشرين ،بحث في تغير العلاقات والاحوال ، المصدر نفسه ،ص٣٨٢.

[3]- المصدر نفسه ،ص٣٧٢.

٥- نفسه ،ص٣٧٣.

المطلقة من جانب الصغار تجاه الكبار"[1]، ولكن بفضل التطورات وانفتاح العوالم المختلفة والدخول في حقبة زمنية متطورة وشيوع الكثير من الانظمة اختلفت كيانات العائلة حيث أن "تطور العائلة ارتبط بالتطورات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وما يواكبها من تطورات في مجال التعليم واتساع المدن والتصنيع وانتشار بعض القيم التي تشدد على أهمية الفرد بالمقابل مع التشديد على اهمية العائلة"[2] ، "كما أخذت العائلة تنتقل من الاسرة الابوية القديمة الى الاسرة الديمقراطية القائمة على قيمة المساواة بين الاطراف المكونين لها"[3] . و تغيرت بنى العلاقات الاجتماعية والروابط القرابية وأصبحت تتخذ شكل العلاقات السطحية "و تبدلت القرابة من المفهوم المعنوي أو الاخلاقي الذي يقترب من المعتقدات الدينية والذي يستلزم اضراباً من المعتقدات والقيم والعلاقات الى مفهوم متقلص لاحق اكثر بالمصلحة والطبقة"[4] ، وأصبحت هناك أنظمة جديدة وتغيرات طرأت على وظائف العائلة وتركيبها "حيث تأثرت الاسرة في علاقاتها بين أعضائها بسبب التقدم التكنولوجي فلم تبقى متينة ومنيعة بلضعفت وهزلت وصغرت في حجمها"[5]، وأصبحت تتكون من الاب والام والاولاد ، ولم تعد الاسرة الممتدة هي الشكل التقليديالذي تتميز به بل اختفت الاسرة بشكلها التقليدي ليحل محلها نمط جديد يتناسب مع التغيرات الاجتماعية والاقتصادية العديدة ،بمعنى اخر بات المجتمع أكثر تعقيداً وتخصصاً وأكثر تطوراً.

وهناك عوامل عديدة أدت الى ضعف بناء السلطة في المجتمع العراقي منها تفكك العائلات الى أسر صغيرة أدى الى اضعاف السلطة العائلية هذا فضلاً عن خروج العديد من وظائف الأسرة الى مؤسسات المجتمع ،خروج المرأة الى العمل أسوة بالرجل وتغير النظرة لها فذلك أضعف من سلطة كبار السن وقلص من تأثير السلطة الأبوية[6]، "وأصبح الأبناء يتمتعون بالاستقلال الذاتي عن ذي قبل وذلك باتجاه عملية التبعية للأبوين نحو التقلص من الناحية النفسية وهذا راجع الى انخراط الابناء في اهتمامات وفئات مختلفة تشكل قدراً من اهتماماتهم وتفكيرهم"[7] ،

---

[1]- ابراهيم .محمد عباس : الثقافات الفرعية ،دراسة انثروبولوجية للجماعات النوبية بمدينة الاسكندرية ، مصدر سابق ،ص٢٩٨.

[2]- المصدر نفسه ، ص٣٨٧.

[3]- الجولاني .فادية عمر: المحتمع ،الانساق التقليدية المتغيرة ، المصدر نفسه ،ص٢٦٢.

[4]- زيعور .علي :التحليل النفسي للذات العربية ،انماطها السلوكية والاسطورية ، المصدر نفسه ،ص٦٨.

[5]- العمر . معن خليل :التفكك الاجتماعي ،مصدر سابق ،ص٢٩.

[6]- ينظر في ابراهيم . محمد عباس :الثقافات الفرعية ،دراسة انثروبولوجية للجماعات النوبية بمدينة الاسكندرية ،(القاهرة –دار المعرفة الجامعية)،٢٠٠٥،ص٢٧٢.

[7]-ابو سكينة. نادية حسن ، واخرون: العلاقات والمشكلات الاسرية ،(عمان-دار الفكر)،٢٠١١،ص٣٤.

ونتيجة التغيرات والتطورات التي مر بها مجتمعنا العراقي اصبح الاتجاه التقليدي المحافظ يأخذ بالتناقص وتغيرت اتجاهات الافراد الثقافية والاجتماعية نتيجة ذلك مما استلزم الامر الاخذ بقيم جديدة تتناسب مع الاوضاع الجديدة ،"كما أن العلاقات التقليدية بين الكبار والصغار والفروق بين الصبيان والبنات تعرضت الى تغيرات هيكلية وتنظيمية وارتفاع المستوى التعليمي للفتيات وتزايد مشاركة المرأة في العمل وغيرها من التغيرات الكبيرة"[١]، ويمثل انطلاق المرأة الى العمل جانب مهم فبتلك الحالة قد قطعت شوطا كبيراً مكنها من الاستقلال الذاتي والحرية كما اتاح لها الفرصة التأهيل والاخذ بعين الاعتبار اهتمامها الشخصية مما يحدد حركة الفردنة لدرجة ادخالها في قلب العلاقات العائلية[٢] ، حيث أصبح للمرأة دور كبير في المجتمع نتيجة التطورات ودخلت في مجال العمل وشاركت في الانتاج وهذه التطورات جاءت نتيجة تطور المجتمع نفسه فبقدر ما تتعلم المرأة وتستقل اقتصادياً يصبح أمر مساواتها بالرجل واقعاً حقيقياً كما أن التوسع المعرفي من خلال الاعتماد على الدراسة وتنمية الوعي والسماح للمرأة بمزاولة الاعمال الوظيفية ساهم في تغير الصورة القديمة "أن وضع المرأة يتغير نتيجةً لحصول تحول في البنى الاجتماعية ،فهرمية العائلة جزء من هرمية المجتمع ،ولا يتم تحرير المرأة بمعزل عن عملية تحرير المجتمع"[٣].

و كلما كان المجتمع متقدما ومتحرر زادت قيمة المرأة واستقلالها وحريتها ويصبح لها دور كبير من خلال المشاركة في مختلف جوانب الحياة ،" وأصبحت العلاقات الداخلية في الاسرة الحضرية تتميز بالمساواة والحرية والفردية ولم يعد للرجل السيطرة المطلقة حيث أصبح للمرأة مكانة جديدة تمكنها من المشاركة في اتخاذ القرارات"[٤] ،وأصبح الرجل يدرك اهمية المرأة وقدرتها على المشاركة في المجتمع من خلال وظائفها المتعددة كأم وزوجة وموظفة.

وتغيرت المجتمعات التقليدية ولم تعد تسير على نمط العيش التقليدي ،بل تغيرت مع ضعف النظام القرابي ومع اقامة تنظيمات اجتماعية جديدة في أهدافها وقيمها وعلاقاتها وتعقيد وتقسيم عملها" أي تفكك بناء التنظيم القرابي ليحل محله بناء جديد يتناسب مع المرحلة التطورية الجديدة"[٥]،كما نجد أن مكانة الشخص اخذت تتأثر بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية وأصبح

١- بركات ،حليم: المجتمع العربي في القرن العشرين ، بحث في تغير الاحوال والعلاقات ،مصدر سابق ،ص٣٨٤

٢-ينظر في بيك .اولريش : مجتمع المخاطرة ، ت. جورج كثورة ،(بيروت –المكتبة الشرقية)،٢٠٠٩ ،ص٢٠٢.

٣- بركات. حليم : المجتمع العربي في القرن العشرين ، بحث في تغير الاحوال والعلاقات ،مصدر سابق ،ص٣٧٩.

٤-الجولاني .فادية عمر : المجتمع ،الانساق التقليدية المتغيرة ،(القاهرة –المكتبة المصرية)،٢٠٠٤ ،ص١٦٦.

٥-العمر.خليل العمر: التفكك الاجتماعي ، مصدر سابق ،ص٣٣.

التعليم الذي حصله الفرد عاملا مؤثرا على مكانته الاجتماعية ،واصبح للدخل دوراً مهماً لتحديد المكانة الاجتماعية والاقتصادية[١]،أن التغيرات في التعليم والدخل يشكل العوامل الاساسية في التطور الذي لحق ببناء الاسرة ووظائفها ، كما أن ظهور التصنيع والتكنولوجيا الحديثة أثر في انسجام شكل الاسرة التقليدي وبالتالي ضعفت حدة التشديد على القيم المتعلقة بالولاء والشرف "وهذا جاء مخالفا لما كان سائد فالأفراد في المجتمعات التقليدية كانوا يخشون من التطور ويتعصبون للقديم وتنشأ بينهم مشاعر نفسية في احترام وتقديس القديم"[٢] ،كما تغيرت اتجاهات الافراد في العائلة مما قلص تأثير الاتجاه المحافظ أو ضعفت سلطته التي كان يمارسها من قبل وأصبح هناك ميل للنقد وقبول ما هو جديد ومستحدث "كما تبدلت العلاقات الاجتماعية واصبحت قائمة على اساس مصلحة ومنفعة بدلا من علاقات قرابة وجوار وروابط رسمية محل الضوابط العرقية التقليدية"[٣]،وأن تحلل الروابط والعلاقات العائلية أدى الى اضعاف نطاق السلطة واخذ الاتجاه المحافظ بالتناقص نتيجة لما يطرأ على ظروف المجتمع من تغيرات تؤثر على ثقافته "ومن الطبيعي أن تختفي بعض العناصر القديمة اثناء عمليات التغير ولكن أيضاً من الممكن أن تعيش وتتساكن جنباً الى جنب مع العناصر الجديدة بصورة تختلف أو تتغير وفقاً لأنماط السيادة أو التساند بينهما"[٤].

أن اندماج السلطة العائلية أخذ في التدهور لا في أوساط المدن وحيث المرأة العاملة فقط ،بل حتى في الارياف فنرى المجتمع المهجن يميل الى اضعاف مركز الاب ،والخلافات العائلية أشد وضوحاً مما مضى حيث خسر الانسان استقراره القريب من الخمول الذي تمتع به على مستوى العائلة الصغيرةوالعائلة الكبيرة (العشيرة)وفي العمل والتعليم[٥] .

ولكن يمكن القول بأنه رغم وجود تغيرات واضحة على اتجاهات الأفراد حيال القيم منها ما يتعلق بأنماط المعيشة والتفكير ومنها بأساليب الحياة الاّأنه ثمة أتجاه محافظ لا يزال موجوداً ويؤكد على الطابع التقليدي "وخصوصا في المجتمع البدوي أو الريفي حيث نلاحظ بأن الصلات

---

[١]- ينظر في الجولاني .فادية عمر :المحتمع ،الانساق التقليدية المتغيرة ، المصدر نفسه ،ص١٦٧

[٢]- المصدر نفسه ،ص٢٢٢.

[٣]- نفسه ،ص١٤٦

[٤] - عبد الغني .عماد : سوسيولوجيا الثقافة ، المفاهيم والاشكاليات من الحداثة الى العولمة ،(بيروت- الوحدة العربية)٢٠٠٦ ، ص١٩٩.

[٥]- ينظر في زيعور .علي :التحليل النفسي للذات العربية ، ،انماطها السلوكية والاسطورية ،(بيروت –دار الطليعة)،١٩٨٢، ص٦٧.

الدموية لا تزال هي الرابطة الاساسية لوحدة المجتمع"[1] وهذا راجع الى الانماط الثقافية التقليدية المترسخة في انساق الانظمة الاجتماعية والثقافية والى عقلية الأفراد وتمسكهم بالتقاليد وبذلك نجد أن أنماط تفكيرهم تتسم بعدم المرونة أو القابلية على التغيير ،"كما أن الزوج في الاسرة الحضرية لم يتخلص من الرواسب القديمة نظراً لطبيعة الحياة الممتدة التقليدية الاّ انه يميل الى التوفيق بين مشاعره المترسبة وبين الاتجاهات العصرية الحديثة"[2].

أن التغيرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي أخذت بها الأسرة العراقية والتراكم والتعقيد الثقافي واختلاف المعايير وتبدل أنماط الأسرة وتراكيبها من الكبيرة الممتدة الى النووية الصغيرة وتقلص سلطة الأب واختلاف العلاقات وقيامها على أساس المصلحة والمنفعة بدل الترابط والأخذ بكل ما هو مواكب للتطور وشيوع الاستقلالية وتبدل الانماط الموروثة " أدى الى شيوع التفكك الشخصي وهذا ما يحدث في المجتمع المتفرد (الجماهيري)حيث أن الصفة الرئيسية لهذا النوع من المجتمعات هي انعزال الفرد اجتماعيا"[3]، ولكن اكتماله سيكولوجيا وأن هذا يستبطن نوعا من العذاب الفردي .

أن انتقال المجتمع من مراحله التقليدية الى مراحله الحديثة أدى الى ظهور ظاهرة التفرد ، فبروز هذا الاتجاه جاء نتيجة التصنيع والتقدم التكنولوجي وسيطرة الآلة والماكنة على الانسان واتساع الرقعة الجغرافية التي يعيش عليها الافراد وتقدم وسائل الاتصال وصغر حجم العائلة وضعف السيطرة الابوية واشتغال المرأة وتقلص العلاقات القرابية وضعفها كل هذه الامور أدت الى بروز ظاهرة التفرد[4].

في فترة التغيرات الاجتماعية تمر المجتمعات بالكثير من المشاكل التي قد تؤدي في بعض الاحيان الى اختلال في وظائف المؤسسات وتعصف بالمجتمع مثل الثورات أو الحروب وهذا ما شاهدناه في مجتمعنا العراقي الحديث أذ حصلت تفككات اجتماعية بعد كل تغير سياسي أو حرب أو ثورة وفي كل تغير تفرز حالات منحرفة عن كل ما هو معياري وتظهر صراعات سياسية ومذهبية مما يؤدي الى تحلل العلاقات الاجتماعية وهفوات في المشاعر وغلو في السلوك العنفي والتطرف بالقسوة [5]، كما أن انتقال الفرد من مكانته التقليدية الموروثة الى المكانة المكتسبة نتيجة التحرر

---

[1]- ينظر في منهايم .كارل :علم الاجتماع النظري ،مصدر سابق ،ص١٦٧.

[2]- ابو سكينة. نادية حسن ، خضر. منال عبد الرحمن: العلاقات والمشكلات الاسرية ،(عمان –دار الفكر)،٢٠١١،ص٢٩.

[3]- ينظر في زيعور .علي : المصدر نفسه ،ص٦٧.

[4]- ينظر في العمر.معن خليل :التفكك الاجتماعي ،مصدر سابق ،ص٣٥.

[5]- ينظر في العمر .معن خليل ،المصدر نفسه ،ص٥٤.

والاستقلال في العمل والاخذ بكل مقتضيات التحرر رافقه الكثير من الاضطرابات والقلق وذلك بسبب الانتقال من واقع ثابت موروث الى واقع متغير استاتيكي ومن الطبيعي أن يرافق ذلك اضطرابات وانعزال او حدوث صراع ما بين القديم والجديد "عندما تواجه الانماط التقليدية طوفان الحداثة المتدفق فأن هذا لا يخلو من مظاهر التوتر والاضطراب وذلك يرجع ألى استمرارية الانماط التقليدية حيث تكون متأصلة في نفوس الافراد خلال عملية التنشئة الاجتماعية"[1] .

ونستنتج مما سبق ان الفرد في المجتمع العراقي مر بمراحل:

١- سيادة نمط العائلة الممتدة الى جانب شدة الضوابط الاجتماعية المتمثلة بسيطرة العادات والتقاليد أو منظومة المجتمع التقليدية التي حتمت على الفرد العراقي خضوعاً بصورة مطلقة سواء لتسلط الأب أو الخضوع لقوانين المجتمع واعرافه .

٢- ونتيجة لهذا التسلط والنظرة التقليدية رافقها عدم اعطاء المجال للمرأة بممارسة حقوقها ومنها حق التعليم وحق العمل وهذا ما يؤكد بروز النزعة الذكورية التسلطية.

٣- مع تعقيد وتقسيم العمل تبدل شكل الاسرة من عائلة ممتدة تتكون من الاعمام والاخوال والاطفال الى عائلة نووية مقتصرة على الام والاب والابناء فضلاً عن ذلك رافق هذا التعقيد والتقسيم تبدل في المنظومة القيمية وضعف شدة التقاليد والاعراف المفروضة .

٤- تغيرات هيكلية وتنظيمية عملت على ارتفاع المستوى التعليمي للإناث والذكور وتبدل تلك النظرة المقتصرة على اعطاء حق التعليم للذكور دون النساء ،فضلا عن تزايد مشاركتها في العمل.

٥- تأثير مرحلة التصنيع والتكنولوجيا عملت على تقليل شدة القيم المتعلقة بالولاء والشرف واصبح للفرد من خلالها وجهات نظر مختلفة ومستقلة عن الجماعة التي ينتمي اليها.

٦- أن ضعف أندماج السلطة العائلية أي بروز الأسر النووية وتأثير مرحلة التصنيع وظهور الاستقلال الاقتصادي والتطور الاجتماعي لم يلحقه تبدل حقيقي في مكانة الفرد العراقي والتعزيز من أهميته والاعتراف به كذات مستقلة قادرة على تشكيل مصيرها بعيداً عن التدخلات الجماعية أي رغم التطورات والتغيرات ظلت بنية المجتمع قائمة وفقاً للتصورات والأفكار الجماعية ولم تبرز صورة للفرد المستقل(الفرداني) وذلك لأن بنية مجتمعنا العراقي بنية تقليدية جماعية غنية بالقيم الاجتماعية الجمعية ومجتمع كهذه يرى بأن الاستقلالية الفردية وحرية ما تنطوي عليه

[1] - رشاد.عبد الغفار :التقليدية والحداثة في التحربة اليابانية ،(بيروت-مؤسسة الابحاث العربية)،١٩٨٤،ص٢٨.

الاعتقادات الفردية والاتيان بالجديد هو بمثابة تحدي للأصالة التراثية وللقيم والاعراف الاجتماعية .

الفصل الرابع : المبحث الثالث :

المجتمع العراقي و البنى الاقتصادية للجماعات التقليدية

الاسرة التقليدية القديمة كانت لقرون عديدة متوافقة مع الظروف الاجتماعية التي كانت هي نفسها متوافقة مع الجوانب المادية من الثقافة ،ولكن ظهور التصنيع والاستقلال الاقتصادي ادى الى تغيرات عميقة في المجتمع صاحبت فقدان الأسرة لوظائفها بانتقالها نهائيا الى مؤسسات خارجية [1]،ان التغير في قطاعات الحياة المختلفة الاجتماعية والاقتصادية نتج عنه اختفاء مظاهر التعاون التي كانت قائمة في الحياة الجمعية وأصبحت العلاقات والصلات القرابية في المجتمعات التقليدية ضعيفة واصبحت المصلحة أساس التعاون كما أصبح الى جانب العائلة مؤسسات تساعدها على أداء وظائفها " أن أول مرحلة في التطور هي التي شهدتها العائلة كوحدة منزلية واقتصادية وهذه الوحدة كانت تتمتع بدرجة كبيرة من الاكتفاء الذاتي حيث أن انتاجية العائلة هي مساوية لمصروفاتها ،فالفرد لا ينتج لنفسه فحسب بل ينتج للأخرين ايضًا"[2] .

أن استقلال العامل الاقتصادي للأسرة الصغيرة نتيجة التحول الاقتصادي ادى الى اضمحلال أو ضعف العلاقات التقليدية ،فضلاً عن أن التعليم مارس دوراً كبيراً ومهماً بالنسبة للأبناء فأصبحت لديهم القدرة على اكتساب مهارات وأصبحت لديهم وجهات استقلالية وتصورات فردية تحثهم على التحرك الذاتي وبالتالي قل اعتمادهم على اباهم كما كان سابقاً "وهكذا مع هبوب رياح الحرية الفردية اخذت تتخلخل السلطة القديمة وبرزت شخصية كل عنصر في العائلة والرغبة عند كل منهم لان ينطلق ويحيا"[3] .

كان الاقتصاد القديم للمجتمعات التقليدية وبالتحديد المجتمع العراقي يعتمد على مبادلة المحاصيل بين العائلات نظرا لبساطة الحياة وبعد ذلك اصبحت النقود تمثل عاملاً اساسياً في علاقات الريفيين فيما بينهم وبين المدينة فقد شمل التغير الاقتصادي ايضاً التوزيع والاستهلاك ،فبعد ان كانوا مرتبطين بتنظيم العائلة القديمة التي كانت تقوم الحياة فيها على مبدأ الجمعية

---

[1] - الجولاني ،فادية عمر: المجتمع ،الانساق التقليدية المتغيرة ،(القاهرة –المكتبة المصرية)،٢٠٠٤،ص١٥٩.

[2] - منهايم.كارل :علم الاجتماع النظري ،ت. احسان محمد الحسن ،(بغداد –دار الكتب)،١٩٩٣،ص١٤٣.

[3] - زيعور. علي :البنية النفسية للذات العربية ،انماطها السلوكية والاسطورية ،(بيروت-دار الطليعة)،ط ٣/ ، ١٩٨٢ ، ص٦٧.

في الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، أصبح الاستهلاك الان لا يخضع للجمعية بل أرتبط بطبيعة المطالب والاحتياجات المتجددة [1] ،وأصبح مجال العمل غير منحصر في الوحدة العائلية التي كانت تكتفي بذاتها ، فالعمل لم يعد مقتصر على الرجل فقط ومثل خروج المرأة الى العمل خطوة أساسية وله الاثر البارز للاستقلال ،لذلك فاستقلال الاسرة صاحبه زيادة في مسؤولية المرأة "حيث أن الانفتاح على الحضارة الصناعية المشتركة(تعليم، مواصلات ،وسائل مدنية، الخ)عمل على الدفع نحو الوضوح لكل من مكانة المرأة ووظيفتها"[2]،كما أن نشوء الانظمة الرأسمالية المرافق للاستقلال الاقتصادي غيرت من انماط العلاقات بين الأسرة الواحدة نظراً لتأثيرها الكبير واصبحت لتلك الانظمة تأثير على الافراد "حيث مكنته من الدخول في سوق العمل وهذا يمثل سلسلة كلية من التحرر بالنسبة الى الشبكات التقليدية التي هي العلاقات العائلية وعلاقات الجيرة والعلاقات المهنية وايضا الروابط مع الثقافة والمشهد الاقليمي"[3] .

أن اقتصاد المجتمعات الرأسمالية يتيح نشوء بذور الفردية وذلك لأن رأس المال يقابله مصالح مختلفة للأفراد وبالتالي رغبة كل منهم في الانفصال عن الجماعة من أجل إبراز ذاتيته أو فرديته للخروج من النمط المهيمن من سياق الجماعة مما يشكل افراد يرغبون في اتخاذ القرار ويكونون علاقات بعيدة عن تدخل الجماعة " تتدخل دوامة الفردنة داخل العائلة،سوق العمل، تأهيل ،أن العيش داخل العائلة يعني من الان محاولة التغلب باستمرار على العقبات مع طموحات متباعدة بين الواجبات المهنية ،والواجبات المرتبطة بالأطفال والعمل المنزلي"[4] ، وبالتالي فأن الافراد يستقلون ذاتيا وتصبح هناك مواقع فردية متميزة ،أن الحياة البسيطة كانت مقتصرة على العمل في الزراعة وكانت تمثل السبب الرئيس لمعيشة الكثير من السكان ولكن بفضل التغيرات أصبح اللاتجانس والتعقيدات قائمة على مستويات كثيرة في الحياة ، أن ظهور الاقتصاد جاء نتيجة تعقيد الاعمال والتوسع في التنمية وتغير النظرات التي كانت سائدة والتي ترى بان الاعمال البسيطة المتمثلة بالزراعة تكفي لمعيشتها ولكن تقسيم العمل والتعقيد في مستوى الحياة اصبح يتطلب نشاطا غير مقتصر على الاعمال الزراعية بل والاعمال الصناعية والتجارية أيضاً "حيث ظهور التعقيد في الحياة الاقتصادية على مستوى الانتاج والاستهلاك بعد ان كانت الحياة

---

[1] - ينظر في الجولاني .فادية عمر : المحتمع الانساق التقليدية المتغيرة ، مصدر سابق ،ص١٥٢.

[2] - زيعور. علي : التحليل النفسي للذات العربية ،مصدر سابق ، ص٦٢.

[3] - بيك .اولريش: محتمع المخاطرة ، ت. جورج كتورة ،الهام الشعراني ،(بيروت-المكتبة الشرقية)،٢٠٠٩،ص١٨٧.

[4] - نفسه ،ص١٩٠.

الاقتصادية في العائلة القديمة تتسم بالبساطة وعدم التعقيد وذلك لأن الأسس العامة التي تقوم عليها الحياة الاقتصادية قد تعقدت"[1] ،وهكذا فأن الحياة الاقتصادية المعقدة لحقت بها الفردية وتفككت العائلة وروابط القرابة وأصبحت الروابط الاجتماعية التقليدية مفككة وحلت محلها تلك الروابط القائمة على المصلحة ، "ومما يجدر ذكره أن التماسك العائلي في المجتمع العراقي أخذ يضعف تجاه (النزعة الفردية) التي جاءت بها الحضارة الحديثة وقد أتضح ذلك في أوساط المتعلمين وأخذ غيرهم يتأثرون بهم شيئاً فشيئاً"[2].

أن وضوح الفردية صاحب التحولات التي لحقت بالنمط الاقتصادي وتفكك الطابع الجمعي الذي ارتبط بالعائلة القديمة وتنامى الاتجاه الفردي وشيوع اتجاهاته وذلك لأن بواعث العمل أصبحت مرتبطة بالفرد وليست بالعائلة ولذلك يجتهد الفرد ليفي باحتياجاته المتزايدة خارج حدود العلاقات القرابية "أن التغيرات الاقتصادية يلازمها الى حد كبير تزايد ظاهرة الفردية كما أن التعاون لم يعد يقوم على أساس العلاقة القرابية بل أرتبط بمدى تحقيقه بالمنفعة الشخصية للأفراد"[3] ،"أن لهذه التطورات اثارها العميقة في انحلال الاسرة لان استقلالية الأفراد الاقتصادية سيكون لها على الاغلب انعكاسات مهمة من حيث استقلالية الافراد الاجتماعية ونزوعهم نحو الحرية وحق الاختيار بعيداً عن تدخل الاسرة "[4] ، ومن هذا يصبح الفرد تدريجيا سيد اعماله ومسؤولا عن تصرفاته وحتى انجازاته على مختلف مناحي الحياة وبذلك يعتبر دخل الاسرة واستقلالها الاقتصادي من أهم العناصر في تحقيق التغير الاجتماعي ،"كما أن خروج المرأة الى العمل منحها الاستقلالية التي ادت الى مزيد من الحرية"[5]،وكما قلنا في المبحث الذي سبق بأن خروج المرأة الى العمل جعلها تأخذ مكانه مهمة في المجتمع نتيجة المسؤوليات الاجتماعية والاقتصادية التي شاركت فيها في التغيرات الحديثة فبعدما كانت المرأة تعزل أصبحت لها مسؤوليتها الاقتصادية التي من خلالها مارست دوراً واضحاً في التغير نتيجة مشاركتها في

---

[1]- الجولاني .فادية عمر : المجتمع ،الانساق التقليدية المتغيرة ،مصدر سابق ،ص ١٥٣.

[2]- الوردي . علي : دراسة في طبيعة المجتمع العراقي محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الاكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث ،(بيروت-دار ومكتبة دجلة والفرات)،ط٢/ ، ٢٠١٠ ،ص٣٠٣.

[3]- المصدر نفسه ،ص١٥٤.

[4]- بركات .حليم : المجتمع العربي في القرن العشرين، بحث في تغير الاحوال والعلاقات ،(بيروت-الوحدة العربية)، ٢٠٠٠ ،ص٣٦٧

[5] - عماد .عبد الغني: سوسيولوجيا الثقافة ،المفاهيم والاشكاليات من الحداثة الى العولمة ،(بيروت –الوحدة العربية)،٢٠٠٦ ،ص٢٠٤

الوظائف المختلفة ، كما أن مركزها قد ارتقى في نظر الرجل نتيجة ذلك ،حيث أن وضع المرأة اختلف نتيجة تحرر المجتمع أو تطوره .

أن الترابط بين الانتماء الى طبقة اجتماعية معينة وبين الشروط والاشكال الحياتية يمكنه أن يختفي نتيجة تغيرّ اجمالي في المستوى أو نتيجة التغيرات الاقتصادية والاجتماعية ،ونتيجة أعادة البناء الاقتصادي فان شرائح واسعة من السكان خاضوا تجربة التحول والتحسن في أنماط حياتهم والذي كان تحولا من الجماعية الى التجربة الفردية[١] ، اما عن القناعة التي ارتبطت بطبيعة العائلة القديمة وما توفره للفرد من أمن اقتصادي فقد طرأ عليها تغير واضح وذلك لاختفاء الدور الوظيفي الذي كانت تقوم به حيال أعضائها وتزايد ضغط الاحتياجات في ظروف المجتمعات المعاصرة حيث تعقدت الحياة وزادت مطالب الافراد والاسرة فالثابت أن تطلعات الافراد تتزايد بازدياد مظاهر التحضر[٢] ، وأصبحت مصالح الأفراد حتى في داخل البيت الواحد تختلف نتيجة الاستقلالية التي حصل عليها لذلك فالانسجام والتوافق اصبح غير متكامل ويسوده خاصية عدم الارتباط والامتثال كما أن الاتصال بين الجماعات قل واصبحت وجهات النظر تختلف بين الجماعات وتغيرت الكثير من المفاهيم التي كانت سائدة ، حيث أن الانتقال من المجتمع التقليدي الى الحديث يتسم بالانتقال والاخذ بتغيرات في مجالات مختلفة منها الصناعة والزراعة والبيئة والانتاج واستهلاك الطاقة وغيرها [٣]، كما أصبح للفرد اتجاهات يسعى من خلالها لإبراز ذاتيته والتحرر من سلطة الأب أو الجماعة او الطائفة وذلك لان الهيمنة التسلطية في العائلة والمؤسسات الاخرى هي من اهممصادر الميل الفردي" أن المحاولات القسرية لسحق الذات وتذويبها في الجماعة وفرض الطاعة والتأكيد على العضوية على حساب الفردية ،والتقليد على حساب الابداع والاستقلالية، تكون عند الافراد في الخفاء حاجة ماسة مضادة للتأكيد على الذات وهدم غيرها"[٤]

أن انحلال التضامن الاسري وشيوع الاستقلالية الفردية أدى الى تجاوز الاقتصاد العائلي وذلك تبعا للظروف الجديدة التي فرضتها الحياة الجديدة سواء بتبدل العلاقات وانحلالها وتغير

[١]- ينظر في اولريش بيك :مجتمع المخاطرة ،مصدر سابق ،ص١٩٥.

[٢]- ينظر في الجولاني .فادية عمر : المجتمع الانساق التقليدية المتغيرة، مصدر سابق ،ص١٥٥.

[٣]- ينظر في عماد.عبد الغني : سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والاشكاليات من الحداثة الى العولمة ،مصدر سابق ،٢١٨.

[٤]- بركات .حليم: المجتمع العربي في القرن العشرين ،بحث في تغير الاحوال و العلاقات، مصدر سابق ، ص٤١٧.

الوظائف التي كانت تتسم بالاستاتيكية في العادات والتقاليد أو التكنولوجيا و التصنيع الذي فرض أيضاً ظروف شجعت على الاستقلال والاعتماد على الذات .

وعلى الرغم من أن العائلة النووية هي النمط السائد واستقلالية الفرد هي التي باتت سائدة "ولكننا لم نلمس بداية حقبة حيث انتعش الفرد وخلق عالمه الخاص بنفسه لان هذا التفرد الذي سمح للأفراد بالتحرر أو التخلص من التقاليد بقى تابع لمأسسة طرق الحياة وتقنينها وبات الافراد خاضعين لسوق العمل"[1]،وكذلك نجد العائلة وخصوصا في الريف والاوساط البدوية "ما زالت خاضعة بشكل مباشر وغير مباشر لسلطة الجماعة المرجعية ،فمنظومة القيم والمعايير التي تنتظم وفقها العلاقات الاسرية ما زالت في جوهرها التقليدي "[2] فالكثير من العائلات العراقية لا زالت خاضعة للأنماط التقليدية وللتسلط الابوي فضلاً عن أن العلاقات مازالت قائمة على الروابط القرابية المترابطة ولكن هذا ادى الى نشوء نوع من الصراع النفسي لبعض الافراد وذلك نتيجة الاخذ ببعض مظاهر الحداثة ،فنحن مجتمعات مسها نوع من التحديث أي أن هناك عاملاً خارجياً يحفز التطور الداخلي فيحدث فيه تحولا وما ان تبدأ عملية التحديث حتى يصبح التطور الداخلي المستقل تطورا مشوها متخذ شكل تجاذب بين النمو والتخلف وذلك لان نجاح عملية التحديث اصابها خلل بفعل تبعيتها وخضوعها[3]،أن "البنية الداخلية للأشكال الخارجية والمجتمع والدولة في النظام البطريكي الحديث لا تزال ترتكز على القيم والعلاقات السائدة في النظام البطريكي القديم ،اي على علاقات القرابة والعشيرة والفئة الدينية أو الاثنية"[4] .وبذلك طبقت مظاهر الحداثة فقط على المظاهر الخارجية فأن التطور في البيئة الحضرية واستخدام التكنولوجيا وحتى الاستقلال الاقتصادي لم يؤدي الى قيام بنى جديدة ووعي مستقل وافكار حرة تحل محل البنى والافكار القديمة وهكذا استمر الانتماء للعائلة وللجماعة الدينية .

ومن أسباب هذه الاشكاليات هي الازدواجية الفكرية حيث التارجح بين التمسك بالموروث الثقافي من جهة والحرص على التحديث من خلال بنى الافكار والمنتوجات الوافدة من الجهة

---

[1]- بيك .اولريش: محتمع المخاطرة ، مصدر سابق ،ص١٩١.

[2]- بركات .حليم :المحتمع العربي في القرن العشرين ،بحث في تغير العلاقات والاحوال ،مصدر سابق ،ص٣٩٥.

[3]- ينظر في زيعور .علي :التحليل النفسي للذات العربية انماطها السلوكية والاسطورية ،(بيروت-دار الطليعة)،ط٣/، ١٩٨٢،ص٣٤.

[4]- شرابي .هشام : البنية البطركية ،بحث في المحتمع العربي المعاصر ،(بيروت-دار الطليعة)،١٩٨٧،ص٢٣

الاخرى[1]، حيث لا يوجد في مجتمعاتنا صيغة حديثة من جهة وتقليدية من جهة أخرى فلقد استوعب الواقع العربي الصيغة الغربية ومكوناتها مما انتج أحادية بنيوية متميزة حيث لا حديث ولا تقليدي[2].

وبذلك وقعت مجتمعاتنا في وهم الحداثة وهي لم تطور بعد تراثها القديم فاستبدلت وهماً بوهم[3]،لذلك فمجتمعاتنا تعاني من ثنائية حادة بين ما هو تقليدي وما هو معاصر على جميع مستويات الفكر والثقافة وقد تحول الصراع ما بين القديم والجديد الحديث أحياناً الى حرب أهلية بين طرفين أحدهما يرفع شعار الاصالة بينما يلوح الأخر بشعار الحداثة[4] .

فأحدى العوائق الاجتماعية والاقتصادية التي تقف في طريق التغير والتي تمنع استقلالية الفرد هي الثقافة التقليدية القائمة على العادات والتقاليد والقيم والتي لا تساعد على قيام عملية التغير الاجتماعي والاقتصادي بيسر فالعادات والتقاليد التي تميل ألى الثبات تقاوم التغير وكل تجديد سواء كان ماديا أو معنوياً[5].

وفي الخلاصة نطرح تساؤلاً مفاده هل تحرر الانسان العراقي من سيطرة الانتماءات العشائرية والقبيلة؟ في حقيقة الامر نجد أن الفرد العراقي على الرغم من حصوله على الاستقلال الاقتصادي والتغيرات الاجتماعية التي لحقت به نتيجة تطور المجتمع وانظمته فضلاً عن التطورات التكنولوجية الاّ أنه مازال عرضة للهيمنة الجماعية والانتماءات العشائرية لان الواقع يكرس وعياً جمعياً وبأشكال مختلفة ،فالفرد لا يزال يعاني من تلك الانتماءات التقليدية للقبيلة والعشيرة والطائفة لذا فتحرر الانسان الفعلي مرهون بالدرجة الاساس بالتخلص من الوعي الزائف لتلك الانتماءات والاتجاه نحو تطوير قدراته والعيش وفق قناعاته الذاتية.

الفصل الرابع: المبحث الرابع

المجتمع العراقي و (الانظمة التربوية)

واثرها في بيان اتجاهات التفرد والتقليد

---

[1]- البرغثي .محمد حسن: الثقافة العربية والعولمة دراسة سوسيولوجية لآراء المثقفين العرب ،(بيروت-المؤسسة العربية للدراسات والنشر)،٢٠٠٧،ص ١٠٠.

[2]- ابراهيم .عبد الله : على الاجتماع(السوسيولوجيا)،(الدار البيضاء- المركز الثقافي العربي)، ط/٢، ٢٠٠٦، ص٢٨٨.

[3]- مسعد. محيي محمد : المجتمع العربي واهم تحديات العولمة التحديات الاقتصادية والاجتماعية ،(القاهرة- مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية)،٢٠٠٤، ص٩٢.

[4]- البرغثي .محمد حسن: الثقافة العربية والعولمة ،مصدر سابق ،ص٩٨.

[5] -ينظر في استيتية .دلال ملحس: التغير الاجتماعي والثقافي، (عمان-دار وائل للنشر)،٢٠٠٤،ص ١٦٦.

يعتبر التعليم من أهم عوامل التحديث التربوي والتغير الاجتماعي في أي مجتمع فبواسطته يتطور و يتجاوز المجتمع الكثير من الأنماط التقليدية التي تعيق طريقة ويتطور بواسطته المجتمع ويصل الى مصاف الدول المتقدمة فهو يساهم وبشكل كبير في التقدم وخلق جيل واعي "حيث أنه كلما ارتفعت درجة التعليم ازداد الاقبال على الجديد وتقدير التغيرات الايديولوجية والمادية بموضوعية ومراجعة التقاليد والقيم القديمة خاصة اذا كانت جامدة وغير منظورة ولا تتلاءم مع ظروف المجتمع الجديدة "[1] ،وإعطاء الاولوية للتعليم يسهم بصورة مباشرة في أحداث تطورات وتغيرات تمس بنية المجتمع وذلك لما له من دور أساس في رفع مستوى التقدم لأي مجتمع.

أن التغيرات الاجتماعية السريعة والعميقة تزداد فيها الثقافة نمواً وتعقيداً وتزداد فيها أنواع الصراع الثقافي المختلفة بين القديم والجديد بحيث يجعل الادراك والفهم لدى الأفراد قاصر على الوصول لحل المشكلات الاجتماعية فازدياد الاتصال بين الافراد نتيجة سهولة كثرة وسائل الاتصال لم يقابله تغير مفاهيم الافراد نحو الاخرين مما يتطلب الامر فهم وادراك لقيم الاخرين وعاداتهم وتسامح من جانب كل منهم للأخر[2]، لذلك فواجب الانظمة التربوية هو اكساب الافراد فهماً جديدًا لتقبل الاخر لكي يكون التغير الثقافي والاجتماعي متجه نحو الأفضل فمن واجب التربية هو تهيئة الفرص للأفراد لكي يعيدوا بناء افكارهم واتجاهاتهم وفق الاساس الصحيح .

واذا ما أخذنا أنظمتنا التربوية في المجتمع العراقي كمثال في مجتمع تقليدي نجد أنها تترك آثاراً واضحة في نفسية الطفل وتفكيره فأنظمتنا التربوية بجانب الطرائق التربوية البيتية تحتم على الفرد الاعتماد على الاخر فضلاً عن أنها تمنع فيه بوادر الاستقلالية والوعي الذاتي بتحمل مسؤولية قراراته وهي بفعلها هذا تنتج فرداً ضعيفاً يعتمد على الأخر ويتبعه بدليل أن "وسائلنا التربوية التقليدية لا تعد الفرد لأن يقارع ويناقش بمقدار ما تنمي فيه الالتواء والازدواجية والاعتماد على الكبير سواء كان (الاب، الاخ الاكبر، المتنفذ في الجماعة ،الرئيس)" [3] وبذلك فهذه الوسائل من انظمة تربوية وتنشئة اجتماعية تعمل على تخريب بذور الاستقلالية الفردية وتشجع وتنمي لدى الفرد الاعتماد على الاخر أو الجماعة وبالتالي تجعل من وجود الفرد

[1] -الجولاني.فادية عمر :المجتمع ،الانساق الاجتماعية المتغيرة،(القاهرة –المكتبة المصرية)،٢٠٠٤،ص١٧٤.
[2] -ينظر في استيتية. دلال ملحس: التغير الاجتماعي والثقافي ، مصدر سابق ،ص٢٠٦.
[3] - زيعور. علي: التحليل النفسي للذات العربية ،مصدر سابق ،ص٤٦.

مسيطر عليه من قبل تلك الجماعات .كما ان هذه الوسائل التربوية كلما كانت متسلطة متطلبه لا تعطي أو تسمح بوجود فسحة من الحرية او الجو المريح لكي يكون الفرد على حالته الطبيعية كلما تنمي فيه الانصياع والرهبة والتخوف من المقارعة والنقد وابداء الرأي فبكثرة الضغوط النفسية التي يواجهها والاجواء الغير مريحة والمتطلبات بأن يكون مطيعاً مؤدباً خاضعاً مستمعاً غير معارض والكثير من الاوامر والنواهي سواء كانت باسم الدين أو الاعراف أو التقاليد الاجتماعية ينتج عنه شخصية انهزامية تفتقر للوعي المستقل غير قادرة على مواجهة الواقع من دون الرجوع والاعتماد على الأخر سواء كانت العائلة او العشيرة او غيرها من المسميات الاخرى فضلا عن ذلك الخوف ايضاً يلعب دوراً مهماً بخلق هذه الشخصية فكلما كان الفرد متخوفاً كلما نمت شخصيته ضعيفة لا تستطيع التحدي او المواجهة لذا تتماشى مع ما هو سائد دون تغير أو تعديل .

لذا ما تود الباحثة تأكيده هنا أن لعملية التربية دوراً مهماً بخلق نوع من الأفراد ذويفكر نقدي يستطيعون من خلاله جمع الحقائق وتمحيصها ونقدها والحكم عليها كما أن من مسئوليتها بناء وتنمية جانب من شخصية الفرد "فعلى التربية أن تتغلغل في داخل الشخصيات الانسانية وتساعدها على أعادة بنائها فيما يختص بأنواع الولاء التي تؤمن بها والآمال التي تصبو اليها ووجهات النظر التي تعتنقها والمثل الاخلاقية التي تدين بها"[1] .

أن الاهتمام بالتعليم يسهم بشكل مباشر في أحداث تطورات وتغيرات تمس بنية المجتمع وذلك لما له من دور أساس في رفع مستوى التقدم لأي مجتمع فمستوى التعليم في المجتمع له أثر كبير في التغير الاجتماعي ،" فارتفاع المستوى التعليمي يلازمه تغير في نظام القيم الموجودة في المجتمع وتغير في وسائل وطرق توجيه السلوك وتغير في البناء الدافعي لسلوكهم كل هذا يفتح أفاقاً جديدة لتطلعات الأفراد"[2] .

الفصل الرابع –المبحث الخامس

خصائص الفردانية

يمثل التحقق الفردي في مجتمع تقليدي ما تحدياً يجابه من خلاله الفرد من أجل تحقيق وجوده والاعتراف بذاته، فهذا النمط الثقافي (الفردانية) يدعم الفرد باعتباره الاصل لمختلف

[1]- استيتية .دلال ملحس: التغير الاجتماعي والثقافي ،مصدر سابق ،ص ٢٠٨.
[2]-الجولاني .فادية عمر :مصدر سابق ،ص٢٠٢.

الظواهر الثقافية والاجتماعية ويسعى من اجل تحقيق اعتباره وضمان مركزيته كما يسعى من اجل جعل الفرد الوحدة النهائية والمركزية للتحليل، فهو يضمن للفرد مكاناً في العالم متجاوزة بذلك القوانين والتشريعات التي تحد من أهمية الفرد وامكاناته وقدراته الفعلية .

وفيما يلي أهم الخصائص التي تتكون منها ظاهرة الفردانية والتي يمكن على اساسها أيضاً قياس درجة التفرد لكل شخص وهي كالاتي :

١-**الميل للاستقلالية في اتخاذ القرار** :يشير الميل الى الاستقلال في اتخاذ القرار الى الانفكاك من سلطات العائلة والمجتمع والدولة وهي قدرة الفرد الذاتية على اتخاذ وصنع القرارات بنفسه من دون تدخل أي أحد أو أي طرف في صناعة هذا القرار سواء كانت العائلة أو المجتمع او غيره كما ينطوي هذا المفهوم على الحرية في اختيار المواقف والقناعات الشخصية، وبواسطتها يكون الفرد حراً في التعبير ازاء الاكراهات المجتمعية والسلطوية من خلال حرية الرأي والتفكير ،والاستقلالية تدعم وتنمي الايمان بالذات وبالإمكانات التي تكمن في الفرد وتشجع على اتخاذ القرارات الشخصية بشكل حر أي بشكل غير تابع لقرارات الجماعة فالاستقلالية "تبدأ عندما يعي الفرد ذاته ومن ثم يتواصل مع الاخر بناء على هذه الاستقلالية وهذا الوعي بها أي ان يعرف ان يقف كذات مستقلة لكي يتمكن من تحديد مكانه من جهة ومكان الاخر من جهة اخرى"[1] ، فضلاً عن أن الذات الاستقلالية تمنح صاحبها صفة الانفتاح على الأخر وتقبله حيث يعي الفرد من خلالها بصمات الافراد الاخرين وبذلك يكون التحقق الفرداني، و الاخير لا يكتمل الاّ باعتراف الذوات الاخرى فضلا عن العمل والاكتشاف والقابلية الفردية على المواجهة وحتى الاختراعات الفردية هي في التحليل الاخير تحسب لصالح الفرد الانساني وابداعاته الذاتية استطاعوا بواسطتها ان يحققوا وجوداً فردياً وترك بصمة لهم من خلال استقلالهم الشخصي وقدرتهم على فرض وجودهم وصياغة مصيرهم الشخصي.

وقد عرفت مدينة الديوانية بإنتاجها العديد من الشخصيات او تتلمذ في أحضانها العديد من الفنانين المعروفين من رواد وشعراء وكتاب ونحاتين كان لهم تأثير عند اهل هذه المدينة ومنهم القاص والروائي سلام ابراهيم الذي نشأ وترعرع في مدينة الديوانية والذي كان له بصمة واضحة في مجال الرواية والقصة العراقية فضلا عن الشاعرين كزار حنتوش وعلي الشباني، كذلك في

[1] - شطارة.عامر ناصر: الفردانية في الفلسفة الحديثة كيركجارد (أنموذجاً) .مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية ،المجلد ٤١، ملحق ١، ٢٠١٤.

الرسم والنحت الفنان التشكيلي رمزي كاظم غازي والذي له نصباً بارزاً تم تشييده في القرن الماضي في وسط محافظة الديوانية وهوأحد معالمها المميزة ، وهناك الكثير من الاسماء الاخرى التي استطاعت ان تبرز بإنجازاتها الذاتية او بمعنى أخر يمكن حساب انجازاتهم الانوية هذه كأسلوب ثقافي فرداني يحسب لهم.

٢- **التمرد على السلطات التقليدية الرسمية وغير الرسمية**: يشير مفهوم التمرد بالخروج من سلطة الجماعة وقيمها وقوانينها وينبع هذا الاحساس نتيجة الشعور بالظلم الذي ينطوي على القهر والانصياع للنظم والقوانين التي تحكم الانسان وتحول دون الافصاح عن رغباته وافكاره وتطلعاته ،ويقتضي مفهوم التمرد تحقيق العدالة لأثر الجهة المغلوبة ،فمطالبة الفرد بالحرية في مجتمع تقليدي ما هو الاّ شكل من أشكال التمرد يعبر بواسطته الفرد عن مشاعر الاحباط والظلم وعدم المساوة وعن التخوف على المستقبل وعلى هذا الاساس فالفرد يتمرد من اجل تحقيق ذاته وايصال صوته بأنه قادر على المواجهة والتحدي لتقاليد المجتمع وقوانينه .

ويرتبط هذا المفهوم بالحرية عندما ينصب بالتحرر من سيطرة التقاليد ورفض القيم السائدة تأكيدا لفردانية الفرد في وجه الجماعة التقليدية وانظمتها التي تحاول جعل الفرد ضمن اطارها خاضعاً متقولباً، ولهذا فالفرد يأخذ بمفهوم التمرد تأكيدا على المفهوم الفردي والاحساس بالاستقلالية والوعي بالحرية.

ومن ابرز الشخصيات الفردية المتمردة على السلطات التقليدية هو الشخصية العراقية (حسون الامريكي) والذي يعتبر من الشخصيات الفردية التي عرفتها بغداد في خمسينيات القرن الماضي حيث كانت شخصيته مثالا لنزعة من التمرد على العادات والتقاليد من خلال ملابسه الغريبة والمتميزة التي كانت محط انظار كل من يراه ، وطريقة كلامه المغايرة حيث كان يتحدث باللغة الانكليزية فحينما يبادره احدهم بـ صباح الخير يرد عليه بـ (كود مورنينك) نضراً لتأثره بالأفلام الغربية التي كانت تعج بها دور السينما العراقية ،فضلا عن طريقة عيش حياته الخاصة وغيرها من اساليب حياته الاخرى.

٣-**الطموح الفردي**: ويعتبر واحداً من أهم خصائص الفردانية الذي تحكمه شخصية الفرد ويكون مرتبط بذات الانسان الذي يرسم لنفسه طريق يسعى لتحقيقه متجاوزاً فكرة المستحيل ، أو هو نقطة و هدف يضعه الانسان ويسعى الى تحقيقه بكل الوسائل الممكنة، فضلاً عن أنه مرتبط بامتلاك الحافز لبلوغ الغاية وهو بمثابة قوة داخلية ايجابية تنمي القدرة لدى الفرد على

بذل مجهود اضافي كبير لكي يحقق ما يريد ، ومن الاساسيات التي تدعم تحقيق طموح الفرد هو امتلاك الوعي الكافي وعدم اليأس من صعوبة تحقيق الهدف وعندما يكون الطموح معززاً بالثقة بالنفس يكون الفرد بذلك اكثر تمسكاً بهدفه الذي يطمح اليه حيث يمكن القول بأن الطموح يبدأ من الايمان بالذات والقناعة بإمكانياتها ،فالفرد الطموح يستطيع ان يحدد مسارات حياته السلوكية والتفاعلية ويوجه انشطته الخاصة والعامة وينظم مجريات حياته، وبالتالي هذا الحافز يجعل من الشخص متحمس لبلوغ غاياته واهدافه وبالنتيجة يوصل صاحبه الى الظفر والنجاح في كافة اعماله، وترتبط الطموحات الفردية أحياناً ببنية المجتمع وثقافته ودرجة الحرية المتاحة واذا ما أردنا قياس هذه الحالة في واقع مجتمعنا العراقي وبالتحديد المجتمع الديواني فهناك الكثير من الطموحات التي لم يستطع الافراد تحقيقها نتيجة شدة الضوابط الاجتماعية والتمسك بالأعراف والتقيد بالنظم والتقاليد لاسيما عندما تتعارض هذه الطموحات في افكارها وماهيتها وشرعيتها سلطة المسميات الاتية (الدولة ، المجتمع، الدين) لذلك تجابه هذه الطموحات بالرفض وعدم التقبل نتيجة سيطرة الثقافة المجتمعية أو شدة الضوابط المفروضة وبالتالي تصبح التقاليد والاعراف بمثابة سلطة موجهة ضد الفرد تحول دون تحقيق طموحه، ومع ذلك لا يمكن القول بأن كل الطموحات تجابه بالرفض ولكن الطموحات التي تتجاوز شرعية المجتمع وتمس جوانبه الدينيةأو القيميةأو تتنافى مع اعرافه وتقاليده فتلك هي التي تجابه بالرفض، فيماتأتي الكثير من القوانين والضوابط الاجتماعية باسم الدين تحد من تطلعات الافراد وتجعل من نطاق تفكيرهم لا يتعدى الواقع الاجتماعي وذلك بحكم التحليل والتحريم،فالدين له دور كبير في التحكم بأفكار الأفراد وبالتالي التأثير على مستوى طموحهم ورغباتهم ، وفي مجتمعنا تلعب الفتاوي الدينية المستمدة شرعيتها من المؤسسات الدينية والتي يطلق عليها(المراجع) دور مهم في تحديد تفكير الأفراد من خلال تحريم وتحليل أمور قد لا تمت بالدين بصلة ولكنها جاءت نتيجة تفسير خاطئ وهذا الأمر له أنعكاسات كثيرة وخصوصاً بأن مجتمعنا يتأثر وبالجانب الديني بشكل عميق ،لذا ما نود التأكيد عليه بان هناك ضغوطات متعددة يفرضها المجتمع او الدينعلى الفرد وتجعله خاضع غير قادر على التعبير أو الخروج من النمط السائد وعلى هذا الاساس تحد من تطلعات الافراد وتجعل من تفكيرهم لا يتعدى ما هو موجود في الواقع .

٥-**الاعتقاد بمركزية الفرد**: وهي بمثابة فلسفة فردية تدعم التطور الذاتي وتشير الى وضع اهمية مميزة للفرد وفقاً لمكانته وطاقاته الابداعية وبكونه الأصل لمختلف الظواهر الاجتماعية

والنفسية والثقافية مع اعطاء الاهمية المركزية لقدراته وجعله محور الاهتمام لكل ما يدور حوله أي أن(الفرد) بمثابة مركزاً لثقل العالم وهذه الفكرة تقوم على النظر للإنسان باعتباره غايه في ذاته ،وتشير أيضاً ألى اعطاء الاولوية للفرد على حساب كل ما هو سائد والاعتراف بالأثر الحاسم في قدرة الفرد على تشكيل عوالمه الذاتية وتقرير مصيره الشخصي.

وهذا ما يتنافى مع مبدأ الجماعات التقليدية والتي تعتبر بأنها الاصل لمختلف الظواهر والتي على اساسها يقوم المجتمع أو الدولة وتفترض بأنها مركز الحياة والواقع وأن الفرد فيها يجب أن يكون منصاع لأوامرها من دون تحقيق مكانة ذاتية ،فمثلا الدولة على سبيل المثال تمثل في نظر الفيلسوف هيغل الأساس في بنية المجتمع وقيام مؤسساته مهملاً بذلك الفرد معطياً للكل الأولية للمجتمع على حساب الأفراد بقوله "أن الكل قائم قبل الاجزاء ويجب ان يتكون الافراد في الكلي بنكرانهم لذواتهم وتنازلهم عنها"[1] كما اكد بأن "الحياة الحقيقية للأجزاء وهم الافراد انما توجد في حياة الكل وهو الدولة وتتحد معها في هوية واحدة"[2]،وعلى هذا الأساس أعتبر هيغل بأن الدولة هي أعلى تجسيد من الافراد فالنظام الهيغلي لا يعطي أي أهمية للجانب الفردي ويتجاهل امكانات الذات الفردية .

٦-**المطالبة بالحريات الفردية**: هي رغبة الفرد في الحصول على الاستقلالية في الآراء والأفكار والقرارات بدون ضغط خارجي متمثل بالمجتمع او الدولة ، أو ضغط داخلي كالعائلة او الطائفة أو الجماعة أو دون التقيد بالقوانين والقرارات التي تحد من امكاناته وطاقاته الفعلية وتنطوي على حرية في أبداء الرأي وكذلك في اختيار العمل ومكان العيش وما شابه ذلك ،فضلاً عن أنها تشتمل على الحرية في الفكر والقرار دون التبعية لإرادة الاخرين. ويطالب الأفراد بالحرية الشخصية عندما يقيد المجتمع حرية افراده ويتحكم في قراراتهم وآرائهم السياسية والاجتماعية والشخصية بحيث يتغلغل في حياة الناس الخاصة ولا يترك لهم مجالا للإفلات.

وتعتبر التقاليد والاعراف في مدينة الديوانية فرض واجب الالتزام والتقيد بها وتعتبر المطالبة بالحريات الفردية بمثابة تحدي يجابه من خلاله الفرد ضواغط المجتمع كما ان الخروج من دائرة التقاليد يقابل بالنقد والسخرية .

---

[1] - هيبوليت. جان: مدخل الى فلسفة التاريخ عند هيجل ،ت. انطوان الحمص ،(دمشق- منشورات الهيئة العامة)،ط/٢ ،ص ١٣٢.

[2] - ستيس ،والتر: فلسفة هيجل ، ت ، امام عبد الفتاح امام ، المجلد الثاني ،(بيروت- مكتبة مدبولي) ،ص٥٧٤.

٧- **الميل للعزلة**:يشير هذا المفهوم الى عدم التواصل مع الاخرين والانعزال عنهم ، وبكون الميل للعزلة هو أحد خصائص الفردانية فهي طريقة يختارها الفرد ارادياً ووفقاًلقرار ذاتي ، "فالرجل الفردي يعنى بالتعبير عن رغباته تعبيراً لا حدود له ويستشعر دائماً أنه في عزلة عن سائر الناس"[١]وهي تختلف كلياً عن الفرد المنعزل وفق قرار ارادي متخذ من قبل الاخرين الذي قد يكون بسبب مرض ما او حالة نفسية او العجز والياس أو شيء أخر ،ويظهر الميل الفرداني للعزلة من أجل تقدير الذات أحياناً أو عدم الرغبة في التواصل مع الأخرين لعدم الانسجام في الأفكار أو اختلاف في الاهداف او الآراء مما يدفع الفرد للأنسحاب من التواصل مع الأخرين وينعزل عنهم ويمثل هذا الميل للانعزال خاصية مميزة للفرد ،حيث ان العزلة المقترنة بالفردانية لها جانب ايجابي حينما تعلو على ما هو مألوف ونوعي وحينما تعلو عن العالم الموضوعي وبذلك فهي تمثل حينئذ حالة عليا من حالات "الانا" وحينما يحدث ذلك فأن درجة الانفصال الحادثة لا تكون عن الله والعالم الالهي وانما عن الروتين الاجتماعي اليومي للعالم الوضيع وهذا الانفصال عن كل ما هو مألوف ما هو الاّ مرحلة من مراحل نمو الانسان الروحي[٢].

أن الميل للعزلة المشار اليه هنا ليس البقاء وحيداً دون الاخرين أو الانفصال التام عن الاخر ولكن ما نعنيه هنا هو الميل المقترن بتقديس مركزية الفرد وبالتالي لا يميل الى أي محاولة للاختلاط بالأخر الجماعة التقليدية لإحباط هذا التقدير الذاتي أو الاهتمام الزائد وبالتالي يلجأ بعض الافراد للعزلة من أجل تقديس مكانتهم عبر الابتعاد عن الاختلاط مع العالم الموضوعي .

٨- **اختيار طريقة الحياة**: وهي الطريقة التي يختارها الفرد بنفسه للعيش وفقاًلقناعاته الذاتية وأفكاره بعيداً عن التدخل من الاخرين كما تشمل هذه الطريقة حرية التصرفات وابداء الراي وحرية اختيار مكان العمل واختيار شريك الحياة فهي طريقة تشتمل على كافة اوجه الحرية والاستقلالية ، وهي مرتبطة بالفرد نفسه حيث أن هناك بعض الذوات التي ترسم لنفسها طريقة معينة في العيش وفي التفكير والعمل وغالباً ما تبدأ هذه الطريقة في مرحلة الطفولة التي يتعلم بواسطتها بناء طرق جديدة للحياة أو التفكير بتنفيذ أفكار جديدة قد تخالف ما وجده في واقعه حيث يبدأ بتشكيل عالمه الذاتي الخاص به ثم بعد ذلك تتطور شيئاً فشيئاً وتبرز لدى الفرد ميول ذاتية فردية مثل الاستقلالية وحرية التصرفات وابداء الرأي والاهتمام بالإنجازات الفردية

[١] - برديائف. نقولا: العزلة والمجتمع ،ت. فؤاد كامل عبد العزيز .م. علي ادهم ،(القاهرة- مكتبة النهضة المصرية)،٢٠٠٣، ص٢٥.
[٢] - ينظر في برديائف. نيقولاى: العزلة والمجتمع ،مصدر سابق ،ص١١٧.

وقصص النجاح الفردي وضعف تطبيق القوانين او التقيد بها وغير ذلك، وعلى هذا الاساس يصوغ الفرد طريقته الخاصة بالحياة ويحدد من خلالها مصيره الشخصي، وإذاأردنا ان نقيس هذه الخاصية في مجتمعنا فالطفل يبدأ بتلقي الاوامر من والديه بشأن التصرفات والأفكار التي يجب أن يتبعها مع التأكيد على الالتزام بالأوامر والنواهي المجتمعية والتقيد بها على أساس أنها المحدد الرئيس للتصرفات والسلوكيات فضلاً عن مؤثرات أخرى منها المدرسة الشارع والعمل وكلها تفرض قوانين والتزامات تتوافق مع البنية المجتمعية ، وبذلك تصاغ شخصية الفرد حسب تلك القناعات التي هي تكون موروثة من الأسلاف الآباء والأجداد لتنمو شخصية تابعة تؤمن بما هو موجود على أرض الواقع من دون محاولة للخروج على ما هو المألوفوالمتعارف عليه وكل هذه الأمور تخلق شخصية تفضل السير وفقاًللنمط التقليدي وهو ما يدفع الفرد الى اختيار نسق حياته وفقاًلقناعات الأخرين .

٩-**حرية المعتقد الفكري**: تنطوي على عدم الخضوع أو الانصياع لأي سلطة سواء كانت العائلة أو القبيلة أو المجتمع وعدم الخضوع للتسلط اللاعقلاني الذي يتعارض مع أفكار وقناعات واتجاهات الفرد الذاتية ،و اعطاء أهمية مركزية لمعتقدات الفرد الفكرية وخصوصياته دون فرض قناعات والتزامات على الفرد بحيث يعامل "الانسان ككائناً واعياً بذاته وهذا الوعي نابع من قواه الذاتية ومن قدراته الابداعية وليس كما كان سابقاً يعتمد على قوى خارجه عن ارادته"[1]، واذا ما نظرنا لمجتمعنا العراقي نجد أن معظم الحريات الشخصية والاعتقادات الفكرية قد قضى عليها بأسم الحفاظ على وحدة المصالح العامة أو من أجل الحفاظ على ما هو موروث ومتبع فكبلت الحريات الفردية وبالغت الانظمة وقوانين المجتمع في تقديس اهمية الروح الجماعية وانعكس هذا على الذات الفردية الانسانية وافقدها حريتها وتميزها وبالتالي لجأ بعض الافراد الى طرق عديدة من اجل التخلص من قيود المجتمع والتزاماته المفروضة أو أي قيود أخرى سواء كانت من المجتمع أو الايديولوجية القيمية أو الدينية او أي سلطة تحد من أفكاره أو تؤثر في معتقداته الفكرية ولجأ الفرد بالتالي الى الهروب الى الخارج وترك الذات الواقعية والمنغرسة في الجماعة والمجتمع، وهناك من يلجأ الى طرق أخرى أو بدائل أخرى للتعبير عن مواقفه وقناعاته الفكرية ومنها الأنتماء الى جهات معارضة أو الانتماء الى الأحزاب المستقلة الغير مقيدة بسلطة ما.

[1]- مخادمة، سليمان خالد: الفكر العربي المعاصر واشكالية الحداثة ،مجلة المنارة ،جامعة اهل البيت ،العدد ٣ ايار، ١٩٩٩،ص٥.

١٠-**حرية الملبس والمظهر الذي يرغب**: ويشير الى الحرية الشخصية في اختيار الملابس وفي اتخاذه المظهر المناسب الذي يرغب هو به دون التقيد بالالتزامات المفروضة ،حيث ان الحرية في اتخاذ الملابس والهيئة التي يبدو عليها الفرد ما هي ألاّ حق من حقوق الفرد الشخصية والتي له الحرية المطلقة بان يكون مسؤول عنها، وما نجده في مجتمعنا العراقي هناك قيود كثيرة تفرض على ملبس الفرد وهيئته العامة فمثلا أذا اخذنا زي النساء الرسمي نجده (العباءة) او (الجبة والصاية) كما يطلق عليها في العامية وهو المتعارف عليه نجد أن الاحتشام الكامل من اهم ما يفرض على النساء التقيد بهذا الملبس والحفاظ على التقاليد والأعراف المتبعة وبذلك فهي تعكس بشكل كبير الالتزامات المفروضة عليها من قبل المجتمع ولكن يمكن القول بأن هناك بعض التغيرات التي لاحت في الأفق وغيرت من طريقة الملبس أو التقيد وخصوصاً بعد التغيرات الاقتصادية والاجتماعية الكبيرة والانفتاح على الغرب حيث اصبح للبعض الحرية في اختيار ملبسه كما لجأ البعض الى تقليد الغرب من خلال بعض الظواهر ومنها ظاهرة (الايمو) حيث كانت بدايات هذه الظاهرة في اوربا وامريكا ثم انتشرت في المجتمعات العربية ومن ضمنها المجتمع العراقي وتتميز جماعات الايمو بنمط خاص في المعيشة والتفكير حيث يغلب عليهم "صفات التشائم والاكتئاب والحزن ويلبسون في العادة ملابس سوداء قاتمة وسراويل ضيقة جداً أو فضفاضة جداً واحزمة مرصعة بقطع معدن ونظارات ذات الاطراف العريضة السوداء والحلق في اجزاء الجسد اضافة الى الرسومات والجماجم والالوان القاتمة"[1] لذا تتميز تلك الجماعات بنمط تفكير وملبس خاص بها.

فضلاً عن أن الموضة ايضاً أخذت تمارس نوع من السلطة على الفرد في حالات كثيرة أو أن الفرد يشعر بذلك ،وهذه الحرية في الاختيار وسيطرة الموضة نجدها في المناطق الاكثر تحضراً وتمدناً بالقياس بالمناطق الشعبية فعلى سبيل المثال نجد في مجتمعنا العراقي وتحديداً بغداد والمناطق الشمالية مقارنة مع مجتمع الديوانية بات الأفراد يمتلكون قدراً من الحرية في أختيار طريقة ملبسهم وتعددت الانماط وتنوعت نتيجة تغير بعض العادات أو تغير النظرة العامة والانفتاح على التطورات والتغيرات التي مست الجانب المظهري للأفراد، فيما أذا اردنا قياس المناطق الجنوبية نجد بعض الاتجاهات المشابهة ولكن بقلة قليلة لا تتيح للفرد الأختيار بشكل كامل مراعاةً لما هو سائد والتقيد بالأعراف والتشريعات الدينية .

[1] - https;//m .facebook.com

١١- **العلاقات العابرة المحلية**:وهي رغبة الفرد في تكوين علاقات مع الأخرين أو أختيار الأفراد وتكوين صداقات وعلاقات معهم من دون الرجوع الى سلطة العائلة أو أي سلطة كانت لكي تقرر للفرد بدلا عنه اختيار أصدقائه أو زملائه سواء في العمل أو المدرسة أو غيرها.

وفي المجتمع الديواني يميل الأفراد للتقارب في العلاقات أخذين في الاعتبار روح القرابة أو نتيجة للوحدة القرابية التي تحكم أفراد المجتمع وبذلك تتميز هذه العلاقات بكونها خاضعة للواقع الاجتماعي ،ويعتبر النسق القرابي بمثابة الرابطة التي تجمع الافراد في علاقات شبه دائمة كذلك اعتماد الفرد اقتصادياً على عائلته يجعل منه خاضع للدخول في علاقات تحتم الطاعة والانصياع للأوامر، وإذاأخذنا في الاعتبار حالة تبدل النظام الاجتماعي والاقتصادي والثقافي نشهد أن هناك تغيرات اثرت على الافراد استطاعوا من خلالها ان يتحرروا من العلاقات ضمن الانساق القرابية او ان يتحرروا من الروابط الاجتماعية المفروضة عليهم من قبل المجتمع وتقاليده وبذلك أصبح نطاق علاقاتهم لا ينحصر فقط ضمن اطار ضيق وإنما مكن الفرد من توسيع نطاق علاقاته فعلى سبيل المثال خروج المرأة الى العمل قد حررها من الدور التقليدي الذي كان ينطوي فقط على الانجاب وتربية الاطفال وكان يجعل محور علاقتها ينصب اوامر الزوج أو الأب وبعد التطورات والتغيرات أصبح للمرأة جانب مهم في بناء المجتمع واصبحت تشارك الرجل في اعماله وقراراته وبات لها حق في توسيع نطاق علاقتها نتيجة للأدوار الاجتماعية المتعددة التي تشغلها سواء كانت داخل البيت او في العمل .

لقد توسعت دائرة علاقات الأفراد خصوصاً بعد عام (٢٠٠٣) نتيجة الانفتاح على الثورات التكنولوجية وتطور وسائل الاتصال (التلفزيون، الانترنت) التي أخذت تترك صداها على الأفراد فمثلا نجد أن مواقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) جعل من الأفراد يوسعوا في دائرة علاقاتهم وبذلك أخذت هذه الوسائل تترك آثارها على الأفراد وعلى سلوكياتهم وأنماط تفكيرهم وبالتالي فالتقدم التكنولوجي وما صاحبه من تغيرات اخذ يترك صداه على تنظيم الاسرة وتركيبها وعلى علاقات الافراد مع بعضهم بعض بحيث لجأ بعض الأفراد الى الاكتفاء بالصداقات والعلاقات عبر هذه الوسائل وانعزل عن الواقع الاجتماعي وأخذ يتأثر بما تمليه عليه هذه العلاقات حتى يمكن القول بأن هناك الكثير من العلاقات الزواجية تمت عن طريق بعض وسائل الاتصال سواء الفيس بوك أو غيره ومن خلالها قل اعتماد الأفراد على الأهل في اختيار أزواجهم وأصبحوا هم مسؤولين عن اتخاذ مثل تلك القرارات، هذا من جانب أما من جانب اخر فلا يمكن الجزم أو التأكيد

بالقول بأن مجتمعنا وبالتحديد(المجتمع الديواني)قد توسع في أنماط العلاقات الى الحد الذي يمكن من خلاله القول بأن سيطرة التقاليد والاعراف قد زالت ولم يعد لها تأثير يذكر وانما هناك بعض العادات والقيم والتقاليد التي تكون راسخة في ذهنية الافراد وبالتالي تنعكس على سلوكياتهم .

١٢-**عدم المبالاة بالانتقادات العامة التي تخص حريته الفردية المكفولة قانونا**: ويشير مفهوم عدم المبالاة الى حرية الفرد بالتصرف بلا اهتمام بشأن الانتقادات الموجهة اليه ويتصرف وفق ما تمليه عليه قناعاته ولا ينصرف فيها الفرد الاّ بالاهتمام بشؤونه الخاصة ولا يعير اهمية بكلام الناس ولا يسعى لأرضاهم وانما كل همه منصب على الاهتمام بذاته .

١٣-**الخروج من ربقة ورقابة وسطوة الجماعة**: ويشير الى التحرر من ربقة الجماعة والتزاماتها المفروضة والتقيد بقوانينها ويكون الفرد بذلك مسؤول عن نفسه وعن قراراته وغير خاضع لأنظمة الجماعة وسطوتها التي تحد من طاقاته واستقلاله الذاتي ،أي أن مسؤولية الفرد تقع على عاتقه وحده ،ان الاعلاء من قيمة الفردانية يساهم مساهمة فعالة في بناء نسق حضاري تقدمي وهذا مرهون بشكل اساسي بتقليص المصالح الانانية التي تسعى لإبراز مصالحها على حساب الاخر سواء كانت داخل العائلة المتمثلة بالأب او الاخ الذي يفرض سلطته من اجل مصالحه الذاتية او انقياداً لسلطة المجتمع التي تتيح له بأن يمارس هذا الظلم باسم الحق على حساب الاخر ويمنح نفسه حق مقامية ومحاسبة اخوته ،أو داخل القبيلة أو المجتمع أو القومية أو الدين حيث أن تلك المسميات لا يكون لها دور الاّ تعطيل أي أمكان ابداعي فردي على اعتبارأن لا معنى لأي ذات فردية طالما أن ما تفعله الجماعة أو العائلة أو المجتمع أو غيرها من تلك المسميات ما هو الاّ صواب ويصب في مصلحة الصالح العام .

لذا يميل الفرد للتخلص من سطوة الجماعة التقليدية ويتجه الى الاستقلالية عن ما هو تقليدي مقترنة بالرغبة من التخلص من ضغوط الحقل الاجتماعي –الثقافي وما يمثله من انصياع للقيم والتقاليد حيث يرغب الفرد بالانتماء الى القوى الحديثة والى ما هو جديد رافضاً ما يقدم له اذا كان غير مقتنع به وفقاًلقناعة ذاتية فيلجأ للتمرد على بعض المعتقدات الدينية أو المذهبية أو يتمرد على ما هو مفروض عليه بسبب تضييقها النطاق عليه والحد من حريته او اعاقته عن الانفتاح على ما هو جديد ولكن يمكن القول بأن تأكيد الذات الفردية لا يقابله بالضرورة الوقوف ضد النزعة الجمعية أو عدم وجود التوافق بينهما "فالفردانيون كالليبراليون يؤمنون بأن الفرد

يمكن ان يكون حراً دون تدمير الجماعة"[1] ولكن هذا بدوره يقتضي بأن تعترف الجماعة بأهمية وامكانات الفرد مع ضمان حرياته الاساسية (حق الحياة ،حق الامتلاك ،حق الحرية، حق أبداء الرأي ،حق المعتقد الفكري ،وغيره) لذلك يمكن القول بأن العلاقة ما بين الفرد والجماعة يمكن أن تكون وثيقة اذا ما استندت على هذا الاساس المذكور ويمكن وصفها بالعلاقة التكاملية وليست علاقة (ضد) او تنافر حيث "اللحظة التي يشارك فيها الفرد في تحديد جماعي هي اللحظة التي يعبر فيها عن ذاته افضل تعبير ،والفرد لا يشعر بحقوقه كإنسان افضل مما يشعر بها عندما يصير عنها مدنياً"[2].

١٤-**حرية اختيار الشريك**: تشير الى حرية اختيار الفرد بنفسه لشريك حياته بدون اجبار من العائلة او التقيد بسلطة الاب او غيره ،حيث يتم اختيار شريك حياته وفقاًلرغباته وفي الوقت الذي يحدده هو دون الالتزام بعمر معين او وقت معين أي دون الخضوع لأي التزامات او اعتباطيات اخرى سوى افكاره وقناعاته وبذلك يكون له مطلق الحرية باختيار الشريك المناسب له دون تدخل الاهل او الاقارب بذلك واذا تدخلوا في ذلك فالفرد يستطيع رفض ذلك التدخل وعدم الاستجابة له، كذلك هو الامر بالنسبة للعمل أي أن الفرد حر في اختيار أي عمل يرغب هو بمزاولته ويتناسب مع طاقاته وامكاناته دون فرض أي راي أو قرار من قبل الاخرين.

وقد عرف المجتمع الديواني باعتباره مجتمع عرفي تحكمه التقاليد والاعراف السائدة كما عرف بتقيده لحرية الفرد بشأن حرية اختيار الشريك حيث كانت هناك الكثير من التقيدات التي تفرض على الافراد بما أن المجتمع عشائري قائم على فرض التقاليد فليس للفرد حرية في اتخاذ القرار في اختيار شريك حياته الذي يرغب فيه،اذ تفرض الكثير من الضوابط على الفرد سواء الفتاه أو الشاب ويتماختيار الشريك بواسطة الاهل وبالتحديد الأب الذي يقرر لابنه أو ابنته الزواج من شخص ما ويميل اكثر الى الاقارب للارتباط بهم مثل أبناء العم أو العمة ، وهناك بعض الاعراف التي كانت سائدة قديماً وهي اذا تقدم للفتاة خاطب ما وغريب عنها وكان ابن عمها راغب بها يقوم بالنهي عنها وذلك لمانعة اتمام خطبتها لأي احد سواه والفتاة لا رأي لها في ذلك سوى القبول ولا تعطي لها فرصة أن تنظر في الامر أو مناقشة ذلك معها.

[1] - شطارة ، عامر ناصر: الفردانية في الفلسفة الحديثة لدى كيركيجارد ، مصدر سابق ،ص ٥٣٤.

[2] - غوشيه .مارسيل: الدين في الديمقراطية ، ت. شفيق حسن ،(بيروت- المنظمة العربية للترجمة)، ٢٠٠٧ ،ص١٠٩.

أما اذا أردنا قياس صورة الزواج في الوقت الحاضر فهناك الكثير من الأمور التي تغيرت نتيجة التطورات واختلاف النظرة السابقة التي تحد من مكانة الفرد وحرياته فقد اتيحت الفرصة او اعطت بعض من الحريات للأبناء لاختيار شركاء حياتهم حسب قناعاتهم وقراراتهم الذاتية بسبب ازدياد الوعي الثقافي والاستقلال الاقتصادي الذي جعل من بعض الابناء يستقلون في قراراتهم ونمط عيشهم عن الاهل ولكن وبرغم ذلك لا تزال هناك الكثير من التقاليد الراسخة في ذهنية بعض الافراد والذين لايزالون يتبعون الطريقة التقليدية في اختيار الزواج أو شركاء حياتهم حيث يتم الاختيار وفق قرارات الاهل دون اعطاء أوفسح المجال للشخص المعني في اتخاذ هذا القرار .

ومن الجدير بالذكر أن الكثير من العوائل في الديوانية يلجأون الى تزويجأبنائهم أو بناتهم في سن مبكرة وهذا الامر ولد الكثير من المشاكل التي لا تضر بالفرد نفسه وإنما ينتج عنها مضرة للمجتمع كله فالأهل يلجأون لهذه الطريقة نتيجة قلة الوعي الثقافي والفكري كما يلجأ بعضهم الى الاستماع للأخرين أو التقيد بآرائهم فيتجهون الى تزويج أبنائهم خوفاً من نظرة المجتمع مبررين ذلك بحُجج واهية مثل (لجأت الى تزويج بناتي طلباً للستر أو أن بيت زوجها أفضل من بيت أهلها وبذلك فهم يتعاملون مع الفتاة وكأنها عاهة يجب الستر عليها ،وهذا الامر ولد الكثير من المشاكل التي أضرت بالمجتمع أذ كثرت مشكلات الطلاق نتيجة لقلة الوعي أو لتزويجهم في سن مبكرة مما لحق بالمجتمع مضار كبيرة فأزدياد نسبة الطلاق تؤثر سلباً على المجتمع.

ومن هذا نستنتج بأن الحرية الفردية خاضعة وبشكل كبير أما لسيطرة وتحكم المجتمع أو النظرة المجتمعية أو لتسلط الاب(السلطة الذكورية) وحتى في الوقت الحاضر وعلى الرغم من دخول التغيرات والتطورات الاّأن نسبة كبيرة من العوائل في مدينة الديوانية تسير وفقاًللنمط التقليدي الموروث أوالسائد في المجتمع ونستنتج من هذا بأن التقاليد لا تزال مهيمنة ومسيطرة على عقلية الأفراد وأنماط تفكيرهم ولا تزال تتحكمبمصائرهم .

١٥-**الاتجاه السياسي والفكري**: يشير الى الطريق أو التيار الذي يتبعه الفرد في صياغة أفكاره السياسية كما ينطوي الاتجاه السياسي والفكري على تبني التفكير الحر الذي ينبني أساساً أن الافراد لا يقبلوا بالأفكار السائدة المقترحة بوصفها الحقيقة النهائية التي يلجأ اليها الفرد ، وتنبني الاستقلالية في الاتجاهات الفكرية على اساس صياغة الافراد لأفكارهم وآرائهم

وفقاًللحقائق العلمية والبحث العلمي والمبادئ المنطقية المستقلة بعيداً عن أي سلطة سواء أكانت الثقافة الشعبية أو التقاليد أو سلطة المجتمع أو غيرها.

بينما في المجتمعات التقليدية يشكل مبدأ الاجماع على الآراء والتشابه في الأفكار وتوحد السلوكيات وتشابهها أهم ما يميزها حيث "يشكل مبدأ الاجماع على أسس دينية تراثية أو اجتماعية أو حتى أسطورية أحد أهم أركان المجتمعات التقليدية حيث كان الانسان يستمد من هذه الأسس معنى وجوده التي دونها يفقد هذا المعنى"[1]، فضلاً عن سيادة فكرة الوحدة حيث جميع الافراد متساوون فلا تفرد.

١٦-**الايمان بقدرة العلمعلى التقدم**: أن العلم والمعرفة يمثلان دعامتان أساسيتان لتقدم أي مجتمع أذأن التطور العلمي يساعد على قيام مجتمع متماسك متقدموعادةً ما يقاس تطور المجتمع بإمكانات تقدمه العلمي والمعرفي ،كما أن المعرفة تطور وتنمي لدى الفرد الوعي الثقافي والمعرفي الذي يستطيع بواسطته النقد او التشكيك كما تنمي المعرفة الفكر الخلاق وتطور امكاناته الابداعية وكلما كان البلد يؤمن بقدرة العلم ويشجع المعرفة كلما كان للفرد اهمية كبيرة وتكون هناك قوانين لحفظ حقوقه واتجاهاته الفردية أي بمعنى يكون هناك مجالا ودور للفرد وابداعاته وقدراته ،كما يمكن القول بأن المعرفة هي بمثابة قوة يستطيع بواسطتها الفرد ان يثبت وجوده "أن المعرفة هي في ذاتها قوة وسلطة نمارسها على الاخرين لتحديدهم ، أي أن قوة المعرفة ما عادت اداة للتحرير واضحت أداة للاستعباد"[2]،أن المجتمع الخالي من بذور الابداع والعلم والمعرفة هو مجتمع تشيع فيه مختلف الوسائل والأساليب البدائية التي تنكل بالفرد وتضيع حقوقه .

الجانب الحقلي للدراسة

[1] - مخادمة. سليمان خالد: الفكر العربي المعاصر واشكالية الحداثة ،مجلة المنارة ،جامعة اهل البيت ، العدد ٣ ايار ،١٩٩٩،ص٥،

[2] - ميشيل فوكو، ينظر في : جواد كاظم. علاء: الفرد والمصير بحث في الانثروبولوجيا الثقافية ،(بيروت- دار التنوير)،٢٠١١،ص٨٧.

الفصل الخامس : المبحث الاول

النظريات المفسرة لظاهرة الفردانية ومستقبل الجماعات التقليدية

تمهيد

النظرية هي نسق فكري استنباطي متسق حول ظاهرة أو مجموعة من الظواهر المتجانسة يحوي –أي النسق –اطاراً تصورياً ومفهومات وقضايا نظرية توضح العلاقات بين الواقع وتفسر معطياته وتنظمها بطريقة دالة وذات معنى، وهي ذات توجه تنبئي يساعد على تفهم مستقبل الظاهرة ولو من خلال تعميمات احتمالية[١] ، كما أنها علاقات تصورية بين مجموعة من المتغيرات يتم في ضوئها تفسير فئة من المشاكل أو الاضطرابات التي يمكن تحديدها بشكل تجريبي ، وهي تصور أو بناء منطقي علمي يفسر ظاهرة أو ظواهر اجتماعية متعددة ويحدد هذا التصور المنطقي العوامل التي اذا تكررت أو ظهرت يعني أمكن تكرار أو ظهور الظاهرة من جديد[٢] ، و هي بمثابة الحل للوصول الى فرضية تسعى الى وضع تفسير واضح عن ثقافات أو ثقافة لمجتمع ما ، هي أكفأ وسيلة للوصول الى هدف معين في دراسة معينة[٣]،و يمكن أن تأتي بوصفها مخطط أو نسق من الافكار أو الاحكام التي ترعى كتوضيح أو تفسير لمجموعة من الوقائع أو الظواهر أي هي فرضية تؤكدها أو ترسخها الملاحظة أو الممارسة وتقترح أو تقبل كتفسير لوقائع معرفية وبيان لما يعتبر قوانين عامة أو مبادئ أو أسباب لشيء ما أو ملاحظ[٤].

ويندرج بين أعمال النظرية الانثروبولوجية ما تقوم به من خلال تصنيف المجتمعات البشرية ضمن مستوى تطوري على سلم من التقدم يبدأ بالبدائي (الوحشي)الى البربري ثم الحضاري كما ظهر لدينا في نظرية سبنسر ، أو في بحثها(النظرية الأنثروبولوجية)(في نظرية توماس هكسيلي) عن نشأة الانسان وتطوره وتميزه عن المجموعات الحيوانية ، وتقسيمها الجماعات الانسانية ألى سلالات وفقاًلأسس بيولوجية ، وفي دراستها لثقافة الانسان ونشاطه كما تبنى النظرية وتشرح

---

[١] - عبد المعطي .عبد الباسط: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ،(الكويت- عالم المعرفة)،١٩٨١،ص٨٥.

[٢]- الحوات. علي: النظرية الاجتماعية ،اتجاهات اساسية ،منشورات شركة الجا ،١٩٩٨،ص٥.

[٣]- كريب. ايان: النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابرماس، ت .محمد حسين غلوم، م، محمد عصفور ،(الكويت-المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب)، ١٩٩٠، العدد(٢٤٤) ،ص٢٤-١٠٢.

[٤]- بينيت. طوني ،غروسبيرغ. لورانس ،موريس .ميغان : مفاتيح اصطلاحية جديدة ،معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع ،ت. سعيد الغانمي ،(بيروت –المنظمة العربية للترجمة)، ٢٠١٠،ص٦٩٢.

الاجناس والسلالات و تأويلها للميثولوجيا (الأساطير)والفولكلور(الفن الشعبي)[1] كما هي النظرية التي حاولنا في دراستنا هذه أن نشرحها.

بينماتدرس النظرية الاجتماعية[2]تأثيرات النظم المختلفة الاجتماعية منها والثقافية مما ينعكس هذا على صياغة أنماط الشخصية الانسانية الفردية وأساليب وطرق تفكيرها ، كما أن أساليب التنشئة الاجتماعية وطرقها المختلفة هي التي تصوغ نمط الشخصية فبتنوع الاساليب تتباين تراكيب الشخصية ،وبذلك فالنظرية العلمية تساعدنا على تحليل الأنماط والسمات الثقافية والاجتماعية لشخصيات الأفراد وللأنظمة الثقافية والاجتماعية التي تؤثر تأثيراً مباشرةً على طريقة عيشهم وتكوين أفكارهم.

اولاً: نظرية التحليل الثقافي(Culture Analysis Theory)

يُعدّ التحليل الثقافي الاكتشاف النظري الذي تقدم به (كيلفورد غيرتز) بوصفه التحليل الانثروبولوجي للثقافة والذي أدعى (غيرتز) أنه لم يلقى التقدير الكافي من قبل الانثروبولوجيين طيلة القرن الماضي ،وقد عرفه بوصفه نوع من التحليل الانثروبولوجي يحاول اظهار بعض "العلاقات العامة بين نظم من التصورات الثقافية التي تبقى مخفية عنا عندما ننظر فقط الى اطارنا المألوف الذي تجري من ضمنه تعريفنا للأفراد من البشر وأشباه البشر وتصنيفنا لهم"[3] بحيث يشير هذا النوع من التحليل الى بعض الارتباطات الواضحة بين الطريقة التي يرى فيها الافراد في شعب من الشعوب أنفسهم أو الاخرين ،والطريقة التي يختبرون فيها الزمن ، والنغمة العاطفية لحياتهم الاجتماعية،والارتباطات التي لها مغزى ليس فقط لفهمالافراد والمجتمع (الباليني)الذي درسه غيرتز بل المجتمع البشري بصورة عامة وحركة الافراد فيه .

---

[1] - غيرتز .كيلفورد: تأويل الثقافات مقالات مختارة، ت. محمد بدوي ،م. بولس وهبة ،(بيروت-المنظمة العربية للترجمة)،٢٠٠٩، ص٢٠-٣٣.

[2] - كذلك تفعل النظرية الاجتماعية عندما تستخدم امكاناتها النظرية لتفسير خبرة ما وفهمها على اساس خبرات وافكار عامة عن الحياة ،وهي تحاول أن تكون اكثر تنظيماً في نظرها الى الافكار والخبرات معاً ، فالنظرية الاجتماعية هي نظرية حول المجتمع ككل ولقد ذهبت الى ان اساس المشكلة يكمن في التعميم من الفاعل الى النسق الاجتماعي[2].كما انها محاولة فكرية تفسر جانباً من الحياة الاجتماعية ويمكن اعتبارها امتداد لما يسمى بالفكر الاجتماعي وتتميز بقدرتها على توفير نوع من التفسير لملمح من ملامح الحياة الاجتماعية او ظاهرة من الظواهر. ينظر في:
حجازي. اكرم: النظرية الاجتماعية الموجز في النظريات الاجتماعية التقليدية والمعاصرة ،(اليمن –جامعة تعز)،ص٤

[3] - غيرتز.كيلفورد :تأويل الثقافات مقالات مختارة ،نفس المصدر ، ص٦٧٦.

ومع أن الانثروبولوجيين كانوا قد وضعوا فكرة التحليل الثقافي على وفق الصيغة التي طرحها مؤسس النظرية " غيرتز" معتبراً أن صيغة التحليل الثقافي هي وضع الثقافة في مواجهة التركيب الاجتماعي لمجتمع ما.

ويقتضي التحليل الثقافي العمق في تلمس الابعاد المختلفة والمتنوعة للرموز الثقافية كما يتطلب النظرة الشمولية لمعالجة وتحليل الجوانب الاجتماعية الواقعية الراهنة للإحاطة بكل الجوانب ، فالتحليل الثقافي يتميز باتساع تناولاته للقضايا الانسانية والعناصر المكونة لها .

كما يهدف التحليل الثقافي ألى فهم وتحديد الاتجاهات العامة والتأثيرات والمؤثرات التي تخضع لها الثقافة والمظاهر الناجمة عن ذلك كما تتمثل في المجتمع الانساني بوجه عام أو في مجتمعات معينة وهذا لا يقتضي رصد مكونات الثقافة فقط وإنما تتبع التغيرات والتعديلات التي تطرأ عليها والدور الذي تلعبه في استمرارية الحياة الاجتماعية وتماسكها واعطاء المجتمع هويته الخاصة المميزة بجانب دراسة مظاهر تلك الثقافة وعناصرها وتساندها وتضافرها معاً لتكوين تلك الوحدة العضوية المميزة للثقافة .

لذا فالتحليل الثقافي يسعى لكشف الانماط الذاتية للأفراد وعالمهم الاجتماعي الذي يعيشون فيه كما تهتم بتحليل معاني الرموز المختلفة وتحليل الافعال وفقاًللواقع الاجتماعي وسياقاته الموضوعية والذاتية، والثقافة باعتبارها احدى خصائص الافراد فهي تتعمق في الوعي الذاتي لهم للكشف عما يفكرون فيه وعما يشعرون به وباختصار دراسة تكوين المعاني الذاتية .

الا أن الأسس النظرية لهذا التحليل كانت مختلفة الى حد ما أو جرى تطويرها فيما بعد فقد تقدمت بصيغتها الاولى من قبل تالكوت بارسونز (T.parsons) في كتابه النظام الاجتماعي (The social system)و ادوارد شيلز(E.shils)في كتابهما نحو نظرية عامة للفعل (Towardageneral theory of action)١٩٥١ ،بينما تناول الانثروبولوجيين نادال(S.F.nadel) نظرية البناء الاجتماعي من منظور ثقافي تحليلي (Theory of social structure)١٩٥٧ ،ولينج(E.R. Leach) الانظمة السياسية في هايلاند بورما (political system of highland Burma)[1] ،

[1] - (*) وكتب مارك بلوخ في كتابه الصغير الحجم صنعة المؤرخ (The Historians Craft) يقول :"هل تتوقع فعلا ان تتعرف الى التجار الكبار في اوروبا عصر النهضة ،والى باعة الاقمشة والتوابل ،والى محتكري النحاس او الزئبق او حجر الشبه ،او الى مصرفي الملوك والامبراطور ،ان تتعرف اليهم بالتعرف فقط الى تجارتهم؟ اذا تذكر ان هؤلاء كلهم يجلسون هولبين (Holbein) ليرسمهم وانهم كانوا يقرأون أيراسموس (Erasmus) ولوثر(Luther) .ولكي تتفهم موقف الخادم في القرون الوسطى تجاه سيده عليك ان تتعرف على موقفه من الله كذلك". علينا ان نفهم في الوقت ذاته نظام النشاط الاجتماعي واشكاله المؤسسية كما انظمة الافكار

ولقد اكتسبت الجهود في هذا المجال زخماً جراء الرغبة في احتساب العوامل الداخلة في تكوين الأفكار في العمليات الاجتماعية من دون الاستسلام لأي من الاشكال الاختزالية الهيغلية أو الماركسية .ولتجنب الاضطرار الى النظر الى الأفكار والمفاهيم والقيم والاشكال التعبيرية على أنها ظلال يلقيها تنظيم المجتمع على سطوح التاريخ القاسية أو على أنها روح التاريخ الذي لا يكون تقدمه الا نتيجة للجدلية الداخلية لهذه الافكار ، كان لابد من النظر أليها على أنها قوى مستقله وأن لم تكن ذاتية الاكتفاء على أنها لا تفعل وتؤثر الا ضمن سياقات اجتماعية محددة تتكيف معها ،وتتأثر بها ، وإنما لها عليها تأثير محدد بدرجة قد تقل أو تكثر[١].

ولهذا فأن دراسة الثقافة التيهي المجموع الكلي المتراكم لأنماط كهذه ،هي دراسة للأليات التي يستخدمها الافراد والجماعات لإيجاد توجه لأنفسهم في عالم غامض غير شفاف[٢].

أن الانماط التراثية المقبولة عموماً والمستخدمة تكراراً في أي مجتمع عددها كبير جداً ولذلك فأن مهمة تصنيف الهامة جداً منها ومتابعة العلاقات في ما بينها هي عملية تحليلية في غايةالصعوبة ،ولكن ما يخفف تلك الصعوبةأن بعض أنواع هذه الأنماط وبعض أنواع العلاقات بينها تتكرر من مجتمع الى آخر ، لأنها تلبي حاجات توجيهية هي حاجات أنسانية عموماً[٣].

وقد طور غيرتز أفكاره الاساسية عن التحليل الثقافي في الاصل عن الفرد شوتز(A.schutz)الذي اعتبرها غيرتز بمثابه "محاولة بطولية" لصهر المؤثرات من شيلر (Scheler)وفيبر وهوسرل من جهة مع مؤثرات من جيمس (James)وميد وديوي من الجهة الاخرى ، وقد غطى شوتز جمهرة من المواضيع والتي لم يكن أي منها تقريباً يحوي منهجية لعمليات اجتماعية محددة حيث كان دائماً ينشد الكشف عن الهيكلية ذات المعنى لما كان يعتبره الحقيقة الاسمى في التجربة الانسانية أي عالم الحياة اليومية كما يواجه الناس ويتصرفون فيه ويعيشون خلاله[٤].

قدم غيرتز تحليلاً لنظرية شوتز و"خلال هذا العمل نظر غيرتز الى مجموعة الأنماط الثقافية التي يستعملها البالينيون في تشخيص الأفراد بطريقة شديدة الايحاء تبرز العلاقات بين مفاهيم الهوية الشخصية ومفاهيم النظام الزمني ومفاهيم اساليب السلوك التي تتضمن فيها ،موضحاًأن الفروق

التي تحركه ،كما علينا ان نفهم طبيعة العلاقات في ما بينها والى هذه الغاية اتجهت محاولة توضيح مفهومات التركيب الاجتماعي ومفهومات الثقافة. المصدر : غيرتز ، كيلفورد: تأويل الثقافات مقالات مختارة ، المصدر نفسه ،ص ٦٧٧-٦٧٨.

[١] - غيرتز.كيلفورد ، المصدر نفسه ،ص ٦٧٧.

[٢] - المصدر نفسه ، ص٦٧٩.

[٣] - نفسه ،ص٦٧٩.

[٤] - نفسه ، ص٦٨٢.

والاختلافات بين المفاهيم بحد ذاتها ليست عميقة الغور وليست عصية على الفهم الآّن واقع الاصناف التي تتمايز بها وتتراكب وتتداخل يجعل من الصعب صياغتها الصياغة الواضحة المحددة التي يتطلبها التصنيف التحليلي[١].

وهكذا فأن الرابط بينهم ليس التفاعل الاجتماعي المباشر بل هو مجموعة عامة من الافتراضات المصوغة صياغة رمزية (أي ثقافية) حول أنماط السلوك النموذجية لدى احدهما الاخر والاكثر من ذلك أن مستوى التعميم هو مسألة درجات أذتتدرج وتتشابك العلاقات الشخصية في علاقات "الصحبة" نزولا ألى علاقات المعرفة العابرة وهي علاقات محكومة بالثقافة ،ويستمر هذا التدرج في الانحدار حتى يصل الى درجة عدم المعرفة الشاملة المعيارية وامكانية الاستبدال المشترك ولكن من وجهة نظر أي فاعل خاص ليس لهم المغزى ذاته أو الدلالة ذاتها فالسلف بما أنهم عاشوا وأمضوا حياتهم في فترة سابقة يمكن أن نعرفهم أو بعبارة أدق نعرف عنهم ويمكن أن يكون لأفعالهم تأثير على من جاء بعدهم الآّن العكس بحسب طبيعة هذه الحالة غير ممكن[٢].

الآّننا لا نشكل صورة عقلية عن هذه العلاقات كما هي بصورة مجردة فنحن لن نستطع استيعابها الاّ من خلال الصياغات الثقافية لها لكونها مصاغة صياغة ثقافية فأن طبيعتها الدقيقة تتبدل من مجتمع الى أخر بتبدل لائحة الأنماط الثقافية المتوفرة في المجتمع ، كما تتبدل من موقف الى آخر ضمن المجتمع الواحد بتبدل الأنماط بتعدد الجماعات التي تطبقها كما أنها تتبدل من فاعل الى أخر ضمن المواقف المتماثلة بحسب العادات الفردية و التفضيلات والتأويلات التي تؤثر في الخيار الشخصي[٣].

أما دراسة بول رابينو (B.Rabinow) فهي امتداداً لدراسة غيرتز في التحليل الثقافي أذ ركز على اتجاهين مهمين أولهما متجه نحو الفاعل "بهدف التعرف على رؤية الفاعل وفهم عالمه الاجتماعي ويتضمن الرموز التي تضفي المعنى أو من خلالها يتحقق المعنى وبالتالي يمكن فهم الفعل في السياق الذي يقع فيه مؤكداً ان الظروف الاجتماعية والاقتصادية المحيطة بالفاعل وفعله

---

[١] - وتزداد هذه المقولة صحة حين تكون الافكار المعنية هي غير العقائد الصريحة التي جاء بها اشخاص مثل لوثر أو ايراسموس ، وغير اللوحات المعبرة التي رسمها هولبين ، بل تكون الافكار غير مكتملة التشكل والمسلم بها والمنظمة تنظيما عشوائياً وهي الافكار التي توجه مسار الاعمال العادية للأشخاص العاديين في الحياة العادية ، فلئن كانت الدراسة العلمية للثقافة قد تخلفت ، غالباً بفعل تورطها في الوصفية المجردة فأن السبب الاكبر في ذلك يعود الى طبيعة موضوعها المراوغة .ان المشكلة الاولية في اي علم من العلوم تحديد موضوع الدراسة بطريقة تجعله قابلا للتحليل بدت في هذه الحالة بالغة الصعوبة ينظر في :غيرتز ، كيلفورد : مصدر سابق ،ص ٦٧٧.

[٢] - غيرتز ،كيلفورد :تأويل الثقافات مقالات مختارة ،مصدر سابق ، ص٦٨٥

[٣] - نفسه ،ص٦٨٦

تعد من العوامل الضرورية التي تساعد على الفهم العلمي للثقافة التي ينتمي اليها الفاعل ،أما الاتجاه الآخر فهو رمزي ذو أبعاد تاريخية فالرموز المحيطة لا تكتسب قيمتها أو معناها بمعزل عن البعد الزمني أو التاريخي اذ أنها تظهر وتتبلور في فترات معينة وتختفي في فترات زمنية تاريخية اخرى،وقد تستمر عبر مراحل زمنية طويلة مقارنةً بالجوانب الاقتصادية المادية والاجتماعية"[1]."وطبقاً لهذا الاطار المنهجي أكد رابينو أنه من أجل تحقيق فهماً دقيقاً لمجموعة من الرموز في ثقافة ما يجب العودة الى الماضي بغرض تتبع ظهورها ونموها ، وهو يركز على تتبع الرموز المهيمنة رأسياً (تاريخياً) وافقياً (مكانياً) مؤكداً أن الرموز المهيمنة هي رموز عامة يشترك فيها أفراد المجتمع لكنها تصبح رموزاً خاصة من خلال أفعال الفرد أو الافراد وهذا ما أكد عليه غيرتز من قبل"[2].

الاسباب التي دعت الباحثة لاختيار نظرية:التحليل الثقافي

تقوم نظرية التحليل الثقافي على جوهر تحليل وتفسير الابنية الثقافية للنظام الاجتماعي كما تقوم بالكشف عن الأنماط الذاتية للأفراد وتسعى لفهم وتحليل واقعهم الثقافي الاجتماعي وما يرتبط به من تغيرات متعلقة بأساليب المعيشة وطرق التفكير العقلية وهذا قائم بدوره على رؤية الفاعل الفرد واختلاف فهمه للعالم الثقافي والاجتماعي وعلى هذا الاساس وظفت الباحثة هذه النظرية للتعرف على أفكار الأفراد وكشف أهم المعاني المتضمنة في أفعالهم وتصرفاتهم للوقوف على أهم المحاور التي صاغت فرديتهم.

كما وظفت هذه النظرية أيضاً لنتلمس أبعاد الرموز الثقافية واختلاف تفسيراتها في مجتمعنا وفهم نمط الثقافة العام الذي يسيطر على المجتمع وهذا بدوره يقتضي رصد المعاني التي يستخدمها الافراد في أنشطتهم وأنماط تفكيرهم فما هذه الاساليب الاّ تمثيل نهائي لثقافة مجتمع ما والذي من خلاله نستطيع فهم الانماط الذاتية للأفراد. فضلاً عن التعرف على التحولات التي طرأت على المجتمعات التقليدية نتيجة الانفتاح على التطورات أو التغيرات في أنماط الحياة ومنها التطور التكنولوجي الذي فتح أفاقاً عديدة غيرت بعض المفاهيم التي كانت سائدة ومن ثم التعرف على أهم المحاور الثقافية التي بقيت راسخة وذات تأثير في رؤية الفاعل الفرد وأفكاره وتصوراته .

[1] -الاسود . السيد حافظ : الانثروبولوجيا الرمزية ،(القاهرة-دار المعارف)،٢٠٠١،ص ١٨٠.

[2] -السيد ، الاسود حافظ: المصدر نفسه ،ص ١٨٠.

كما نتعرف على أثر المخترعات التكنولوجية الجديدة في المجتمعات الانسانية،أذ تُعدّ هذه الابداعات التكنولوجية بمثابة محركاً لبعض الثقافات وأساسًا في عملية التغير، وعلى هذا الاساس أمكن معرفة أثر التبدلات في سلوك وتفكير الأفراد ومعرفة أساس الرابط الثقافي للفرد بمجتمعه من خلال هذه النظرية واستعمالها كإطار لتحليل ظاهرة (الفردانية) وذلك بالاعتماد على المعرفة النظرية للحياة اليومية للأفراد وأساليب تنظيم حياتهم اليومية وخبرتهم بالعالم الاجتماعي وفهم أنشطتهم وأفعالهم التي تكون ذات معنى ومقاصدهم الذاتية وفهم الدوافع والبواعث المحركة لتصرفاتهم وعلاقاتهم مع بعظهم بعض ، و كمحللين لثقافة الافراد تتيح لنا النظرية تتبع المراحل الزمنية لنشوء ظاهرة الفردانية في بداياتها وما طرأ عليها من تغيرات في الوقت الحاضر، فهي بالنهاية تحليل لوجهة الفاعل الفرد وأفعاله وفق الواقع الاجتماعي .

ثانياً :نظرية البناء الاساسي للشخصية

(Basic personality construction)

تقدم هذه النظرية تصوراً مؤداه أن الافراد في ثقافة معينة يميلون الى التقارب أو التماثل في شخصياتهم"[1] ،و تعرف على أنها هيئة نفسانية مخصوصة ، خاصة بأفراد مجتمع معين تتجلى في نوع من انواع السلوك الذي يوشيه الافراد بتنويعاتهم المتفردة[2]، وهي الادوار الفعالة المتكيفة عند الفرد وهي عامة عند جميع أفراد المجتمع الواحد ،وتقوم هذه النظرية على أعطاء اهمية كبرى لمرحلة الطفولة المبكرة وما يتضمنها من انماط ثقافية في تشكيل البناء الاساسي للشخصية وتؤكد على أهمية النظم الأولية التي تتمثل بالأساليب التربوية العائلية ومنها نظام الثواب والعقاب ونظام حمل الطفل وعدد مرات الرضاعة والتنظيمات الجنسية وما الى ذلك من النظم الاجتماعية والثقافية الخاصة بمرحلة الطفولة ودورها في تكوين شخصية الفرد الاساسية[3].كما تشير الى مجموعة من الخصائص السيكولوجية والسلوكية التي يبدو أنها تتطابق مع كل النظم والعناصر والسمات التي تؤلف أية ثقافة[4].

---

[1]- دياب .محمد حافظ: الثقافة والشخصية والمجتمع ،برنامج لدراسة المجتمع ،(القاهرة-جامعة بنها) ،ص ١٤٧.

[2] - كوش. دينيس: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ،ت ، منير السعيداني ،(بيروت –المنظمة العربية للترجمة)،٢٠٠٧ ، ص ٧٠.

[3]- وصفي .عاطف: الثقافة والشخصية ،(القاهرة-دار المعارف) ،١٩٧٧ ، ص١٥٧.

[4] - ابو زيد .احمد: البناء الاجتماعي مدخل لدراسة المجتمع ، ج ١ ،(القاهرة- الهيئة المصرية العامة)، ١٩٨٩ ،ص٢٣٨.

وترتبط نظرية البناء الاساسي للشخصية بإبرام كاردينر(A.Gardner) والانثروبولوجي رالف لينتون (R.Linton)والذي يعتبر تحديد كل منهما لهذا المصطلح من أبرز التحديات العلمية ، فقد ارجعا التماثل في طبائع الشخصية الى اشتراك غالبية أعضاء المجتمع في خبرات وظروف ثقافية واجتماعية عامة ،حيث رأى كاردينر بأن كل مجتمع يتميز أفراده ببناء أساسي للشخصية ويتشكل هذا البناء عن طريق النظم الاولية التي عرفها على أنها النظم الاجتماعية والثقافية التي تتمتع نسبياً بالقدم والثبات والتأثر الضعيف بالتغيرات المناخية والاقتصادية،تشمل النظم الاولية نظام الاسرة والنظم التربوية وغيرها وبالتالي فأن تلك النظم تلعب دوراً جوهرياً في تشكيل البناء الاساسي للشخصية وأن هذه النظم تستخدم من قبل الثقافة في التأثير على الشخصية،وعرفها على أنها تركيب يحوي مميزات الشخصية التي تظهر مظهر الانسجام والتوافق بالنسبة لمجموع المؤسسات المكونة لحضارة المجتمع[١]. كما تؤثر البيئة تأثيراًكبيراًفيأنماط العيش والاستيطان ،وهذا بدوره يؤثر على بنية الشخصية الاساسية التي تؤثر هي الأخرى في المؤسسات الثانوية مثل الدين، وبذلك يصبح البناء الاساسي للشخصية متغير التدخل بمعنى كثرة المؤثرات التي تمس بناء الشخصية الاساسي[٢].

غير أن لنتون تحدث عن شخصية أساسية تعبر عن صيغة تتألف من مجموعة عناصر ثقافية تقوم على أن خبرات الفرد المبكرة تؤثر في شخصيته وتماثل الخبرات يؤدي الى شخصيات متماثلة البناء[٣]. أذأن اختلاف السمات الشخصية يختلف من مجتمع الى أخر نتيجة للصيغة الثقافية ، فالتماثل والتطابق وانتظام العلاقات الاجتماعية يشيع في المجتمعات التقليدية ويجعل من الافراد متماثلين متطابقين وبالتالي فبناء شخصيتهم الاساسية يتميز بالتشابه والتماثل نتيجة خضوعهم لنظم متشابهة ، بينما اختلاف السمات والانماط والعناصر الثقافية في المجتمعات الحديثة يؤدي الى اختلاف في شخصيات الافراد كما أن عدم التماثل والتطابق في سمات الشخصية يكون مرده الى الثقافة نفسها .

١- لنتون .رالف : الانثروبولوجيا وازمة العالم الحديث ،ت. عبد الملك الناشف ،(بيروت-المكتبة العصرية) ،١٩٦٧،ص ٢١٠.

٢- -Levine, Robert, 1982; culture ,behavior, and personality, (new yourk- Adinepubihshing) ,p59.

٣- دياب .محمد حافظ: الثقافة والشخصية والمحتمع ،مصدر سابق ،ص١٤٧.

و تسعى نظرية البناء الاساسي للشخصية الى معرفة تعقيدات التنشئة الاجتماعية باعتبارها عملية "تطبيع ثقافي" وهذا التطبيع يهدف أساساً في كل المجتمعات الى غرس كل ما ينطوي عليه نظام الثقافة التقليدية في المجتمع من قيم ومعايير وعقائد في عقول الافراد في سنوات الطفولة المبكرة[١].

وعن طريق النظم الاولية والثانوية يتم ادماج الفرد في مجتمع ما وتتشكل شخصيته وفقاًلثقافة مجتمعة وخلال ذلك ينقل للفرد عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية المعايير الاجتماعية والثقافية التي تشكل شخصيه الفرد الاساسية ،وأن اختلاف عمليات التنشئة تجعل نماذج الشخصية تختلف من مجتمع الى أخر وأن هذه الاختلافات جاءت نتيجة اختلاف الانماط الثقافية أو ثقافة كل مجتمع.

أن للثقافة في حياة الانسان الفرد أثر لا يمكن تحديد مداه بدقة و لا يمكن أن ينكر ، فالطفل يدخل العالم من دون فكرة مسبقة ومن دون ثقافة وتتشكل شخصيته وسلوكياته ومواقفه ومعتقداته بالثقافة التي تحيط به من كل جانب[٢]،لذلك فالثقافة مسؤولة عن الجزء الاكبر من محتوى أية شخصية وكذلك عن جانب مهم من التنظيم السطحي للشخصيات وذلك عن طريق تشديدها على اهتمامات أو أهداف معينة[٣] ومن ذلك نستنتج بأن الثقافة هي بمثابة الوعاء الذي ينتج أنماط الشخصية ويحدد أبعادها الاساسية وماهيتها وبالتالي فهي نتاج للعوامل الثقافية .

كما كان هناك اهتمام متجدداً في العلاقة بين الثقافة والشخصية من قبل علماء الانثروبولوجيا النفسية (هوفستيد ومكرا)حيث رأى كل منهما أهمية ربط الشخصية بالملامح الثقافية حيث يعتقد الانثروبولوجين بان مستويات أوسمات الشخصية من يساهم في صياغة الفرد وانظمة الفعل الذي يمكن أن ينجم عن الافراد في ذلك النظام الاجتماعي وترتبط وتتحدد بالثقافة مع الاخذ بعين الاعتبار الجوانب البيولوجية في الاعتبار[٤].

أن توظيف هذه النظرية في مجتمعاتنا التقليدية يساعدنا على دراسة ومعرفة التأثيرات التي يتعرض لها الافراد في تلك المجتمعات والتعرف على نمط سلوكياتهم وطريقة تفكيرهم ونمط معيشتهم الاجتماعية وعقليتهم التي ترسخت وفق قوالب موروثة وبالتالي معرفة أثر الثقافة ولما لها من دور مهم وأساسي في تحديد بناء شخصيتهم الاساسية .

---

[١]- النوري .قيس : الانثروبولوجيا النفسية ،(بغداد- دار الحكمة)، ١٩٩٠ ،ص١٨٧.

[٢] - غيرتز.كيلفورد ، مصدر سابق ،ص١٤.

[٣]- لنتون.رالف : الانثروبولوجيا وازمة العالم الحديث ، مصدر سابق ،ص٦٠٩.

[٤]- 3 - Hofstede and mcCrae ; personality and culture Revisited ,(cross-culture Research) 2004, p52.

- **بعض من المبررات التي دعت الباحثة لاختيار النظرية**

نظرية البناء الاساسي للشخصية:

في حين توفر لنا نظرية البناء الاساسي للشخصية معرفة دور النظم الاجتماعية الاسرية وما لها من أهمية كبير في تشكيل شخصية الفرد الاساسية وهذا ما تطلبه موضوع دراستنا (الفردانية ومستقبل الجماعات التقليدية) القائم على معرفة واقع الفردانية في المجتمعات التقليدية والذي يتيح لنا التعرف على اهم المحاور الاساسية التي شكلت فردانية الانسان العراقي وتأثيرات نظامه الاجتماعي فضلا عن التعرف على عوامل التنشئة الاجتماعية المتضمنة النظم الاولية والنظم الثانوية المتمثلة بالمعتقدات والطقوس الدينية والموروثات الشعبية وغيرها ، أما النظم الاولية مثل الأسرة لما لها من دور مهم وأساسي لتحديد نمط شخصية الفرد الاساسية ، وبالتالي فتلك النظم تترك اثاراً واضحة على تركيب شخصيات الافراد وبالتالي تؤثر على طريقة تفكيرهم وهذا ينعكس بدوره على طريقتهم في المجتمع أو تحديد نمط حياتهم المعاش ، فضلاً عن معرفة تأثير الثقافة في تلك المجتمعات باعتبارها نظام يمتلك الدور المسيطر والفاعلية الكبيرة في تشكيل صياغات الشخصية وبناؤها الاساس ،وبالتالي فالشخصية هي نتاج للشكل أو المضمون الثقافي الذي يسود مجتمعا ما .

الفصل الخامس :المبحث الثاني:المنهجية العلمية للدراسة

تمهيد

منهجية البحث هي الجسر الذي يجعل النظرية وطريقة البحث أو المنظور الفكري وأداة البحث يلتقيان معا[1]،"وهو العمليات العمدية المخططة التي يؤديها الباحث المؤهل نظرياً وبحثياً ،لتكشف الجوانب المختلفة للقضايا العلمية ،مكتبياً او حقلياً أو محلياً ،لتحقيق أغراضاً علميةً بحتة أو أهدافاً تطبيقية والتي ينتج عنها مادة علمية قد تدعم فكرة العلمية بالوصف أو التحليل" [2]،أو أنه "الطريق المؤدي الى الكشف عن الحقيقة في العقل وتحدد عملياته حتى يصل الى نتيجة مقبولة ومعلومة لاكتشاف المعرفة والتنقيب عنها ،وتنميتها وفحصها وتحقيقها بتقصي دقيق ونقد عميق ثم عرضها بشكل متكامل وذكي لتسير في ركب الحضارة العلمية والمعارف البشرية[3].

أما المنهجية الانثروبولوجية(The Anthropological Methodology)فأنها تقتضي استخدام المنهج العلمي عند ملاحظتها للمجتمع وللسلوك الانساني .

فالمنهج بسبب فعاليته يساعدنا على تقديم فهماً مفيداً للفرد والمجتمع كما أن المنهجية الانثروبولوجية تستخدم الملاحظة بالمشاركة في كل حالة من الحالات التي يكون فيها التركيز على فردية النسق أو كليته أو محدوديته والطرق التي يحافظ بها على فرديته وبذلك يكون الهدف لهذا المنهج هو وصف الفرد في فرديته[4]، كما أن المنهجية الانثروبولوجية تتجلى بكونها تهدف ألى وضع تقنيات تكشف عن المعارف والسلوكيات والجوانب الرمزية ذات الجذور الثقافية عند الافراد والتي يمكن أن تكون أساساً لوضع مفهومات تفسيرية صحيحة علمياً[5].

وقد أعتمدت دراستنا هذه (الفردانية ومستقبل الجماعات التقليدية) على المناهج التالية: اولاً منهج البحث الكيفي (Qualitative research methodology)، ثانياً:الاحصاء الوصفي(Descriptive statistics).

اولاً: المنهج الكيفي (Qualitative method)

[1] - بيبر.شارلين هس ، ليفى ،باتريشا: البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية ،ت. هناء الجوهري ،م. محمد الجوهري ،(القاهرة-المركز القومي للترجمة)،٢٠١١،ص٦٥.

[2] - غانم. كمال سعيد: الاسس النظرية لمناهج البحث العلمي الاجتماعي ،(القاهرة-دار المعارف)،ط/٢، ١٩٨٥،ص٩.

[3] - قنديلجي .عامر :البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والالكترونية ،مصدر سابق ،ص٣٠.

[4] - خلف .علي زيدان: قراءة في تطور مناهج البحث الانثروبولوجية ،دراسة مقارنة ، مصدر سابق ،ص١٠٤٦.

[5] - نفس المصدر ، ص١٠٤٨.

ترجع الاصول التاريخية لنشأة المنهج الكيفي ألى اسهامات علوم الأنثروبولوجيا والاثنوجرافيا[١].

ويعتبر المنهج الكيفي" أحد انواع البحوث التي يتم اللجوء أليها في سبيل الحصول على فهم متعمق ووصف شمولي للظاهرة الانسانية ،ويمكن تحديده على أنه البحث عن الطبيعة الجوهرية للظواهر كما هي في الواقع"[٢] كما أنه "طريقة تعتمد على دراسة الظواهر ووصفها وصفاً دقيقاً من جميع جوانبه ،والتعبير عنها بالشكل الذي يؤدي الى فهم العلاقة بين الظاهرة مع غيرها من الظواهر[٣].

"وتتميز المناهج الكيفية بكونها شاملة تحتوي على أنماط مختلفة من البحوث منها البحوث الاثنوجرافية ، وبحوث دراسة الحالة ، والبحوث الميدانية ، وبحوث الملاحظة بالمشاركة ،وتختلف هذه البحوث عن بعضها بعض في أسسها الفلسفية والتحليلية الاّأن بينها جميعاً عدداً من المظاهر المشتركة تضعها في تصنيف واحد مقارنة بالبحوث الكيفية"[٤].

ولا ينحصر هدف المنهج الكيفي في جمع الحقائق فقط بل يتعدى ذلك الى تسجيل المؤشرات والدلالات التي تمكن الباحث من استخلاص أمور عدة من البيانات التي جمعها مسترشداً في ذلك ألى الاهداف التي حققها في بادئ الامر والتي يسعى الى تحقيقها من خلال الدراسة وهذا لا يتم الا بتصنيف البيانات التي تم الحصول عليها من مجتمع الدراسةمن قبل الباحث[٥].كما تؤمن المناهج الكيفية بأن السلوك الانساني مرتبط دائماً بالسياق الذي حدث فيه وأن الواقع الاجتماعي (مثل الثقافات والموضوعات الثقافية والمؤسسات وغيرها)لا يمكن خفضه الى مجموعة من المتغيرات بنفس الاسلوب الذي يحدث في الواقع الطبيعي[٦]،لذا فأنها تسعى للتوصل الى مجموعة من الاستنتاجات والمقترحات لفهم الظاهرة المدروسة وواقعها ومن ثم التوصل الى تعميمات مقبولة ولا يقتصر هدف المنهج الكيفي عند وصف الظاهرة وجمع المعلومات والبيانات بل يهتم بتفسيرها تفسيراً دقيقاً بدلالة الحقائق المتوفرة ويعبر عنها بتعبير يوصف الظاهرة ويوضح خصائصها[٧] .

---

[١] - حجر. خالج أحمد :معايير شروط الموضوعية والصدق والثبات في البحث الكيفي ،مجلة جامعة ام القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والانسانية ،المجلد ١٥ ،العدد الثاني ،ص١٣٢-١٥٣.

[٢] - رجب .ابراهيم عبد الرحمن :مناهج البحث في العلوم الاجتماعية ،(الرياض-دار عالم الكتب)،٢٠٠٤،ص٩.

[٣] - احمد .عبد الغفور ابراهيم واخرون : المدخل الى طرق البحث العلمي ،(عمان-دار زهران)،٢٠٠٨،ص٥١.

[4] -1-Bogdan .r .c & biklen, s. k; qualitative research for education, an introduction to theory and thods .Boston,p 38. .

[٥] - كشرود. عمار الطيب :البحث العلمي ومناهجه ،(عمان –دار المناهج)،٢٠٠٧،ص٢٢٨.

[٦] - ابو علام. رجاء محمود: مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية ،(القاهرة-دار النشر للجامعات)،ط٤/ ، ص٢٧٥.

[٧] - التل. وائل عبد الرحمن: البحث العلمي في العلوم الانسانية والاجتماعية ،(عمان- دار حامد)، ٢٠٠٧،ص٤٨.

وتتميز البحوث الكيفية بكونها شراكة بين الباحث والمبحوث فهي عملية توليد البيانات وبناء المعرفة وهي شراكة وجهد تعاوني بين الباحث والمبحوث فالحقيقة التي يلتمسها الباحث الاجتماعي لن تتولد الاّ بالمشاركة بينه وبين مبحوثيه وتفهم مشاعرهم وكيانهم وآرائهم وخبراتهم وتصوراتهم لذا فالبحث الكيفي هو انتاج معرفة ذات معنى –بممارسات بحثية ذات طبيعة ديمقراطية حقيقية[١]

وقد استخدمت الباحثة هذا المنهج لكونه يتيح للباحث الكيفي استخدام أدوات جمع البيانات كالمقابلة والملاحظة في تفسير وتحليل الواقع بصورة متعمقة وشمولية حول ظاهرة الفردانية وهو يساعدنا على استخلاص واكتشاف الحقائق المراد معرفتها عن الاشياء من أفواه الناس وبطريقة مباشرة فمن خلال التفاعل مع المبحوثين نستخلص آرائهم وحقائقهم ونكشف عن التفاصيل المتعلقة بموضوع الدراسة فضلا عن ذلك يتيح لنا هذا المنهج التعرف على حقيقة العالم الاجتماعي الذي نعيش فيه وتفسيره وتحليله من خلال معرفة أراء الناس وخبراتهم الانسانية وتجاربهم وهذا ما يساعدنا على بناء تصورات شاملة عن موضوع الدراسة .

ثانياً: المنهج الوصفي(Descriptive statistics)

يعد المنهج الإحصائي الوصفي من بين المناهج العلمية التي أضفت الصيغة العلمية على الأبحاث الاجتماعية والتي تهتم بدراسة وتحليل الظاهرة الاجتماعية من الناحية الكمية، ويعرف على أنه فرع من الدارسات الرياضية التي تعتمد على جمع المعلومات والبيانات لظاهرة معينة وتنظيمها وتبويبها وعرضها جدولياً أو بيانياً تم تحليلها رياضيا واستخلاص النتائج بشأنها والعمل على تفسيرها[٢].

كما ويشير الى مجموعة من الأساسيات المتنوعة المستعملة لجمع المعطيات الإحصائية وتحليلها رياضياًلإظهار الاستدلالات العلمية التي قد تبدو في الغالب غير واضحة[٣].كما يعرف أيضاً بأنه تجمع المادة العلمية تجميعاً كمياً ،وهو بذلك يعكس البحث العلمي في صورة رياضية بالأرقام والرسوم البيانية أي في صورة كمية[٤].

---

[١] - بيبر.شارلين هس ، ليفى.باتريشا: البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية ،ت .هناء الجوهري. محمد الجوهري ،(القاهرة –المركز القومي للترجمة)،٢٠١١ ،ص١٢-١٥.

[٢] - جندلي .عبد الناصر: تقنيات ومناهج البحث في العلوم السياسية و الاجتماعية ،(الجزائر -ديوان المطبوعات الجامعية) ، ٢٠٠٥ ،ص ٢١١ -٢١٣.

[٣]–حليمي. عبد القادر: مدخل الى الاحصاء (الجزائر-ديوان المطبوعات الجامعية)، ١٩٩٤ ،ص٢٤.

[٤]-رشوان. حسين عبد الحميد أحمد: العلم والبحث العلمي دراسة في مناهج العلوم الطبيعة (الإسكندرية)،٢٠٠٤ ،ص ١٧٠

ومن خصائص المنهج الاحصائي أنه "يتميز بالنتائج الدقيقة باعتماده اللغة الرياضية مما يساعد على التنبؤ الدقيق في ميدان الظاهرة المدروسة كما أنه وسيلة منطقية استقرائية يقوم بتحليل الظاهرة الاجتماعية منطلقاً من جزيئاتها وصولاً الى كلياتها ويتجلى ذلك واضحاً من طريقة سبر الآراء وهنا يظهر التكامل بين المنهج الاحصائي والاستقرائي"[١].

ويعتبر الاحصاء الوصفي أحد انواع المنهج الاحصائي ويعرف على أنه "اسلوب من أساليب التحليل المرتكز على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد خلال فترة أو فترات زمنية معلومة وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية تم تفسيرها بطريقة موضوعية وبما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة"[٢]، "ويشمل الطرق المستخدمة في وصف وتنظيم البيانات وتتمثل هذه الطرق في التوزيعات التكرارية ومقاييس النزعة المركزية والتشتت والرسوم البيانية"[٣].

ويعرف أيضاً على أنه "استقصاء ينصب على ظاهرة من الظواهر كما هي قائمة في الحاضر بقصد تشخيصها وكشف جوانبها وتحديد العلاقات بين عناصرها أو بينها وبين ظواهر أخرى فهو لا يقف عند حدود وصف الظاهرة وإنما يذهب الى أبعد من ذلك فيحلل ويقارن ويقيم بقصد الوصول الى تقييمات ذات معنى بقصد التبصر بهذه الظاهرة فضلاً عن أن هذا المنهج لا يقتصر على التنبؤ بالمستقبل بل أنه ينفذ من الحاضر الى الماضي لكي يزداد تبصراً بالحاضر"[٤].ومن خلال هذا المنهج يتم تجميع المعلومات عن ظاهرة أو ظواهر معينة لا لخدمة هدف محدد بذاته وإنما بقصد توفير البيانات التي يمكن أن تخدم أغراضاً متعددة لباحثين مختلفين فيما بعد[٥].

الفصل الخامس : المبحث الثالث :ادوات جمع البيانات

تمهيد:

[١]-جندلي .عبد الناصر :تقنيات البحث في العلوم السياسية والاجتماعية ،مصدر سابق ،ص٢.

[٢]-عدس.عبد الرحمن ، عبيدات.ذوقان ، عبد الحق ،كايد ابراهيم: البحث العلمي مفهومه ادواته اساليبه ،(عمان -دار مجدلاوي للنشر)،١٩٨٨،ص١٧٦.

[٣]- رمزي .سباع احمد : محاضرات في الاحصاء الوصفي احصاء ١ ، جامعة قاصدي مرباح-ورقلة ،كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير ،٢٠١٥،ص٤

[٤]- العزاوي .رحيم يونس كرو: مقدمة في منهج البحث العلمي ،(عمان- دار دجلة)،٢٠٠٨،ص٩٧.

[٥]- هيكل .عبد العزيز فهمي : مبادئ الاساليب الاحصائية ،(بيروت- المركز الدولي لتعليم الاحصاء)،١٩٦٦.ص١١.

تعتبر أدوات جمع البيانات من الوسائل التي بواسطتها نستطيع تحقيق الأهداف المصاغة لبحثنا ومن خلالها نتوصل الى نتائج مبنية على أساس علمي ،لذلك تسعى هذه الأدوات الملاحظة بالمشاركة والمقابلة المعمقة للوصول الى نتائج تدعم دراستنا القائمة على تتبع وملاحظة سلوكيات الافراد ودراسة وانماط تفكيرهم وطرق معيشتهم وغيرها ،ومن خلال تلك الوسائل نستطيع الالمام بكافة المعلومات والتفصيلات والوقوف على أهم المحاور التي تتعلق بدراستنا .

اولاً: الملاحظة بالمشاركة (Participant Observation)

هي طريقة منهجية "في البحث الأنثروبولوجي ارتبطت بأعمال مالينوفسكي (١٩٢٢)الى أن اصبحت عنصراً أساسياً في الدراسة الميدانية في الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية المعاصرة"[١]،لقد عرفها جورج ليبسد (G.Lapassade) بقوله :"هي طريقة يشارك فيها الباحث في الحياة اليومية للمجموعة الاجتماعية موضوع البحث بهدف مضاعفة المعارف"[٢]، كما أنها "احدى الطرق التي يتبعها الباحث الأنثروبولوجي، التي تقتضي فهم النشاط الانسانيوتأويله ، والاحاطة بمعناه ودلالته والهدف منه" [٣] ،كما تقتضي"أن يقوم الباحث بأعمال تقوم بها الجماعة المدروسة وذلك تقرباً منها وكسباً لودها والدخول بالتالي الى أدق التفاصيل في ممارسات أفراد هذه الجماعة الخاصة والعامة ،كالقيام ببعض الاعمال التي تعد من النشاط اليومي للجماعة ولا سيما الاعمال اليدوية الفردية والجماعية"[٤]. "وتتطلب الملاحظة بالمشاركة من الباحث المعيشة في المجتمع قيد الدراسة والمشاركة مع الافراد ومراقبتهم والتحدث معهم وتفسير الحالات المرصودة ،ويُعدّ الباحث الاداة الرئيسة لجمع البيانات وتتضمن أيضا دراسة السلوك الاجتماعي"[٥] ،"ومن اجل تحقيق ميداني مكثف وطويل المدى يقاسم من خلاله عالم الاثنولوجيا السكان حياتهم ويسعى جاهداً للنفاذ الى ذهنيتهم الخاصة —عبر تعلم اللسان المحلي من خلال الملاحظة الدقيقة لظواهر الحياة اليومية بما في ذلك الاكثر تفاهة من بينها والاكثر افتقاداً (ظاهريا)

---

[١] - سميث ، شارلوت سيمور: موسوعة علم الانسان المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية ،ت. مجموعة أساتذة ،(القاهرة-المركز القومي للترجمة) ،٢٠٠٩ ، ص٤٩٥.

[2] 2-Lapassade ,G ;observation participant ,(In Bauis-michel- j.,enriquez) , e., et levy . a 2002

[٣] - ابراهيم. عبد الله: علم الاجتماع (السوسيولوجيا)، (المغرب-المركز الثقافي العربي)ط/٢، ٢٠٠٦،ص٢٥١.

[٤] - كلاكهون .كلايد :الانسان في المرأة ،ت. سليم شاكر ،(بغداد)،١٩٦٤،ص٢٨.

[١] 1-Backer.Howard s. problems of inference and proof in participant observation . American sociological p.652 .

للدلالة[١]،وبالتالي تعتبر الملاحظة بالمشاركة الطريقة الاكثر نجاعة للاندماج في الوسط الاجتماعي –المهني عبر مشاركة الفاعلين وملاحظة آرائهم لأدراك كل الملابسات الوصفية لعمل الظاهرة منها والخفية وإضفاء الطابع الانساني على مناهج البحث بدل النزعة الالية التي طبعت المناهج التقليدية[٢] ، "ان المعلومات التي تأتي من الملاحظة بالمشاركة مهمة بالنسبة للوسائل الاخرى حيث ان المعلومات الاولية الناتجة عن الملاحظة بالمشاركة تمد الباحث بأستبصارات لازمة لتصميم الاختبارات السيكولوجية وغيرها من الوسائل البحثية الاخرى المتخصصة ،كما أن الملاحظة بالمشاركة مهمة لاختبار المعلومات الحقلية اللازمة لتقيم الشواهد التي جمعت بالوسائل الاخرى[٣] .كما نظر براين(S.T .bruyn)للمواصفات الاساسية للملاحظة بالمشاركة في شكل مسلمات يجب أن يتميز بها الباحث في الميدان وهي:

١–يتقاسم الملاحظ المشارك حياة وانشطة ومشاعر لأشخاص في علاقة وجه لوجه.

٢–الملاحظ المشارك عنصر عادي (غير مجبر ولا محاكي ولا غريب عن)في ثقافة وحياة الاشخاص الملاحظين.

٣–دور الملاحظ المشارك هو انعكاس داخل المجموعة الملاحظة للمسار الاجتماعي لحياة المجموعة المعينة.[٤]

وبذلك فان الملاحظة بالمشاركة أداة استثنائية للدراسة لأنها تتيح امكانية الوصف للأشياء ولسلوكيات الافراد وتمكن الباحث من دراسة وملاحظة التنظيمات والعلاقات والأحداث بين الافراد ،وتتيح استمرارية لأنماط التنظيم بالإضافة الى السياقات الاجتماعية والثقافية التي يتجلى فيها الوجود الانساني[٥] وبذلك تكون الملاحظة بالمشاركة الطريقة الأكثر فاعلية للتعرف على الوسط الاجتماعي عبر مشاركة الفاعلين والتعرف على كل المؤثرات التي تتيح للباحث الميداني الوصول الى دراسة أكثر عمقاً وكذلك الاحاطة بملابسات الظاهرة وتجنب التحيز الى فئة أو طرف

---

[١]- كوش ،دنيس: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ت، منير السعيداني (بيروت- مركز دراسات الوحدة العربية) ٢٠٠٧، ،ص٦٠.

[٢] - الحبيب .ثابتي :استخدام منهجية الملاحظة بالمشاركة لتطوير وانسنة ادوات تحليل العمل وتوصيف الوظائف –محاولة توقع ابستمولوجي وتأصيل منهجي ،مقال نشر في مجلة الحكمة ،العدد الرابع ،سبتمبر -٢٠١٠ ،ص٥٤.

[٣]- غانم. عبد الله الغني واخرون :المدخل الى علم الانسان ،(الاسكندرية-المكتب الجامعي الحديث)،١٩٨٩ ،ص٢٢٨.

[4]-BruynS. T.; The human perspective in sociology ,the methodology of participant observatio (cliffs ,new jersey), 1966.

[٥]– 1-Jorgensen .Danny L.; participant observation ,a methodology for human studies ,(sage publication ,London),1989,p12

معين قدر الامكان،كما أن الامر في الملاحظة بالمشاركة يتطلب من الباحث تجاوز تلك النظرة العابرة للظاهرة المراد دراستها وبالتالي تتيح لنا الملاحظة بالمشاركة المجال من أجل التعرف وتقصي الحقائق بطريقة مفصلة وذلك عند دراسة (الفردانية ومستقبل الجماعات التقليدية) وذلك لفهم واقع الفردانية ومستقبلها فيالمجتمعات التقليدية .

ثانياً: المقابلة المعمقة(In-Depth Interview)

المقابلة المعمقة هي نوع من" حوار أو محادثة أو مناقشة موجهة، تكون بين الباحث من جهة وشخص أو اشخاص أخرين من جهة أخرى، فلا يستخدم الباحث فيها مجموعة محددة من الاسئلة تكون صياغتها بنفس الطريقة أي نمطية لكل شخص تجري مقابلته ،الاّأن ذلك لا يمنع من وجود بعض الاسئلة العامة المشتركة لجميع المشتركين أو لعدد منهم"[1]، كما تأتي بوصفها "حوار لفظي وجهاً لوجه بين باحث قائم بالمقابلة وبين شخص أخر أو مجموعة أشخاص آخرين . وعن طريق ذلك يحاول القائم بالمقابلة الحصول على المعلومات التي تعبر عن الآراء أو الاتجاهات ،أو الادراكات أو المشاعر أو الدوافع أو السلوك في الماضي أو الحاضر"[2] "وتسمى أيضا المقابلة المكثفة ، وهي شائعة الاستعمال بين الباحثين الكيفيين في جمع البيانات ،وتتخذ الأفراد كمنطلق للعملية البحثية ،كما تفترض أن لدى الافراد معرفة متفردة ومهمة بالعالم الاجتماعي يمكن التحقق منها من خلال التواصل الشفاهي ،أي التحاور مع المبحوثين"[3]

"وهي واحدة من الطرق الرئيسية لجمع البيانات المستخدمة في البحوث النوعية ، وقد أكد الاثنوغرافيون الكلاسيكيون مثل مالينوفسكي على أهمية الحديث مع الناس لفهم وجهة نظرهم الشخصية وحساباتهم، وينظر اليها على أنها ذات أهمية مركزية في البحوث الاجتماعية بسبب قوة لغتها و لتسليطها الضوء على المعنى"[4] وبوصفها واحدة من أدوات البحث العلمي "تسعى للكشف عن الابعاد الهامة للمشكلة وفي تنمية الفروض وفي القاء الضوء على الاطارات المرجعية

---

[1] - قنديلجي. عامر: البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والالكترونية ،اسسه .أساليبه. مفاهيمه. ادواته ،(عمان-دار المسيرة)،ط /٢، ٢٠١٠،ص١٧٤-١٧٩.

[2] - محمد. علي محمد: علم الاجتماع والمنهج العلمي دراسة في طرائق البحث واساليبه ،(القاهرة- دار المعرفة الجامعية) ،ط/٣، ص٤٦٣.

[3] - بيبر شارلين هس ، ليفى .باتريشيا :البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية ،ت. هناء الجوهري ،م. محمد الجوهري ،(القاهرة-المركز القومي للترجمة)،٢٠٠١،ص٢١١

[4] - Burgess ,R.G : Elements of sampling in field research ,(London) , 1982, p 6.

لاستجابات أفراد التجربة"[1] "وعادة ما تبدأ بسؤال شخص ما مجموعة من الاسئلة العامة وعندما يتلقى اجابته فأنه يتتبع نقاطا معينة عن طريق طرح اسئلة أكثر تحديداً الى أن يصل لفهم الموضوع المدروس برمته، ويمكن النظر الى المقابلة المعمقة على أنها تشبه حملة الصيد ،وذلك لأن عالم الاجتماع يجربها للحصول على بيانات عن موضوع لا يعرف عنه سوى القليل ،ومن ثم فأنه لا يستطيع أن يسأل أسئلة مقفلة أو مقننة"[2]. كما تأتي بوصفها "اجتماعات متعمقة و هي تقنية البحوث النوعية والتي تنطوي على أجراء مكثف ومقابلات فردية مع عدد قليل من المشتركين أو المبحوثين لاستكشاف وجهات نظرهم على فكرة معينة أو برنامج أو وضع معين أو ظاهرة محددة مراد دراستها"[3]."وعن طريق المقابلة المعمقة يمكن للباحث دراسة وفهم التعبيرات النفسية للمفحوص والاطلاع على مدى انفعاله وتأثره بالبيانات التي يقدمها وتمكن من إقامة علاقات ثقة ومودة بين الباحث والمبحوث"[4] .لذلك فالباحث الأنثروبولوجي يُتاح له من خلال المقابلة المعمقة التفاعل مع المبحوثين و استنباط المعلومات وتحليلها وتفسيرها وفهمها من خلال الحوار المباشر والتعمق في جوانب الظاهرة المراد دراستها مع المبحوثين من أجل الحصول على المعلومات التي تتيح لنا التقصي ومعرفة كل ما يتعلق بموضوع الظاهرة المراد دراستها ،والتعرف على واقع الافراد داخل السياقات الاجتماعية وبالتالي فهي تتيح لنا معرفة الحقيقة المتعلقة بظاهرة (الفردانية) وتساعدنا على فهم وتقصي الحقائق بشكل كبير جداً وعميق أيضاَ،ومعرفة ما أذا أصبحت هناك قيم متغيرة نتيجة التحولات ودخول العالم في حقبة متطورة وما يرافقها من تبدل في منظومه القيم والاعراف التي كانت سائدة في المجتمعات التقليدية.

ثالثاً: مجتمع وعينة الدراسة

[1] - محمد ، علي محمد : علم الاجتماع والمنهج العلمي دراسة في طرائق البحث واساليبه ، مصدر سابق ، ص ٤٦٣.

[2] - ايمرسون. روبرت ،فريتز.راشيل ،شو.لندا : البحث الميداني الاثنوجرافي في العلوم الاجتماعية ،ت. هناء الجوهري ،م. محمد الجوهري ،(القاهرة-المركز القومي للترجمة)، ٢٠١٠ ،ص٦٩.

[3] - 4-Boyce .carolyn, neale .palena ;conducting In-Depth interviews ,a guide for designing and conducting In-Depth interviews for evaluation Input .USA 2006,p3

[4] - رزق .سهيل : مناهج البحث العلمي ،(فلسطين) ،٢٠٠٣ ،ص٥٦.

أما مجتمع الدراسة يعني جميع مفردات الظاهرة التي يدرسها الباحث، كونه يشمل جميع الافراد أو الاشخاص الذين يكونون موضع البحث[1]،ويتمثل مجتمع البحث لهذه الدراسة بمركز محافظة الديوانية والمتمثل بالنخب المثقفة من الافراد.

أما نوع العينة الذي اختارته الباحثة : فقد تم اختيار عينة البحث من قبل الباحثة والبالغ عددهم(١١٥) مبحوث من خلال اتباع اسلوب العينة العرضية (عينة الصدفة) حيث يتمثل اختيار عدد من الافراد الذين يستطيع الباحث العثور عليهم من مدة زمنية محددة وبشكل عرضي أو عن طريق الصدفة ، أذ قامت الباحثة بأجراء المقابلات مع أفراد عينة البحث من المبحوثين الذين التقت بهم الباحثة في أماكن متعددة من بينها (المراكز الثقافية ،المكتبات العامة ،الجامعة) .

أما بالنسبة للوسائل الاحصائية المستخدمة

١- قانون النسبة المئوية وهو:

$$\text{النسبة المئوية} = \frac{\text{الجزء}}{\text{الكل}} \times ١٠٠$$

٢- ايضاً قانون عمل الفئات وهي:

١- المدى= اكبر قيمة- اصغر قيمة+١ ٢-عدد الفئات = ٢,٥ $\sqrt[٤]{\text{عدد المفردات}}$

$$\text{٣-طول الفئة} = \frac{\text{المدى}}{\text{عدد الفئات}}$$

٣- وايضاً قد اعتمد على قانون (الوزن الرياضي)الذي تم استخدامه مع جاول التسلسل المرتبي من اجل التكرارات[2]. تكرار كل فقرة

عدد المبحوثين

ثالثاً: صدق اداة المقابلة

[1]- عطوي، جودت عزت: اساليب البحث العلمي ،(عمان-دار الثقافة)،٢٠٠٩،ص٨٥

[2]- الحسن .احسان محمد: الاسس العلمية لمناهج البحث العلمي (بيروت- دار الطليعة)، ط٢، ١٩٨٦،ص١٦٨.

قامت الباحثة بعرض استمارة (المقابلة المعمقة) في صورتها الأولية على مجموعة من المقيمين والمتخصصين في البحث العلمي من أعضاء هيئة التدريس في العلوم الاجتماعية في جامعة القادسية وجامعة بغداد وعليه طلبت الباحثة أبداء الرأي والتقييم حول مدى التوافق ما بين الاسئلة المطروحة ومدى ملائمتها مع أداة المقابلة .

وفي ضوء التوجهات التي ابداها المقيمون والمحكمون عمدت الباحثة الى أجراء كافة التعديلات المتفق عليها من قبل المقيمين سواء ما يخص بتعديل صيغة السؤال أو حذف بعض العبارات وأضافه عبارات أكثر ملائمة لموضوع الدراسة.

الجدول (١) يبين اسماء الخبراء أو المحكمين لاستمارة المقابلة

ت	اسماء الاساتذة المقيمين	الجامعة	اسئلة وافق عليها	اسئلة معدلة	الاسئلة المرفوضة	درجات الخبير
١	**أ.د. عدنان ياسين مصطفى**	جامعة بغداد – كلية التربية	٥٤	١ سؤال (٣٥)	صفر	٩٦
٢	**أ.د. عبد الواحد مشعل**	جامعة بغداد – كلية الآداب	٥٥	صفر	صفر	٩٨
٣	**ا.د. عبد السلام العبادي**	وزارة التربية – هيئة المعاهد	٥٤	صفر	١ سؤال(١٩)	٩٨
٤	**أ .د. صلاح جابر كاظم**	جامعة القادسية– الآداب	٥٤	صفر	صفر	٩٨
٥	**ا.م.د ذكرى جميل محمد**	جامعة المستنصرية – الآداب	٥٤	١ سؤال (١٧)	صفر	٩٨
٦	**أ.م.د. فريدة جاسم دارة**	جامعة المستنصرية – الآداب	٥٤	١ سؤال (١٨)	صفر	٩٨
٧	**أ.م .د .لؤي خزعل جبر**	جامعة المثنى – علم النفس	٥٤	١سؤال (٢٩)	صفر	٩٨
٨	**أ.م .د. سعد الكرعاوي**	جامعة بغداد– الآداب	٥٥	١ سؤال (٢٠)	صفر	٩٧
٩	**أ.م. د. سلام هاشم**	جامعة القادسية – علم النفس	٥٤	١ سؤال(٤٢)	١ سؤال (٣٧)	٩٨
١٠	**.أ م. د. حميد الهاشمي**	باحث مغترب – بريطانيا	٥٤	١ سؤال (٥٠)	صفر	٩٨

الفصل السادس- المبحث الاول

توصيف البيانات العامة للدراسة

قامت الباحثة بتحديد هذه البيانات ضمن تسعة جداول تمثلت بـ (عمر المبحوث ونوعه، الحالة الاجتماعية ، ونوع العائلة، ،نوع السكن، محل الاقامة ،المؤهل العلمي ،والتخصص ، الوظيفة الحالية أو المهنة) .

جدول رقم (٢)

يبين توزيع وحدات العينة حسب العمر

الفئات	التكرار	%
١٩-٢٥	٢٤	٢٠.٨
٢٦-٣٢	٣٤	٢٩.٥
٣٣-٣٩	٢٠	١٧.٣
٤٠-٤٦	٢٤	٢٠.٨
٤٧-٥٣	٥	٤.٣٤
٥٤-٦٠	٤	٣.٤٧
٦١-٦٧	٤	٣.٤٧
المجموع	١١٥	١٠٠

يبين الجدول رقم(٢) عدد المبحوثين حسب العمر ،أذ قسم الجدول ألى سبع فئات عمرية و بلغ أعلى تكرار للمبحوثين ضمن الفئة الثانية بنسبة (٣٤٪) وأقلها ضمن الفئة السادسة والسابعة بنسبة(٤٪) لكل منهما .

ومن هذا نستنتج بأن اغلب الافراد ممن تتوفر فيهم صفات الفردانية من الاستقلال وحرية الرأي والمعتقد هم من فئات عمرية مختلفة تتباين تبعاً لظروف وعوامل ثقافية واجتماعية ، وهنا مثلت اعلى نسبة من الافراد الذين تنطوي عليهم صفات الفرد المستقل والمتميز بالفردانية بين الفئات العمرية الذين تتراوح اعمارهم بين (٢٦–٣٢) أي الفئة التي عاصرت التغير الثقافي والاجتماعي الذي اصاب بنية المجتمع وخصوصاً التغير الذي جاء بعد سنة(٢٠٠٣) والذي مس جميع جوانب المجتمع وبالتالي ترك تاثيراً بالغاً في تصرفات الافراد وطريقة عيشهم واصبح من خلاله الافراد اكثر وعياً وقدرة على التغير والنقد، وذلك خلاف بالفئات العمرية الكبيرة التي جاءت اقل

تكراراً بنسبة(٤٪) فقط حيث كانت تعيش وفق النمط التقليدي السائد في الحياة الاجتماعية انذاك.

جدول رقم (٣)

يبين توزيع العينة حسب النوع

الجنس	التكرار	%
ذكر	٥٠	٤٣.٤٧
انثى	٦٥	٥٦.٥
المجموع	١١٥	١٠٠

يبين الجدول رقم (٣) عدد المبحوثين حسب النوع حيث بلغ تكرار نسبة الذكور (٥٠٪) بالمقابل بلغت نسبة الاناث (٦٥٪)، من الملاحظ ان عدد الاناث في عينة البحث أعلى نسبة من الذكور وذلك أن الباحثة أستخدمت اسلوب اختيار العينة (العينة بالصدفة).

جدول رقم(٤)

يبين الحالة الاجتماعية للمبحوثين

الحالة الزوجية	التكرار	%
اعزب	٤٧	٤٠.٨٦
متزوج	٥٨	٥٠.٤٣
ارمل	٤	٣.٤٧
متعدد الزوجات	٢	١.٧٣
منفصل	٤	٣.٤٧
المجموع	١١٥	١٠٠

يبين جدول (٤) الحالة الاجتماعية للأفراد المبحوثين أذ تدرجت حالاتهم ألى خمس مستويات بلغ أعلى توزيع تكراري للفئة الثانية (متزوج) بنسبة (٥٨٪) ، بينما جاءت فئة (الاعزب) بنسبة أقل من الاولى بلغت (٤٧٪) ،بينما فئة (أرمل)وفئة (منفصل) جاءت بنسب متشابهة بتكرار بلغ (٤٪) لكل منهما ، وأقلها للفئة الرابعة (متعدد الزوجات) جاءت بنسبة (٢٪) فقط.

جدول رقم(٥)

يبين نوع العائلة للمبحوثين

نوع العائلة	التكرار	%
ممتدة	٤٥	٣٩.١٣
نووية	٧٠	٦٠.٨٦
المجموع	١١٥	١٠٠

يبين جدول رقم (٥) نوع العائلة للمبحوثين ، حيث جاءت العائلة النووية بتكرار بلغ نسبته (٧٠٪) بالمقابل عائلة ممتدة جاءت بنسبة أقل من (٤٥٪)

يتضح من الجدول أعلاه بأن هناك نسبة كبيرة من الأفراد ينتمون الى عائلات نووية مقتصرة على الأب والأم والأبناء فقط وكما نعرف بأن هذا النوع من العوائل وجد نتيجة التطور في مناحي الحياة المختلفة ورغبة الافراد بالاستقلال والمعيشة بسكن مستقل بعيداُ عن التدخل في شؤون الزوجين أو أولادهم وسبب ذلك هو اختلاف نظرة الفرد وطرق تفكيره عما كان سابقاً ورغبته في المعيشة بشكل أكثر استقراراً ، كذلك أزدياد الوعي الثقافي الذي رافق انفتاح المجتمع واتساع البنية الثقافية وأنماط التحضر حتم بالضرورة على الفرد الاستقلالية الفكرية والعيش وفق نمط حياتي خاضع لذات الفرد نفسه وليس للجماعة ولذا فأزدهار المدنية والتطورات في أبنية المجتمع وأنظمته فضلاً عن التغيرات التي أصابت العلاقات الاجتماعية بسبب الازدهار الاقتصادي وشيوع العلاقات السطحية التي تتصف بالتضامن العضوي جعلت نسبة العائلة النووية تتسع أكثر من نقيضتها العائلة الممتدة التي تحتوي على مجموعة من العوائل تسكن في بيت واحد وهذا ما كان شائعاً في مجتمعنا العراقي ولا يزال ألى الأن بعض من تلك العوائل موجودة ولا سيما العوائل التي تسكن في المناطق الريفية .

جدول رقم(٦)

يبين نوع السكن

نوع السكن	التكرار	%
مشترك	٥٥	٤٧.٨٢
مستقل	٦٠	٥٢.١٧
المجموع	١١٥	١٠٠

جدول رقم (٦) يبين نوع السكن للمبحوثين حيث جاءت أعلى نسبة للسكن المستقل بتكرار بلغ (٦٠٪) يقابله نسبة (٥٥٪) للسكن المشترك.

الجدول يبين نوع السكن للأفراد المبحوثين حيث هناك نسبة كبيرة من الافراد ممن يسكنون بسكن مستقل مقتصراً على الابناء ووالديهم ومما شجع هذا النوع من الاستقلالية هو تطور المجتمع ودخوله حقبة متطورة كما أن سيادة هذا النوع من السكن المستقل يبين بأن المجتمع في مرحلة متطورة أخذة بسبل التقدم فأحدى أهم خواص العائلة الحديثة هو الاستقلالية في السكن ،بينما هناك بعض من الافراد لا يزال يعيش بنوع سكن مشترك وأغلب هذه الاجابات كانت لأفراد غير متزوجين لذا فاستقلالية السكن للفرد غير المتزوج غير واضحة أو بالأحرى غير موجودة في مجتمعنا العراقي بسبب النظرة الاجتماعية السائدة بأن الفرد لا يمكن أن يعيش بمعزل عن عائلته ألاّ اذا تزوج ،ولكن أذا ما قارناها بصورة الفرد في المجتمعات الغربية نجد بمجرد بلوغ الفرد سن(١٨) سنة يستطيع الاستقلال في بيت خاص به ويستقل عن عائلته وذلك لأن الثقافة العامة السائدة في تلك المجتمعات تسمح بهذا الامر ، فالفرد في المجتمعات الحديثة يمتلك خصوصية ذاتية واستقلالية على خلاف المجتمعات التقليدية التي تتطابق فيها شخصية الفرد مع الجماعة وتغيب كل خصوصية فردية فطابع المجتمعات التقليدية تطغى عليها الروابط القرابية الجمعية بينما في المجتمعات الحديثة تتخذ طابعاً ثقافياً فردياً.

جدول رقم (٧)

يبين تصنيف منطقة السكن للمبحوثين

محل الاقامة	التكرار	%
ريف	٣٩	٣٣.٩
حضر	٧٦	٦٦.٠٨
المجموع	١١٥	١٠٠

جدول رقم (٧) يبين تصنيف منطقة السكن للمبحوثين الافراد حيث جاءت نسبة سكان الريف(٣٩٪) بينما جاءت نسبة سكان الحضر أعلى من نقيضتها بنسبة (٧٦٪).

يتضح من الجدول أعلاه بأن نسبة كبيرة من الافراد يسكنون المناطق الحضرية أكثر من المناطق الريفية وهذا راجع بدوره لرغبة الفرد بالسكن بمناطق تتوفر فيها مستلزمات الحياة من وسائل نقل وطرق مواصلات حديثة وتوفر سبل العيش المتطورة التي توجد بالمدينة وتقل في الريف وعلى هذا الاساس ووفقاًلتحليلنا بأن الفرد أصبح يرغب وبشكل كبير للعيش في وسط بيئة تكون ملمة

بجميع احتياجاته ولا سيما في وقتنا الحاضر وبسبب التطور التكنولوجي وانفتاح أفق التطور مما عزز هذا الأمر أكثر .

جدول رقم(٨)

يبين توزيع العينة حسب متغيري التحصيل الدراسي

المؤهل العلمي	التكرار	%
معهد	٨	٦.٩٥
بكلوريوس	٦٦	٥٧.٣
ماجستير	٣٢	٢٧.٨٥
دكتوراة	٩	٧.٨٢
المجموع	١١٥	١٠٠

يبين جدول رقم(٨)توزيع العينة حسب متغير التحصيل الدراسي أذ تدرجت مستويات التحصيل الدراسي الى (معهد، بكلوريوس، ماجستير، دكتوراء) وبلغ أعلى توزيع تكراري ضمن التحصيل العلمي(بكلوريوس) بنسبة (٦٦٪) بينما التحصيل العلمي (الماجستير) جاء بدرجة اقل بنسبة(٣٢٪) وأقلها نسبة جاءت للتحصيل العلمي (دكتوراه) بنسبة (٩٪) ،وللتحصيل العلمي (معهد) بنسبة (٨٪) فقط ،ونستنتج من الجدول اعلاه بأن التعليم العالي لأفراد مجتمع البحث قد ارتبط بعوامل ثقافية واجتماعية فضلاً عن ارتفاع مستوى الوعي باهمية التعليم بالنسبة للأفراد.

جدول رقم (٩)

يبين نوع التخصص الاكاديمي للمبحوثين

التخصص العلمي	التكرار	%
انساني	٨١	٧٠.٤٣
علمي	٣٤	٢٩.٥٦
المجموع	١١٥	١٠٠

جدول رقم(٩) يبين نوع التخصص الاكاديمي للمبحوثين ،أذ بلغ أعلى توزيع تكراري للعلوم الانسانية بنسبة (٨١٪) من عينة المبحوثين ،اما التخصص العلمي فبلغ نسبة أقل جاءت بـ (٣٤٪) ، ويتضح من الجدول أعلاه بأن التخصصات العلمية للمبحوثين الافراد تتباين نسبها بمعدلات متفاوتة ويتضح من خلال ذلك بأن صفة الفردانية غير مقتصرة على جانب واحد وليس بالضرورة أن يكون بالأعلى نسبة فقد يكون عدد الافراد الذين يتصفون بصفة الفردانية في التخصص الاقل تكراراً وهو العلمي .

جدول رقم(١٠)

يبين توزيع العينة حسب متغيري المهنة أو الوظيفة

الوظيفة الحالية	التكرار	%
استاذ جامعي	١٦	١٣.٩
مدرس	١٠	٨.٦٩
معيد	٥	٣.٢٢
مهندس	٣	٢.٦٠
ضابط	٢	١.٧٣
طالب	٢٢	١٩.١٣
موظف عادي	٢٤	٢٠.٨٦
متقاعد	٥	٤.٣٤
كاسب	٥	٤.٣٤
عاطل عن العمل	٢٣	٢٠
المجموع	١١٥	١٠٠

يبين الجدول رقم(١٠) توزيع العينة حسب متغير المهنة أو الوظيفة ،أذ تدرجت المهنة الى عشر مستويات بحسب عينة المبحوثين أذا جاءت أعلى نسبة (للموظف العادي) بتكرار بلغ (٢٤٪) ثم جاءت نسبة (عاطل عن العمل) بتكرار بلغ (٢٣٪) ثم جاءت نسبة (الطلاب) بتكرار بلغ (٢٢٪) ،بينما جاءت نسبة الاستاذ الجامعي بتكرار(١٦٪) وأقلها للمدرس بنسبة (١٠٪) ،بينما جاء تكرار كل من المعيد والمتقاعد والكاسب بنسبة (٥٪)، ثم جاءت نسبة المهندس بـتكرار(٣٪) بينما نسبة الضابط بتكرار بلغ (٢٪) فقط.

ونستنتج من الجدول أعلاه بأن المهن أو الوظائف تتوزع بطريقة متباينة حيث أن اغلب الافراد وممن يمتلكون وظائف أغلبهم أن لم يكن جميعهم ذوي تحصيل علمي أي يمتلكون وعي معرفي فكري ،فضلاً عن أن عدد كبير من المبحوثات النساء يمتلكن وظائف ذات مستوى عالي أي استاذة جامعية ومعيدة أو مسؤلة مكتبة وبنسبة أكثر من الرجال في بعض الاماكن أو الدوائر الحكومية وهذا يبين بأن المجتمع أصبح أكثر تطوراً من خلال سيادة نظرة المساواة بين الرجل والمرأة ،ولم يعد للرجل كافة الصلاحيات التي يمكن من خلالها أن يتحكم في المرأة بعدم العمل أو ممارسة التعليم أو الدخول في مجالات مختلفة من سوق العمل وهذا يبين بأن اختلاف تلك النظرة وتولي النساء لمراكز مرموقة في المجتمع وفي انظمته المختلفة التربوية والاجتماعية والمشاركة في اتخاذ و صنع القرارات قد جعل المجتمع يتراجع عن بعض صوره التقليدية التي كانت ترى من المرأة مجرد عاملة في البيت ترعى الاطفال وتهتم بشؤون زوجها وليست لها أي سلطة في

اتخاذ أي قرار وهنا يمكن أن نصف هذا النوع من المجتمع بأنه تقليدي رجعي يتسم بالمحافظة على التسلط وعدم ابداء الرأي واحترام الحقوق ،ولكن تغير المجتمعات وانفتاحها على العوالم الجديدة والمتطورة وشيوع الاستقلالية الاقتصادية جعلت من ظاهرة الفردانية تنتشر في بعض الجوانب فضلاً عن ظهور التصنيع والتكنولوجيا الحديثة كل هذه الامور مجتمعة ساهمت بتغيير المجتمع وتطوره.

الفصل السادس- المبحث الثاني

عرض التوصيفات لظاهرة الفردانية ومستقبل الجماعات التقليدية

جدول رقم(١١)

يبين اراء المبحوثين حول:

قدرة الانسان على تغير مصيره في خضم الصراع الازلي للأرادات الذاتية والاجتماعية .

الاجابة	التكرار	%
نعم	٩٣	٨٠.٨
لا	٢٢	١٩.١٣
المجموع	١١٥	١٠٠

الجدول(١١) يبين رأي المبحوثين بقدرة الانسان (الفرد) على تغير مصيره في خضم الصراع الازلي للإرادات الذاتية والاجتماعية ،وبيانات الجدول أعلاه تبين بأن نسبة كبيرة من المبحوثين تؤمن بإمكانية الفرد الانساني وبكونه قادر على تغير مصيره حيث جاءت نسبة هذه الاجابة بتكرار بلغ (٩٣٪) يرون من خلالها قدرة الانسان بإمكانية تغير مصيره ، و(٢٢٪) فقط يرون عدم امكانية قدرة الانسان على تغير مصيره في خضم هذه الصراعات الازلية للإرادات الذاتية والاجتماعية.

نستنتج من الجدول أعلاه بأن هناك نسبة عالية من الافراد ممن يمتلك القدرة على تغيير مصيره، أن تحلل العلاقات التقليدية واستقلال الفرد وقدرته على اتخاذ القرارات وتحمل مسؤوليه هذه القرارات ينتج شخص فرداني يستطيع الخروج عن سيطرة الجماعة والتزاماتها وعلى هذا الاساس يستطيع الفرد أن يصوغ مستقبله وفقاًلقراراته الذاتية ،وأذا ما أخذنا مجتمعنا العراقي كمثال لمجتمع تقليدي تشيع فيه الأعراف والتقاليد نجد أن الفرد يكون دائماً تابع أما لعشيرته أو لطائفة معينة وذلك لأن الفرد العراقي لا يستطيع أن يعيش بدون جماعة مرجعية يستند عليها ،كما أن تنشئتنا الاجتماعية غرست لدى الفرد العراقي خاصية الاعتماد على الأخر سواء كان الاعتماد على العائلة أو العشيرة فضلاً عن أن سيطرة التقاليد والعادات والأعراف تحد من استقلاليه الفرد ومن خلالها يصبح معتمد على الأخر غير قابل على الاتيان بشيء جديد وبسبب وسائل الضبط التي تفرضها تلك التقاليد فضلاً عن تنشئته الاجتماعية والعادات والطرق ووسائل التفكير التي اعتمد عليها جعلت من الفرد العراقي انسان تقليدي لا يستطيع الخروج عما هو مألوف بسبب تخوفه من نظرة المجتمع ونظرة الاخرين له لذا فهو اعتمد على يقينات جاهزة ولم يكتشف وسائل جديدة قد يغير من خلالها واقعه أو يتحدى بواسطتها تسلط القوانين والاعراف الاجتماعية .

جدول رقم(١٢)

يبين اراء المبحوثين حول قدرة الانسان على تعديل (ولو جزء ما) من واقعه الاجتماعي والحياتي

الاجابة	التكرار	%

نعم	٩٦	٨٣,٤٧
لا	١٩	١٦,٥
المجموع	١١٥	١٠٠

جدول (١٢) يبين آراء المبحوثين حول قدرة الانسان على تعديل (ولو جزءً ما) من واقعه الاجتماعي والحياتي حيث أن المبحوثين اجابوا بنسبة كبيرة بلغت (٩٦٪) على أن الانسان قادر على تعديل واقعه الاجتماعي والحياتي ،وبفارق كبير جداً للإجابة التي تنفي قدرة الانسان على التعديل والتغير للواقع جاءت بنسبة(١٩٪) فقط من اجابات المبحوثين .

أن تأكيد الباحثة على هذا النوع من الاسئلة هو لضرورة ينبغي معرفتها تقتضي قياس قدرة الفرد العراقي ومدى قابلياته على التغير سواء كان في وضعه الاجتماعي أو الحياتي ولقياس قدرات الفرد الذاتية التي يمكن من خلالها تغيير هذا الواقع الحياتي أو بصورة أدق الاجابة على سؤال هل أن الفرد قادر على المواجهة والمجابهة من أجل تغيير مصيره حيث جاءت أجابات المبحوثين وبنسبة كبيرة جداً مؤكدة على أن الفرد يستطيع تغير وضعه الحياتي والاجتماعي وهذا راجع بدوره ألى أزدياد الوعي الفكري والثقافي الذي يتيح للفرد القابليات والامكانيات التي من خلالها يغير مصيره أيضاً ، فضلاً عن أن الفرد الذي يستطيع تغير مصيره يكون مسلح بشجاعة اثبات الذات وبإمكاناته الفردية ، كما أن عدم الانقياد لتسلط التقاليد والخروج من سطوتها تتيح للإنسان الفرد صياغه مصيره وتقرير وضعه الحياتي ،أما فرض الاتباع والقيود والانصياع للقيم المدعومة بالتراث يجعل من مصائر الافراد مقرره سلفاً نتيجة السير وفق ما هو مألوف ومتبع .

وفي مجتمعنا العراقي المعاصر يواجه الفرد كتلة من الضغوطات وأحدى هذه الضغوطات هي التهميش لمنزلته والاستهانة بقدرته وذلك لأن مجتمعنا لا يؤمن بالفردانية ويجد بأنها مقترنة بمفهوم الاغتراب أو العزلة الذي يجعل من الفرد منعزل بشكل مطلق عن الجماعة ولكن هذا الرأي غير مدعوم بأساس صحيح لأن الفردانية في جوهرها تستند ألى الحرية في اتخاذ القرارات والرغبة الغير مقيدة بقانون أو تقليد وحرية المعتقدات الفكرية والمذهبية ، لذا فبنية المجتمع قائمة على فهم خاطئ لهذه الظاهرة فضلاً عن أن سيادة الوعي الجمعي بقي راسخ في المجتمع مما عزز سيادة الجماعات التقليدية وسلطتها على حساب الفرد.

جدول رقم (١٣)

يبين خشية الافراد على مستقبل الجماعات التقليدية في المجتمع العراقي.

الاجابة	التكرار	%
نعم	٦٤	٥٥.٦
لا	٥١	٤٤.٣
المجموع	١١٥	١٠٠

الجدول رقم (١٣) يبين خشية الافراد على مستقبل الجماعات التقليدية في المجتمع العراقي حيث أجاب المبحوثين بنسبة كبيرة على خشيتهم على مستقبل الجماعات بنسبة بلغت (٦٤٪) ،بينما جاءت عدم خشية بعض الافراد بنسبة (٥١٪).

أن بيانات الجدول المبينة أعلاه تقيس مدى خشية الافراد على مستقبل الجماعات التقليدية في المجتمع العراقي حيث تبين أن النسبة الغالبة من الافراد تخشى على مستقبل الجماعات التقليدية لأنهم يرون أن سيادة تلك الجماعات هي أساس بناء المجتمع وأذا ما أخذنا العائلة كواحدة من الجماعات التقليدية نجد أنها أهم مؤسسة تبني الفرد وتصقل شخصيته في أحيان كثيرة وتعتبر واحدة من أهم المؤسسات المسؤولة عن بناء الشخصية الاساسية فكلما كانت العائلة ديمقراطية تمنح أبناءها حرية التعبير عن الرأي والأفكار وسيادة نظام أبوي ديمقراطي ينتج بالتالي فرداً قوي الشخصية قادر على اثبات ذاته والعكس صحيح أذا كانت العائلة متسلطة تحتم على الفرد الانقياد والخضوع وترى بأن الحرية والديمقراطية مفاهيم خاطئة فضلا عن سيادة النظام الابوي المتسلط ينتج بالتالي فرداً مهزوم ضعيف الشخصية ، من جهة أخرى تعتبر الجماعة أو الزمرة أهم مرجع ينتمي اليه الفرد فنحن مجتمعات جماعية وليست فردية ولذا فأن حساب قيمة الفرد الاساسية تكون وسط جماعته أي أن قيمته اجتماعية وعلى هذا الأساس اجاب المبحوثين بأنهم يخشون على الجماعات التقليدية لكونهم يرون أنها تلم بالفرد وتضمن مصالحه عما أذا كان معزول أو فرداني ،بينما أجاب بعضهم الأخر بأنهم لا يخشون على الجماعات التقليدية لانهم يرون امكانية وجود المجتمع بدونها فعلى سبيل المثال وكما هو متعارف على أن الفرد العراقي منتمي ألى عشيرته ولكن في ظل التطورات في وقتنا الحاضر أخذ الكثير من الأفراد ينفصلون عن عشيرتهم ويعيشون بشكل مستقل ولذا فأنهم أصبحوا يرونها ليست ذات اهمية ويستطيع الفرد العيش من دونها كما أن ضعف النسق القرابي قد أثر بشكل كبير على هذا الامر وأصبح لبعض العوائل امكانية العيش دون الانتماء أو الاحتماء بعشيرة معينة أو طائفة ما .

جدول رقم (١٤)

يبين اهم سبب لآراء المبحوثين حول خشيتهم على مستقبل الجماعات التقليدية

الفقرة	التكرار	%
من نمو ارادة الافراد وحريتهم	٢٩	٢٥.٢١
من الافول (فقدانها لطاقتها التاريخية والاجتماعية)	١٩	١٦.٥٢
من الضياع في صراعات عبثية مع بعضها البعض	٤٦	٤٠
من نوايا الدولة (الدولة التقليدية تستمد سلطانها من الجماعة التقليدية) وبالتالي ربما تنقلب عليها	٢١	١٨.٢٦
المجموع	١١٥	١٠٠

جدول رقم(١٤) يبين أهم سبب حول آراء المبحوثين على كونهم يخشون على مستقبل الجماعات التقليدية حيث أجاب المبحوثين وبنسبة كبيرة على الخيار (من الضياع في صراعات عبثية مع بعضهم بعض) بنسبة بلغت (٤٦٪) وبفارق أقل جاء خيار (من نمو أرادة الافراد وحريتهم) بنسبة (٢٩٪) ثم أجاب المبحوثين بنسبة (٢١٪) للخيار (من نوايا الدولة (الدولة التقليدية التي تستمد سلطانها من الجماعة التقليدية وبالتالي تنقلب عليها)، والمرتبة الرابعة جاءت للخيار (من الافول) بنسبة (١٩٪) فقط .

من الجدول اعلاه نستنتج بأن خشية الافراد على مستقبل الجماعات التقليدية هو بسبب الضياع الذي قد يصيبها من الصراعات العبثية مع بعضها بعض حيث أن هذا الامر من شأنه أن يقلص من وجودها ويفقدها طاقتها وسلطتها كما أن بعضهم الاخر أجاب بأن الخشية على الجماعات التقليدية يكون بسبب نمو ارادة الافراد وازدياد سلطانهم أو تصبح للأفراد الاهمية المركزية على حساب الجماعة وبالتالي تندثر أهميتها كما أن فقدان طاقتها الاجتماعية قد يكون سبب في زوالها وخصوصاً بعد شيوع انماط التحضر ودخول التطورات التكنولوجية ووسائل الانترنت التي باتت تغني الأفراد عن التواصل مع الاقرباء وأضحت العلاقات سطحية هامشية شخصية أكثر مما هي علاقات قرابة وبالتالي فقدان هذه الوظيفة الاجتماعية ونمو الاستقلالية والتوحد يكون هو سبب الخشية عليها ، من جانب آخر خشى بعضهم من الدولة المتحضرة ومن سلطتها التي قد تنقلب على الجماعات التقليدية وتحد منها وبالتالي قد يصبح وجود الجماعة وهمياً .

جدول رقم (١٥)

يبين اراء المبحوثين حول :

اهم الطرق والبدائل التي يفكرون بها في الظروف الصعبة من اجل الخلاص الذاتي

الفقرة	التكرار	%
افكاري الذاتية هي التي تمنحني امكانية الخلاص والخروج على مشاكل الجماعة التي انتمي اليها	٥٢	٤٥.٢
ايماني بالحياة الاخرى (بالأخرة) والعودة هو الخلاص الوحيد من مشاكل هذه الدنيا	٢٥	٢١.٧
انتمائي للجماعة هو الوحيد الذي من شأنه ان يمنحني نوع من الخلاص الاجتماعي	١٤	١٢.١٧
ليس هنالك اي نوع من الخلاص	١٢	١٠.٤٣
الهروب او الهجرة الى اوربا والبدء من جيد	١٢	١٠.٤٣
المجموع	١١٥	١٠٠

يوضح الجدول رقم(١٥) آراء المبحوثين حول أهم الطرق أو البدائل التي يفكرون بها في الظروف الصعبة من أجل خلاصهم الذاتي ،أذ كانت نسبة (٥٢٪) من المبحوثين يرون بأن أفكارهم الذاتية هي التي تمنحهم امكانية الخلاص والخروج على مشاكل الجماعة التي ينتمون أليها ،ويليها الخيار الثاني الايمان بالحياة الاخرى(الاخرة) والعودة هو الخلاص الوحيد من مشاكل هذه الدنيا بنسبة بلغت (٢٥٪) بينما اجابات المبحوثين لخيار الانتماء للجماعة هو الوحيد الذي من شأنه أن يمنح نوع من الخلاص الاجتماعي للفرد جاء بنسبة (١٤٪) وفي المقابل جاء في المرتبة الرابعة والخامسة لخيار ليس هناك أي نوع من الخلاص وخيار الهروب أو الهجرة ألى اوربا والبدء من جديد بنسب متشابهة بلغت (١٢٪) لكل واحد منهما .

من الجدول أعلاه نستنتج بأن اختيارات الافراد تنوعت للطرق والبدائل التي يتخذونها للخلاص الذاتي ،حيث أكد بعض الباحثين بأن الافكار الذاتية هي الاساس التي يمكن أن يعتمدها الفرد من أجل خلاصه الذاتي حيث أن الأفكار تمنح نوع من الخلاص للفرد أو تمكنه من الخروج من الظروف الصعبة ومن المشاكل التي تعترض طريقة ،كما أجاب بعض الافراد على أن الطريقة التي يعتمدها للخلاص للذاتي وللتغلب على المشاكل أو الظروف هي الايمان بالحياة الاخرة حيث أن اغلب المبحوثين يرون بأن طريقة النجاة الوحيدة التي يمكن للإنسان من خلالها أن ينال الخلاص الذاتي ويطمئن نفسياً وروحياً هي من خلال الايمان بالأخرة والعودة أي البعث بعد الموت خصوصاً وأن الدين هنا يلعب دوراً مهماً في هذا المجال حيث تتركز عند الانسان خاصية فطرية وهي الايمان والاتكال على قوة عليا لا يستطيع الأنسان ومهما بلغ من بأس أن يتخلى عن قوة أو آله يستمد منه قوته أو عزيمته ،وتنوعت الطرق التي يتبعها الناس من أجل

نيل مرضاة الله وبالتالي الحصول على الخلاص الذاتي فهناك ممن يتخذ من الصلاة والزكاة والطاعة وقراءة القران طريقاً للتقرب من الله لنيل مرضاته من اجل أن ينالهم الخلاص الذاتي في الحياة الاخرة ،بينما فئة آخرى من المبحوثين الافراد رأى بأن خيار الانتماء للجماعة والاحتماء بها هو الطريق الوحيد الذي يمنح نوع الخلاص الذاتي والاجتماعي لأن الجماعة مسؤولة عن حماية الفرد المنخرط بها لذا فواحدة من مسؤولياتها هي الدفاع عنه وحمايته وعلى هذا الاساس تقوى علاقة الفرد بجماعته ويمكن القول بأن الفرد الذي يعتمد على جماعته أو زمرته من أجل خلاصه هو فرد تقليدي غير مترسخة فيه بذور الاستقلالية لكونه يعتمد على الآخر وليس لذاته أي أهمية لذا نظرة هذا الفرد لا تتخطى الواقع الموضوعي وينظر لنفسه على أنه جزء من كيان أكبر منه وليس لديه كيان خاص به ألاّ في ضل جماعته التي ينتمي اليها ،بينما رأىبعضمن الافراد بأن الخلاص غير موجود وليس هناك اي نوع منه وقد يكون سبب ذلك كثرة الضغوط التي تقع على عاتق الفرد أو الممارسات التعسفية أو انتشار الفساد وعدم الامان الاجتماعي والنفسي وغيرها من الامور جعلت تترسخ لديهم هذه الخاصية المتمثلة بعدم امكانية وجود أي نوع من الخلاص ،بينما الهروب أو الهجرة ألى اوربا والبدء من جديد هو خيار تركزت بعض من أجابات المبحوثين عليه وهذا الامر حدث فعلا في مجتمعنا العراقي وبعض المجتمعات العربية الاخرى مثل سوريا فمنذ فترة غير بعيدة لجأ الكثير من الشباب لا بل المئات من العوائل الى اللجوء أو الهروب الى أوربا لكي ينالوا بعضاً من الخلاص الاجتماعي والذاتي حيث أن سوء اوضاع المجتمع وتدهور قوانينه وكثرة الاضطرابات والبلبلات السياسية وفساد انظمة الحكم والقتل وانتشار الجرائم والحروب المستمرة وما ينتج عنها من أمور أخرى دفعت هؤلاء للهجرة لعلهم يجدون طريقاً أو مخرجاً ينالون من خلاله خلاصهم الذاتي لذا فالعامل النفسي لعب دوراً كبيراً في هذا المجال فالضغوطات النفسية الكبيرة دفعت الكثير منهم لأن يلجأوا للهروب أو الهجرة من أجل نيل الخلاص.

جدول رقم(١٦)

يبين اراء العينة حول اهم مصدر يستند عليه في اتخاذ قراراتهم في حياتهم اليومية

الفقرة	التكرار	%
العقل(الافكار)	٥٩	٥١.٣
الناس	١	٠.٨٦
واقع الحياة وسيرورتها (الظروف)	٥٤	٤٦.٩

اسباب اخرى تذكر	١	٠.٨٦
المجموع	١١٥	١٠٠

جدول رقم (١٦) يبين آراء العينة حول أهم مصدر يستندون عليه في اتخاذ قراراتهم في حياتهم اليومية حيث أذ بلغت النسبة التي اختارت العقل(الأفكار) أكثر من النصفتمثلت بـ (٥٩٪) ، وبفارق أقل جاء خيار واقع الحياة وسيرورتها (الظروف) بنسبة بلغت (٥٤٪) بينما جاء كل من خيار الناس وأسباب أخرى بنسبة (١٪) فقط لكل واحد منهما .

يبين الجدول آراء المبحوثين حول أهم مصدر يستندون عليه في قراراتهم حيث أن النسبة الكبيرة من اجابات المبحوثين تركزت على خاصية العقل(الأفكار) أذ يعتبر هؤلاء المبحوثين بأن العقل هو أهم مصدر يعتمد عليه الانسان في صياغة قراراته لأن العقل هو الاساس والمتحكم بكافة القرارات فالعقل الواعي يتيح للإنسان الطريق الصحيح ومن خلاله يسترشد الفرد لواقع اكثر تطوراً ، بينما يرى بعض الافراد أن واقع الحياة وسيرورتها هو مصدر القرار،حيث تمارس الظروف أثراً كبيراً على الفرد وقد تصوغ للفرد نمط حياته الخاص خصوصاً للأفراد الذين لا يمتلكون القدرة أو امكانية التغير ومعتمدين على الظروف وهي منيقرر لهم حياتهم ، أما خيار الناس جاء بنسبة (١٪) فقط حيث تبين بأن المبحوثين الافراد لا يعتمدون على أراء الناس في قضايا حياتهم الاساسية وأنما على أفكارهم الخاصة وواقع حياتهم وسيرورتها .

جدول رقم (١٧)

يبين رأي المبحوثين حول اهم محدد اساسي يرون ان له دور اساس في صياغة شخصيتهم

الفقرة	التكرار	%
عضويتي في الجماعة التقليدية (العائلة ، العشيرة ، الطائفة.. الخ)	٣٠	٢٤
لذاتي دور اساسي في صياغة شخصيتي	٦٣	٥٩
المجتمع هو المحدد الاساس في صياغة شخصيتي	٢١	١٧
محددات اخرى	١	صفر
المجموع	١١٥	١٠٠

جدول رقم(١٧) يوضح رأى المبحوثين حول أهم محدد أساسي يرون أنه الأساس في صياغة شخصيتهم فاختلفت أجابات المبحوثين وبنسب غير متقاربة حيث بلغت أعلى نسبة للمبحوثين لخيار الذات وبكونها الاساس في صياغة الشخصية بنسبة جاءت (٦٣٪) وأقل بكثير لخيار العضوية في الجماعة التقليدية (العائلة ، العشيرة، الطائفة ..الخ) بنسبة (٣٠٪) ، ويليها خيار المجتمع بنسبة بلغت (٢١٪) فيما جاء خيار المحددات الاخرى غير الخيارات المذكورة بـ (١٪) فقط.

يبين الجدول رأي المبحوثين حول أهم محدد أساسي يرون أنه الاساس في صياغة شخصيتهم أذأجاب المبحوثين بأن الذات لها الدور الاساسي في صياغة الشخصية فالكثير من الافراد يصيغون شخصياتهم وفقاًلقناعاتهم وأفكارهم الاساسية وكلما كان الفرد متعلماً وواعياً ومثقفاً كلما كان لذاته الدور الاساس في نمو شخصية قوية استقلالية غير خاضعة ،بينما أكد بعضهم بأن العضوية في الجماعة التقليدية (العائلة أو العشيرة أو الطائفة) هي المحدد الأساس لصياغة الشخصية وفي مجتمعنا العراقي تمارس العائلة الدور الاكبر لرسم وصياغة شخصية الفرد ولذا بالمقابل يرى الفرد نفسه بأنه مرتبط بها فمنذ اللحظة التي يمارس من خلالها الفرد العلاقات الاجتماعية يرتبط بالعائلة بنسيج قوي ،فضلاً عن أن المواقف التي تنشئ بداخل العائلة تقوي لديه حب العشيرة و الزمرة كل هذه الامور تجعل من شخصيته مصاغه وفقاًلما تعود عليه من طرق وأساليب وجدها في تلك الجماعات التقليدية أو عائلته وبذلك تصاغ على أساسها شخصيته الأساسية ، وهناك من يرى بأن المجتمع هو المحدد الأساس لنمط الشخصية فمن خلال القوانين والأوامر والنواهي والسلطة الدينية والاجتماعية تتحدد شخصية الفرد فكلما كان المجتمع ديمقراطي يتيح للفرد التعبير عن آرائه وأفكاره ومعتقداته بكل اريحية وبدون ضغوط مفروضة نمت شخصية فردانية مستقلة وكلما كان المجتمع متشدد يدين الخروج عما هو مألوف ويقابل كل فرد بالنقد والسخرية تنتج شخصية انهزامية ضعيفة هدفها الاساس الاقتصار بالعيش وفقاًللواقع السائد وألمألوف .

جدول رقم(١٨)

يبين نوع التوافق النفسي الذي يبحث عنه الفرد

الخيارات	التسلسل المرتبي	التكرار	%
ان اكون موفقاً في علاقتي مع (الله)	١	٦٤	٥٥.٦

ان اكون على وفاق مع نفسي والناس	٢	**٢٨**	٢٤.٣٤
ان اكون على وفاق مع نفسي وذاتي	٣	**١٧**	١٤.٧٥
ان اكون على وفاق مع الناس	٤	**٦**	٥.٢١

الجدول رقم(١٨) هو جدول (تسلسل مرتبي) يبين نوع التوافق النفسي الذي يبحث عنه الفرد، وبناءاً على رأي المبحوثين جاء خيار أن أكون موفقاً في علاقتي مع (الله) بنسبة كبيرة بلغت (٦٤٪) حيث كانت النسبة الأعلى بالمقارنة مع باقي الاجابات ،ثم تلاها بالمرتبة الثانية خيار أن اكون على وفاق مع نفسي والناس بنسبة (٢٨٪) ،بينما (١٧٪) جاءت نسبة خيار أن أكون على وفاق مع نفسي وذاتي ،وكان أقل الخيارات هو أن اكون على وفاق مع الناس بنسبة (٦٪) فقط .

يبين الجدول أعلاه خيارات المبحوثين حول التوافق النفسي الذي يبحثون عنه وكانت نسبة كبيرة من الاجابات تؤكد على أن التوافق مع الله ينتج عنه رضا نفسي ذاتي داخلي للفرد فكلما اكون موفقاً مع الله ينتج عنه توفيق في حياتي ،كما أجاب بعضهم الأخر بأنه يفضل أن يكون موفقاً مع الناس ومع نفسه وبما أن ثقافتنا السائدة في المجتمع تفرض وعياً جمعياً يتشكل من التمثلات الجماعية والقيم والتقاليد فهذا له دوراً أساسياً في اجابات المبحوثين بكونهم راغبين بأن يكونوا على وفاق مع الناس ويجب أن لا ننسى أيضاً عمليات التنشئة الاجتماعية وما تتضمنها من ضوابط وأومر تحتم على الفرد بأن يكون منصاع ومتوافقاً مع الجماعة ومنسجماً معها ، وبما أن الفردانية تقتضي بأن يكون الفرد متوافقاً مع نفسه وذاته وأن يصوغ وجوده وقراراته ونمط حياته بنفسه بعيداً عن تدخلات الجماعة أو أي سلطة أخرى لذا فنسبة أجابات المبحوثين التي تتركز حول الذات والتوافق معها جاءت بالمرتبة الثالثة وبنسبة (١٧%) وهذا يعني بأن تلك الفئة من الافراد تمتلك توجهات ذاتية فرديةمستقلة قادرة على تحمل مسؤولية أتخاذ القرار .

جدول رقم(١٩)

يبين اراء المبحوثين حول اهم مصدر للتصورات والقرارات التي يعتمدون عليها في حياتهم اليومية

الخيارات	**التسلسل المرتبي**	**التكرار**	%
الايمان بالقدرات الذاتية	١	٣٩	٣٣.٩
الظروف هي التي تقرر لي قراراتي	٢	٣٥	٢٨.٦
حركة الواقع الاجتماعي	٣	٣٣	٣٠.٤٣

الحدس	٤	٨	٦.٩٥

الجدول المبين أعلاه هو جدول(تسلسل مرتبي) يبين آراء المبحوثين حول أهم مصدر يعتمدون عليه في تصوراتهم وقراراتهم حيث وضعت الباحثة أربعة خيارات تتيح للباحث الاختيار الأهم لديه واعتماداً على آراء المبحوثين جاءت خاصية الايمان بالقدرات الذاتية بالمرتبة الاولى بنسبة بلغت (٣٩٪) ثم تليها بالمرتبة الثانية وبفارق بسيط لخيار الظروف هي التي تقرر التصورات والقرارات بالنسبة للفرد بنسبة (٣٥٪) ،بالمقابل جاء خيار حركة الواقع الاجتماعي بالمرتبة الثالثة حسب رأي المبحوثين بنسبة (٣٣٪) فيما حل بالمرتبة الرابعة خيار الحدس بنسبة (٨٪)فقط من اجابات المبحوثين.

أن نتائج الجدول أعلاه تبين أن نسبة كبيرة من الافراد يعتمدون على قدراتهم الذاتية في تصوراتهم وأفكارهم لذا فالفرد المعتمد على خاصية الذات وقدراتها هو شخص فرداني يمتلك تصورات ورؤى خاصه به غير محدد بمقاييس اجتماعية من الجماعة أو أي سلطة أخرى يعتمد على امكاناته لذا فهو فرد يرى بأن الانسان كفيل بأن يصنع مقاييسه بنفسه ،وعلى هذا الأساس فهو مختلف كلياً عن الفرد المنتمي الى جماعة أو طائفة معينة لأن هذا الشخص سيعتمد في النهاية على جماعته تلك في كافة قراراته وأفكاره وتصوراته ولا يعتمد على ذاته ،بمعنى أن زمام أموره كافة تكون بيد الجماعة التي ينتمي أليها ،بينما أجاب عدد من الأفراد بأنهم يعتمدون على الظروف في قراراتهم وفي أدارة حياتهم اليومية نظراً لان الظروف لها قدرة كبيرة على تغيير القرارات والأفكار لذا يلجا العديد من الافراد للتسليم للظروف في كافة امور حياتهم وتصوراتهم عن العالم ،كذلك هو الامر مع حركة الواقع الاجتماعي واليومي حيث نسبة غير قليلية من الافراد تسير وفقاًلما هو مقرر من حركة الواقع اليومي لأنهم يرون أستحالة تخطي ما هو مفروض من الواقع أو الظروف ،أما بالنسبة للحدس فقلة من الافراد يعتمدون عليه في تصوراتهم وقراراتهم ولا يرون أنه مصدر اساسي لتسيير أمور حياتهم وتصوراتهم وما يتعلق بها.

جدول رقم (٢٠)

يبين اراء المبحوثين اذا كان ثمة علاقة تجمع بين الفردانية والانانية

الاجابة	التكرار	%
نعم	٤٤	٣٨.٢٦
لا	٧١	٦١.٧

المجموع	١١٥	١٠٠

جدول (٢٠) يوضح آراء المبحوثين أذ كانت ثمة علاقة تجمع ما بين الفردانية والانانية ،أذ أجمع عدد كبير من الباحثين على عدم وجود علاقة تجمع بين الظاهرتين بنسبة بلغت (٧١٪) بينما اكد عدد من المبحوثين وبنسبة اقل على وجود علاقة تجمع بين الفردانية والأنانية بنسبة (٤٤٪) حيث أكد بعض من الباحثين بأن العلاقة التي يمكن أن تجمع بينهما هي علاقة طردية فكلما زاد احدهما وبمقدار معين يزيد الطرف الأخر بينما يؤكد بعض المبحوثين على أن العلاقة بين الظاهرتين هي علاقة تكاملية أي لا يمكن الفصل بين الفردانية والانانية فكل واحد منهما مكمل للأخر .

ويلتبس في الاذهان بأن مفهوم الفردانية في مجمله يحمل طابعاً سلبياً يشار أليه بصفةٌ العزلة الاجتماعية أو التسلط أو ألى نزعة مضادة للجماعة ومعادية للتعاون مع الأخر ،كما يشار أليه أيضاً بالانانية أو النرجسية ،ولذا نضع هنا تمييزاً مابين الفردانية وما بين الانانية ،فالفردانية تقتضي بأن يكون للأنسان موقفاً معيناً من قضية ما أو يكون له رأياً ثابتاً اتجاه موضوعاً معين وهذا الموقف أو الرأي مدعوم بوعي أدراكي ثقافي بمعنى أن الفرد يمتلك معرفةً ووعياً بأعماله أو قضاياه التي يتبناها ،أما الانانية فهي تتضمن صور تفضيل الأشياء والأعمال لمصلحة الفرد الذاتية فقط دون الأخرين أي تفضيل لا حدود له ولذا فالفردانية لا تنطوي أسسها ومضامينها حول هذا النمط وأنما تشير وبصورتها العلمية الى الفرد المتميز عن الجماعة بفكره وعمله ونظرته للوجود ،فهي كمؤشر للتطور الثقافي والاجتماعي ،فالشخصيات القيادية في المجتمع أو الأفراد أصحاب الامتيازات العالية والذين يمتلكون تفكيراً فردياً كالعالم والفيسلوف والمفكر هم في النهاية اشخاص فرديون بمعنى أنهم يمتلكون خصوصية فكرية ورؤية خاصة للعالم يتميزون من خلالها بهوية خاصة تميزهم عن سائر الأفراد الاخرين .

جدول رقم(٢١)

يبين تصنيف الفردانية في المجتمع

الفقرة	التكرار	%
ظاهرة ايجابية	٢٥	٢١.٧٣
ظاهرة سلبية	٣٩	٣٣.٩١
لا يمكنني تقييمها	٣٦	٣١.٣
لا افكر بهذا النوع من الموضوعات	١٥	١٣.٠٤

المجموع	١١٥	١٠٠

الجدول أعلاه يبين تصنيف أراء المبحوثين لظاهرة الفردانية في المجتمع العراقي أذ أجمع عدد من المبحوثين على أن الفردانية ظاهرة سلبية وبلغت نسبة من أختار هذا الخيار من المبحوثين (٣٩٪) بينما كانت نسبة من أختار عدم القدرة على تقييمها (٣٦٪) على أن عدد من المبحوثين لا يستطيعون تقييمها ،ثم أجاب المبحوثين بنسبة (٢٥٪) على خيار الفردانية بكونها ظاهرة أيجابية ، وبنسبة (١٥٪) لخيار لا أفكر بهذا النوع من الموضوعات

لقد أجاب عدد كبير من الأفراد على أن الفردانية ظاهرة سلبية وبما أن مجتمعنا يكرس الوعي الجمعي وبأشكال مختلفة فعلى هذا الاساس يتصور بعضهمأن الفردانية تقتضي ضمان المصالح لفرد معين دون فرداً أخر أو أنها تنطوي على العزلة وعدم الانخراط مع الاخرين أو أنها بمثابة ظاهرة تهدد مصالح ووجود الجماعات التقليدية وتكرس وعي فردي أناني حيث أن الفهم المغلوط لهذه الظاهرة قد جعلهم يعتقدون أنها ظاهرة سلبية ولكن أهم ما تنطوي عليه هذه الظاهرة هو الحرية التي هي جوهر الفردانية والتي تتيح للفرد العيش وفقاًلواقع غير مفروض عليه وغير مقيد بالأحكام والتوجيهات والقوانين والتشريعات المفروضة بمسميات مختلفة كالدولة أو العشيرة أو الجماعة الأجتماعية فخصائصها الاساسية تنطوي على حرية المعتقدات الدينية والفكرية والحرية في ابداء الرأي والمناقشة والتشكيك والنقد في القرار أو المعتقد قبل الايمان به أو تطبيقه فضلاً عن الاستقلالية في اتخاذ القرار بوعي عقلاني ثقافي غير مقيد بنص أو قانون أو تشريع ما، لذا فبناء فردانية يحتاج ألى تبني افكار جديدة والتخلص من الافكار الرجعية التي تعيق المجتمع فضلاً عن تبني ممارسات وتصورات مختلفة تنبني على أساس أحترام الأخر وتقبله وتقبل النقد والتشيكك فضلاً عن الديناميكية في القرارات والاعتراف بأهمية الفرد وأمكاناته الذاتية وتأكيد دوره في المجتمع بوصفه ذاتاً ثقافيةً ومعياراً للوجود وفاعلاً للمصير .

جدول رقم(٢٢)

يبين اراء المبحوثين حول أرجحية اقبال المجتمع العراقي للانتقال من العيش بكنف الجماعات التقليدية الى العيش في عالم تسوده الفردانية

الاجابة	**التكرار**	%
نعم	٦١	٥٣.٠٤
لا	٥٤	٤٦.٩٥
المجموع	١١٥	١٠٠

جدول رقم (٢٢) يبين أراء المبحوثين حول أرجحية أقبال المجتمع العراقي للعيش بكنف الجماعات التقليدية ألى العيش في عالم تسوده الفردانية حيث جاءت بنسبة (٦١٪) من آراء المبحوثين يرون أن المجتمع مقبل على الانتقال للعيش في كنف الفردانية بينما جاءت وبنسبة أقل متمثلة بـ(٥٤٪) من آلاراء التي ترى بأن المجتمع العراقي غير مقبل على العيش في عالم تسوده الفردانية.

وجدناأن نسبة كبيرة من المبحوثين الافراد يعتقدون بأن مجتمعنا العراقي مقبل على العيش في عالم تسوده الفردانية وقد اعتمدوا في تصوراتهم هذه على الانفتاح الذي شهده مجتمعنا في جوانب متعددة ولا سيما في الآونة الاخيرة فعلى صعيد التطور الثقافي أصبح للفرد دوافع وطموحات مختلفة جعلته يوسع نظرته حول ما يحيطه به فضلاً عن أن أعداد كبيرة من الافراد أصبحوا يطمحون للحصول على شهادات علمية مرموقة حيث نجد أن نسبة كبيرة منهم اتجهت للسفر لإكمال الدراسة من أجل الحصول على شهادات مرموقة وما هذا الآمر ألاّ دليل على التطور الثقافي وتوسع الامكانات العقلية للأفراد ،أما على صعيد التطور الاقتصادي فالتبدل في أنماط المعيشة واعتماد الفرد على نفسه واختفاء مظاهر التعاون التي كانت قائمة على أساس التكاتف الجماعي فضلاً عن تقلص التبعية الأبوية التي كانت سائدة حيث كان الفرد ينتج لعائلته ولنفسه ولكن بفضل التصنيع والازدهار الاقتصادي أصبح كل فرد مكتفي ذاتياً من خلال استقلاله الاقتصادي ،فضلاً عن التطورات التكنولوجية والتي كان لها دور كبيرٌ لتدعيم تصور الافراد، ومنها الانترنت الذي أسهم في تعزيز هذا الأمر وجعل من الأفراد يتجهون نحو الفردانية كل هذه الامور مجتمعه جعلت الافراد ترجح بأن المجتمع مقبل على العيش في عالم تسوده الفردانية.

جدول رقم(٢٣)

يوضح اراء المبحوثين حول الاسباب التي دفعتهم لطاعة وتطبيق للتقاليد والاعراف الاجتماعية

الفقرة	التسلسل المرتبي	التكرار	%
مهمة وضرورية للمحافظة على حياة الناس والعلاقات فيما بينهم فبدونها ستحدث فوضى وصراعات	١	٥٠	٤٣.٤٧
مفروضة ويجب الالتزام بها تجنباً للتعرض الى انتقادات وعقوبات	٢	٤١	٣٢.٦٥
صحيحة مادام جميع الناس اتفقوا عليها اذ لا يعقل ان	٣	١٣	١١.٣٠

كل الناس لا يفهمون			
اسباب اخرى	٤	١١	٩.٥٩

الجدول رقم(٢٣)هو (تسلسل مرتبي) يوضح آراء المبحوثين حول الأسباب التي دفعتهم لطاعة وتطبيق التقاليد والأعراف الاجتماعية حيث جاء بالمرتبة الاولى وبنسبة (٥٠٪) لكونهم يرون أنها مهمة وضرورية للمحافظة على حياة الناس والعلاقات فيما بينهم فبدونها تحدث فوضى وصراعات ثم تلاها بالمرتبة الثانية خيار لكونها مفروضة ويجب الالتزام بها تجنباً للتعرض ألى انتقادات وعقوبات بنسبة (٤١٪) ،ثم وبنسبة (١٣٪) لخيار كونها صحيحة مادام جميع الناس اتفقوا عليها اذ لا يعقل أن كل الناس لا يفهمون ، بينما بالمرتبة الرابعة تركت الباحثة الخيار مفتوح للمبحوثين الأفراد للتعبير عن آرائهم بدون فرض خيار معين جاءت بنسبة (١١٪) فقط من آراء المبحوثين.

أن الجدول اعلاه يبين آراء المبحوثين حول السبب الذي يدفعهم لطاعة وتطبيق القوانين والاعراف الاجتماعية والالتزام بها فأحدى الاسباب الرئيسة التي أكد عليها الأفراد هي لكونها مهمة للمحافظة على حياة الناس وتنظيم العلاقات فيما بينهم فمن المتعارف عليه أن مجتمعنا العراقي تسيره عادات وتقاليد اجتماعية موروثة مثل عادات التمسك بقيم العرف والعشيرة والفرد دائما ما يكون مرتبط بعشيرته أو قبيلته ومن خلال ذلك الارتباط تنمو العلاقة القوية بينه وبين عشيرته ليجد بأن تعاليمها وقوانينها تخدم مصلحته فضلاً عن أنها تساعده وتحميه في حالة تعرضه لمشكلة ما أو ظرف معين لذا فأنها ضرورية من اجل أنهاء المشاكل وفض النزاعات بين المتخاصمين ولولاها لحدثت صراعات وفوضى، بينما هناك من يرى بأن تلك التقاليد مفروضة ويجب الالتزام بها تخوفاً من نظرة النقد أو السخرية من جانب المجتمع أو من نظرة الاخرين فأن أتباعها وتطبيقها يجنب الفرد التعرض للعقوبات ففي المجتمع العراقي يواجه الفرد عقوبات عند احلاله وعدم تمسكه بعادة أو عرف معين فمثلا يعتبر الولاء للقبيلة وخصوصاً في الريف واقع مفروض فاذا تخلى الفرد عن ولائه يقابل بالنقد والسخرية لذا فالفرد العراقي الريفي يتميز بكونه يتمتع بولاء مطلق لعشيرته فضلاً عن الصلات القوية التي تربطه بأفراد العشيرة الأخرين ، وهناك من يرى بأن تلك التقاليد والقوانين الموجودة في المجتمع هي صحيحة مادام الناس اتفقوا عليها لذا هنا يبرز الجانب التقليدي من الأفراد لكونهم أتبعوا ما وجدوا عليه الناس وأن درجة أيمانهم وطاعتهم نابعة من قناعات الناس وما توارثوه اذ لا يعقل هؤلاء الافراد بأن ما يتبعه الناس

خاطي، بينما الخيار الآخر تركته الباحثة مفتوحاً للمبحوثين للتعبير عن آرائهم حيث وجد بأن نسبة كبيرة منهم من يرى بأن تلك العوامل مجتمعه هي سبب الالتزام بالتقاليد والاعراف أي أنها تجنبنا العقوبات والانتقادات كما أنها ضرورية للمحافظة على النظام وأيضاً أنها مفروضة ويجب الالتزام بها

جدول رقم(٢٤)

يبين درجة اقتناع أو قناعات الفرد بالتعميمات الاخلاقية والقيم الاجتماعية

الفقرة	التسلسل المرتبي	التكرار	%
قواعد وتعليمات من الله ذكرت في النصوص الدينية (مقدسة)	١	٥٧	٤٩.٥٦
قواعد لتسهيل وتنظيم الحياة اكتشفها الناس بالتدريج عبر التجربة التاريخية وحولوها الى قوانين ملزمة	٢	٣٣	٢٨.٦٩
أعراف اتفق الناس على العمل بها دون ان يعتبروها قوانين (ملزمة)	٣	٢٠	١٧.٣٩
اسباب اخرى	٤	٥	٤.٣٤

أن الجدول أعلاه هو (تسلسل مرتبي) يبين درجة اقتناع الفرد بالتعميمات الاخلاقية والقيم الاجتماعية وقد حددت الباحثة ثلاثة خيارات وتركت خيار مفتوح للمبحوثين من خلاله يعبرون عن آرائهم وبناءاً على خيراتهم جاء خيار المبحوثين لقواعد وتعليمات من الله في النصوص الدينية بالمرتبة الاولى بنسبة بلغت (٥٧٪) بينما كانتنسبة قناعة الفرد بأن التعميمات الاخلاقية والاجتماعية قواعد لتسهيل وتنظيم الحياة اكتشفها الناس عبر التجربة التاريخية وحولوها الى قوانين ملزمة (٣٣٪) ، وبنسبة (٢٠٪) جاء خيار أعراف اتفق الناس على العمل بها دون أن يعتبروها قوانين (ملزمة) ،ثم اضاف المبحوثين وبنسبة (٥٪) في الخيار المفتوح بأن التزامهم واقتناعهم بالتقاليد والاعراف الاجتماعية بسبب دورها في تنظيم الحياة عند غياب سلطة الدولة التي نعيشها حاليًا وجاء رأي آخر مفاده لا يستطيع الفرد الشذوذ عن الواقع الاجتماعي ورأي أخر يبين بأنه يلتزم بكل أنواع العرف الاجتماعي مادام موافق للدين.

يتبين من خلال ذلك أن قناعات الافراد بالتعميمات الاخلاقية والقيم الاجتماعية السائدة في المجتمع نابع من أعتقادهم بأنها قواعد أو تشريعات منزلة من الله تعالى ولذا فأنها مقدسة

ويجب الالتزام بها ، وفي مجتمعنا العراقي تشيع لدى الأفراد سنة الاتباع أو التقليد للمراجع الدينية حيث يكون الغرض من ذلك الالتزام بالتعاليم الدينية والقيم الاجتماعية التي فرضها الله تعالى وما تلك المراجع ألاً وسيلة لأيضاح الاوامر والنواهي التي يريدها الله عز وجل،فضلاً عن بعض ممن يعتبرها قواعد لتسهيل وتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية التي تحولت بمرور الزمن الى قوانين ملزمة غير قابلة للتعديل لذا فأنها تسهل الحياة وتنظمها كما أن طاعتها تكون واجب الزامي ،أما من يرى بأن القيم الاجتماعية هي أعراف اتفق الناس على العمل بها بدون أن يعتبروها قوانين ملزمة فأنهم يتبعونها بسبب اتفاق الناس عليها مع قناعاتهم التامةبأنها تتسم بالمرونة وأنها قابلة للتغيير أو التعديل وفقاًلتطورات المجتمع ، ورأي أخر يرى بأن التزامه بتلك القيم نابع من كونه لا يستطيع أن يشذ عن الواقع الاجتماعي أو يختلف عنه ومن هنانرى بأن تصورات الافراد المبحوثين وأفكارهم خاضعة للمجتمع ولقوانينه بشكل كبير فهم منساقون خلف الاتجاهات والتعميمات والاعراف التي سنت من قبل المجتمع أو من قبل الاسلاف وأي محاولة للخروج عن اعتيادية الأشياء تقابل بالنقد من المجتمع التقليدي لأن الاخير يرى بأن تلك الاعراف الاجتماعية والقيم تراث وأصالة فضلاً عن أنه يفضل ثوب الواقع الثابت وينبذ الاختلاف ولهذا يجب عدم الاتيان بالجديد ومن هذا المنطلق تكون الاعراف مدعومة بقوة التراث مما ينتج عنهاأفراداً ينساقون خلف ما هو متبع ،ومن خلال المجتمع وأعرافه نرث ما كان عليه الاباء والاجداد من الخشية للسلطة والالتزامات الدينية والتقيد بالقوانين وعدم النقد والتقبل بدون محاججة وغير ذلك وبالتالي ينتج تماثل وتشابه في الافكار والخلفيات لأن نطاق الفرد سيظل حبيساً ومحصوراً بتلك المسميات التقليدية.

جدول رقم(٢٥)

يوضح نظرة المبحوثين اتجاه ازياد سلطان(الجماعة والمجتمع)يقابله تهمش للفرد واستلاباً لفعاليته وتحطيماً لماهيته

الاجابة	التكرار	%
نعم	٨٣	٧٢.١٧
لا	٣٢	٢٧.٨٢
المجموع	١١٥	١٠٠

جدول (٢٥) يبين اعتقاد المبحوثين هل أن سلطة الجماعة والمجتمع يقابلها تهميش للفرد واستلاباً لفعاليته وتحطيماً لماهيته ،وقد جاءت أجابات المبحوثين مؤيدة لخيار التهميش للفرد بأزدياد سلطان المجتمع والجماعة بنسبة بلغت (٨٣٪) بينما جاءت وبنسبة (٣٢٪) من اجابات المبحوثين بأنهم لا يعتقدون أن ازدياد سلطان المجتمع والجماعة التقليدية يهمش الفرد.

يتضح من أجابات المبحوثين بأنهم يرون أن ازياد سلطان الجماعة والمجتمع لا يقابله بالضرورة تهميش للفرد واستلاب حريته وفعاليته وأنما يرون بأن هناك امكانية تعايش الفرد والجماعة معاً ويتحقق هذا الامر بالضرورة عند الاعتراف بمكانة الفرد وقدراته للحيلولة دون تحويله ألى كائن موضوعي تتحكم به الذوات الاخرى ،وعندما يتقرر وجود الفرد بذاته وليس من خلال الجماعة هناتكون للفرد مكانة مميزة ولا يتم استلابه وتحطيمه ،ولكن لابد من القول هنا بأن الفرد في المجتمعات التقليدية يعاني تهميشاً مطلقاً لكونه خاضع لأرادةً الجماعة وتسلطها وقوانينها فلارأي يعلو آراء الجماعة وبالتالي تكون نشأت الفرد مشبعة بالقيم الجمعية والتي لا يستطيع من خلالها أن يرى جوانبه الفردية وهذا ما يدفع نحو تغيب الوعي الفردي في ظل شيوع عقلية الجماعة أو الجموع وتسلطها أذ ترى بأن الحماية الأساسية للفرد تكمن في عزوفه عن الاعتقاد أو الخضوع لأي سلطة سوى سلطة الجماعة ولذا فالدين والعرف والتقاليد تعمل على تشكيل الفرد وبالتالي تهميشه ومنعه من أن يكون ذاته ومن أن يكون له هوية فردية خاصة.

جدول رقم(٢٦)

يوضح الوجود الاكثر تاثيراً على الفرد وطريقة عيشه في المجتمع

الفقرة	التكرار	%
الاخرين	٣٤	٢٩.٥٦
الواقع	٧٠	٦٠.٨٦
كلاهما	٦	٥.٢
لا أومن بهما	٥	٤.٣٤
المجموع	١١٥	١٠٠

جدول رقم(٢٦) يوضح الوجود الأكثر تأثيراً على الفرد وطريقة عيشه في المجتمع فنسبة كبيرة منأجابات المبحوثين رجحت الواقع وقد بلغت النسبة (٧٠٪) بينما جاءت بعضهم الى ترجيح أثر الأخرين على الفرد وطريقة حياته وكانوا (٣٤٪) فيما زاوجت بين الواقع والاخرين بنسبة

(٦٪) وترى نسبة (٥٪) من المبحوثين أنهم لا يؤمنون بأن للواقع أو الاخرين أي أثر على الفرد وطريقة عيشه في المجتمع.

يجد عدد كبير من الافراد بأن الواقع هو أكثر تأثيراً على الفرد وهو الذي يحدد طريقة العيش في المجتمع فالفرد المنتمي لجماعة أو طائفة أو زمرة ما تكون معظم قراراته معتمده على ما يفرضه الواقع أو الأخرين المنتمين معه لتلك الجماعة ولكن الفرد الغير منتمي لجهة ما والذي يتميز بالاستقلالية الفكرية لا يخضع للقوانين التي لا تنسجم مع أفكاره ويحاول أن يعيش وفقاًلقناعاته الذاتية وتصوراته الخاصة ،وهناك من أجاب بأنه لا يعترف بأن الواقع أو الاخرين مؤثرين بدرجة يتحدد من خلالها طريق الفرد أو تتم وفقهما صياغة حياته ولذا فهذا النوع من الافراد تكون لهم تصوراتهم الخاصة وأفكارهم الذاتية التي يعتمدون عليها وبواسطتها ينظمون حياتهم .

جدول رقم (٢٧)

يبين ميل وقدرة الفرد على ممارسة النقد لقوانين المجتمع وتقاليده عندما لا تنسجم مع قراراته وافكاره الذاتية

الاجابة	التكرار	%
نعم	٨٤	٧٣.٣٠
لا	٣١	٢٦.٩٥
المجموع	١١٥	١٠٠

جدول رقم(٢٧) يبين ميل وقدرة الفرد على ممارسة النقد لقوانين المجتمع وتقاليده عندما لا تكون هذه القوانين منسجمة مع قرارات الفرد الذاتية وافكاره، حيث جاءت نسبة كبيرة من أجابات المبحوثين تؤكد ممارستها للنقد بنسبة بلغت (٨٤٪) تقابلها نسبة أقل من الذين لا يمارسون النقد لقوانين المجتمع بنسبة (٣١٪) ، وقد بين بعض من المبحوثين أهم الوسائل التي يستخدمونها لنقد المجتمع وتقاليده فبعضهميرى أن ضعف تطبيق القانون واقتصاره على فئات معينة دون غيرها أي (غياب قانون المساواة) يدعو للنقد وهناك رأي آخر يؤكد على أن طريقة السلوك

الانساني المعارض لبعض الثوابت الاجتماعية ومحاولة عدم الانغماس بأفكار الجماعة واجتراح خط سلوكي فردي يعبر عن ذاته وشخصيتهأهم وسيلة أتخذها لنقد تقاليد المجتمع ،بينما يؤكد مبحوث آخر بقوله أن الحياة الحالية متشعبة ومتعبة وليست لها نهاية فحتى لو مارس الفرد النقد والتشيككبالمجتمع وأعرافه لن يجدي نفعاً ،وهناك من يرى بأن النقد يتم عن طريق عدم تقبل رأي أو فكرة مفروضة اجبارياً أو قرار يدعم طبقة معينة فمن حق الفرد أن يلجاً الىالنقد عن طريق التظاهرات والاحتجاجات المسيرية ،وقد أتخذ بممارسة النقد من عدم التقبل والنبذ وسيلة للتعبير عن رفضه لقيم المجتمع وتقاليده ،ويؤكد أخرأن بعض تقاليد وعادات المجتمع هي عادات بائسة ولا تستند الى الدين أوالقانون فلا أنصاع لها ولا أتقبلها وأنما أرفضها وأمارس التشيكك بصحتها وأجاب آخر بأن كل قانون يجب أن يقابل بالنقد والتشيكك من أجل التأكد من صحته وهذا التشيكك يجب أن يكون نابعاً من وعي معرفي مؤكداً بالنهاية على أن القوانين والتقاليد دائما ما يكون لها جانب سلبي وايجابي .

أن ممارسة التشكيك والنقد في مجتمع تقليدي يقابل بالنقد لأن طبيعة المجتمعات التقليدية تسير وفقاًلقوانين موروثة معروفة من قبل الآباء والآجداد ، واذا ما أردنا وصف حالة الفرد العراقي قبل سقوط النظام الدكتاتوري نجد بأنه خاضع غير قادر على أبداء أي رأي أو ممارسة تشكيك في قانون معين أو قرار ما بسبب السلطة السياسية الدكتاتورية التي كانت تحتم الخضوع وبشكل مطلق فقد عانى الفرد العراقي الكثير من الضغوطات النفسية والاجتماعية ولكن بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣ اصبح للفرد امكانية التعبير عن آرائه فأخذ ينتقد السلطة السياسية ويمارس تشكيك في قوانينها وآرائها وانتقادها بطرق معينة ،فضلاً عن ذلك وجدنا من يرى بأن هناك قوانين أو تقاليد في المجتمع قد لا تنسجم مع تغيرات الحياة الجديدة أو ما تتطلبه تلك الحياة لذا فيفضل الاخذ بطرق جديدة يراها مناسبة له كما أكد أحد المبحوثين بأن عدم الانغماس في الثوابت الاجتماعية التي يدعو اليها المجتمع ويحتمها على الفرد يعتبر نوع من التشيكك الفردي للمجتمع لذا أعبر من خلال ذلك عن تصوراتي الخاصة وبنفس الوقت أنتقد بها المجتمع.

جدول رقم(٢٨)

يبين الاليات التي يعتمدها الفرد في نقده للمجتمع

الفقرة	التسلسل المرتبي	التكرار	%
الافكار	**١**	**٤٩**	**٤٥.٦٠**
وسائل التواصل الاجتماعي	**٢**	**٣٣**	**٢٨.٦٩**

مظاهر الاحتجاج الشعبي (مظاهرات ..الخ)	**٣**	**٢٣**	**٢٠**
الانعزال(الهروب والاستسلام)	**٤**	**٥**	**٤.٣٤**
استخدام القوة(العنف)	**٥**	**٤**	**٣.٤٧**
المقاطعة	**٦**	**١**	**٠.٨٦**

جدول (٢٨) هو (تسلسل مرتبي) يبين أهم الآليات التي يعتمدها الفرد في نقده للمجتمع ، وضعت الباحثة ست آليات في ممارسة النقد وتبين من أجابات المبحوثين بأن ممارسة النقد تتم بواسطة الأفكار جاء بالمرتبة الأولى بنسبة بلغت (٤٩٪) ثم تلاها بالمرتبة الثانية و بنسبة (٣٣٪) لوسائل التواصل الاجتماعي ،ثم بالمرتبة الثالثة مظاهر الاحتجاج الشعبي المتمثلة بالمظاهرات بنسبة (٢٣٪) ثم جاء بالمرتبة الرابعةالانعزال (الهروب والاستسلام) بنسبة (٥٪) ،ثم تلاها خياراستخدام القوة(العنف)بنسبة (٤٪) ، اما بالمرتبة السادسةفكانت لخيار المقاطعة وبنسبة (١٪) فقط من اجابات المبحوثين.

أن أنتشار آليات النقد أو مصادر النقد في المجتمع ترجع لتطور المجتمع نفسه ونتيجة للدخول أل عالم التكنولوجيا والتطور اصبح لبعض الافراد وسيلة يستخدمونها في نقد البنية المجتمعية حيث أكدت نسبة كبيرة من الاجابات التي اعتمدها المبحوثين على أنهم يعتمدون على أفكارهم الذاتية للنقد فتطور الوعي الثقافي لدى بعضهممكنهم من تحليل الامور والنظرأليها من جانب مختلف وأخذوا يفسرون ويحللون القوانين وفقاًلتفكيرهم ومعرفتهم العلمية ووعيهم الثقافي لذا فالبعض يحاجج والاخر ينتقد مما يوسع مجال التبادل بالأفكار ،وكذلك مع وسائل التواصل الاجتماعي التي اجتاحت المجتمع بصورة واسعة وبات الكثير يعتمدونعليها لأيصالأفكارهمأو انتقاداتهم لمسؤول معين أو جهة معينة في احدى المجالات الحكومية وهذا ما نجده شائع في وقتنا الحاضر فالكثير من الافراد ينزل ما يسمى (منشور) أو (مقطع فيديو)عبر وسائل التواصل الاجتماعي(الفيس بوك،تويتر،وغيرها) يعبر فيه عن رأيه أزاء أوضاع المجتمع أو ينتقد مسؤول أو وزير أو غير ذلك، ولهذا وفرت وسائل التواصل الاجتماعيللفرد فرصة ممارسة دوراً أجتماعياً يشكل جانب من جوانب الثقافة العامة ،وهناك من يتخذ من المظاهرات الشعبية والمسيرات الاحتجاجية وسيلة للتعبير عن رأيه وانتقاده فقد شهد الشارع العراقي مسيرات شعبية ضخمة أحتجاجاًعلىأوضاع المجتمع الاقتصادية والاجتماعية ولتردي الاوضاع العامة وانعدام

الآمن في البلاد، ويعتبر الفساد الأداري واحداً منالأسباب الرئيسية لهذه الاحتجاجات،فقد طالب المحتجون من خلالهابضرورة تحسين الأوضاع الاقتصادية وتغيير بعض الشخصيات الحكومية ممن طالتهم تهم الفساد ،أما القسم الأخر من الاجابات فقد فضل أن ينعزل ولا ينتقد لأن المجتمع لا يلبي المطالب الأساسية وأصوات الأفراد غير مسموعة وطلباته غير مستجابهلذلك فضل الانعزال لأنه الطريقة المناسبة لضمان راحته في ضل مجتمع وواقع تسوده الفوضى السياسية والفساد الأجتماعي، في حين رأى بعض الأفراد أنه يفضل استخدام القوة(العنف) لنقد بنية المجتمع ومجابهة قوانينه.

جدول رقم(٢٩)

يبين اراء المبحوثين من وجود الجماعة

الفقرة	التكرار	%
وجوداً زائلاً	٩	٧.٨٢
وجوداً ابدياً	٣٢	٢٧.٨٢
مرهون بظروف محددة	٧٠	٦٠.٨٦
اعتقاد اخر	٤	٣.٦٣
المجموع	١١٥	١٠٠

جدول (٢٩) يوضح آراء المبحوثين من وجود الجماعة وبناءاً على آرائهم وجدنا بأن نسبة كبيرة من المبحوثين بلغت (٧٠٪) يرون أن وجود الجماعة مرهون بظروف محددة وبنسبة (٣٢٪) يرون بأن هذا الوجود أبدياً ،ثم تلاه خيار وجوداً زائلاً بنسبة (٩٪) ، وتركت الباحثة الخيار الأخير مفتوح للمبحوث والذي جاء بنسبة (٤٪)أذأجاب بعض المبحوثين بأن وجود الجماعة مرهون بتوجيهات دولية واقليمية ومصداق ذلك ما حصل في العراق وسوريا واليمن والبحرين .

تبين البيانات أعلاه من أجابات المبحوثين بأنهم يرون وجود الجماعة مرهون بظروف معينة فقد تكون هذه الظروف اجتماعية أو اقتصادية فأتجاه المجتمع نحو الاستقلالية من شأنه أن يقلص وجود الجماعة لا سيما الازدهار الاقتصادي والتصنيع والامكانات المادية الكبيرة تجعل من الافراد يتميزون بالاستقلالية وتنمو لدى الفرد نزعات تفضل استقلاليته عن أي جماعة اجتماعية أو زمرة ينتمي أليها ،كما أن ضعف النظام القرابي وقلةأهميته وتعقد المجتمع وتقسيم العمل يساهم بتقلص وجود الجماعة ويجعلها رهينة بتلك الظروف الاجتماعية ، وهناك نسبة (٣٢٪) ممن يرى بأن وجود الجماعة أبدي غير خاضع لظروف أو عوامل اقتصادية أو اجتماعية

أو ثقافية ويرى بأن وجود المجتمع يتحقق من خلال جماعاته الاجتماعية ،فيما أعتقد بعضهمبعكس ذلك تماماً أذ يرى بأن الجماعة زائلة نظراً لأن المجتمع أخذاً بالتوسع والتطور ولذا فوجود الجماعة بات غير ضروري نتيجة تحرر الفرد من بعض سلطة تلك المسميات سواء كانت الدولة أو العشيرة.

جدول رقم (٣٠)

يوضح اعتقاد او عدم اعتقاد الافراد بتوفر نظام العدالة (الاجتماعية) في مجتمعنا العراقي المعاصر

الاجابة	التكرار	%
اعتقد	١٩	١٦.٥٢
لا اعتقد	٩٢	٨٠
رأي اخر	٤	٣.٤٧
المجموع	١١٥	١٠٠

توضح بيانات الجدول أعلاه اعتقاد الافراد أو عدم اعتقادهم بتوفر نظام العدالة الاجتماعية في مجتمعنا العراقي المعاصر حيث اجاب المبحوثين وبنسبة كبيرة بلغت (٩٢٪) على خيار عدم الاعتقاد بتوفر نظام العدالة الاجتماعية في مجتمعنا العراقي ،يقابلها وبنسبة أقل بكثير ممن يرون بأن العدالة الاجتماعية موجودة في مجتمعنا العراقي بنسبة(١٩٪) ثم تركت الباحثة الخيار مفتوح ممن لديه أعتقاد أخر يريد طرحة أحد أفراد العينةوقدأجاب بعضهم بأن نظام العدالة الاجتماعية لا يتوفر لجملة أسباب منها سوء القوانين وشيوع الفساد مستدلاً على صحة ما يذهب أليهبالفرق بين محاكمة الوزير ومحاكمة الفقير.

أجابات المبحوثين بينتأرائهم حول نظام العدالة الاجتماعية في مجتمعنا العراقي المعاصر وقد وجدناأن نسبة كبيرة من الافراد لا يعتقدون بتوفر نظام العدالة الاجتماعية مُعللين ذلك بأسباب مختلفة منها تردى أوضاع المجتمع العامة وشيوع الفساد في أنظمة الحكم وانتشار الجرائم والقتل واستلاب الحقوق والكرامات وانتشار الفقر بشكل كبير وعدم المساواة وسوء تطبيق القانون وضمان مصالح الافراد الذين يتولون المراكز القيادية في الدولة أو المؤسسات الاجتماعية على حساب مصالح الافراد الأخرين وأنتشار البطالة والتسول وتقلص فرص العمل وتردي الخدمات العامة وغيرها من الأمور ألتي كانت السبب الذي دفع المبحوثين لأعتقاد ذلك.

أما من يرى بأن العدالة متوفرة في مجتمعنا فجأت نسبتهم قليلة بالمقارنة بمن لا يعتقد وربماترجع أرائهم هذه لأسباب شخصية متعلقة بالشخص نفسه فقد تكون نفسية أو اجتماعية أو غير ذلك.

جدول رقم(٣١)

يبين رأي كل من المرأة والرجل لبعضهما

الفقرة	التكرار	%
شريك	٦١	٥٣.٠٤
زوجة	١٨	١٥.٦٥
غواية شر لابد منه	٩	٧.٨٢
ام، اخت، بنت	٢٧	٢٣.٤٧
المجموع	١١٥	١٠٠

جدول (٣١) يبين رأي كل من المرأة والرجل لبعضهما حيث جاءت اجابات المبحوثين وبنسبة كبيرة لخيار الشريك بنسبة بلغت (٦١٪) ثم تلاها خيار الام والاخت والبنت بنسبة (٢٧٪) بالمقابل خيار زوجة جاء بنسبة (١٨٪) من أجابات المبحوثين ثم خيار غواية شر لابد منه جاء بنسبة قليلة بلغت (٩٪) فقط .

النسبة الكبيرة من اجابات المبحوثين رأت بأن خيار شريك هو ما يمكن أن يطلقه على زوجته حيث تقتضي الشراكة المشاركة في الرأي والتعاون وتحمل المسؤولية يقع على عاتق الطرفين وليس طرف واحد فحسب ،وما تجدر الاشارة اليه هنا بأن المرأة في المجتمعات التقليدية قد واجهت اضطهاداً من جانب الرجل ومن المجتمع أيضاً فأحدى الخصائصالثقافية في المجتمع العراقي هو تفضيل الذكور على الأناث وطغيان الصورة الذكورية أو الهيمنة الذكورية يقابلها النظرة الدونيةللمرأةفقد كانت المرأة محرومة من التعليم أو مزاولة العمل ولذا فأنها كانت تعتبر مجرد زوجة وظيفتها أنجاب الاولاد وتربيتهم والعمل داخل البيت بالمقابل كان الرجل يتمتع بقدر كبير من الاستقلالية وله الحق في التعلم أو الذهاب ألى العمل وهوالأمر الناهي وما على المرأة ألاَ الطاعة كما كانت الفتاة تجبر على الزواج من ابن عمها واذا ما خطبت المرأة لشخص ليس من اقاربها يستشار بذلك أبناء العم أذ ما كانأحدهم راغباً بها، ولكن ما شهده المجتمع من تطورات وتغيراتمست بنية المجتمع بأكمله وتبدل بعض الانماط التقليدية فضلاً عن التعقيد وتقسيم العمل وظهور أنظمة جديدة وتناقص الاتجاهات التقليدية المتخلفة كل هذه الامور مجتمعة غيرت من مكانة المرأة وتغيرت بالتالي نظرة المجتمع لها وأخذت المرأة تمارس دورها في المجتمع ونالت فرصتها في التعليم ودخلت سوق العمل وبالتالي أصبح لها ادوار اجتماعية متعددة كالأم والموظفة

والمعلمة والعاملة ..الخ ،كماأصبحت الفتاة لا تجبر على الزواج وقد تمتعتبحرية التعبير عن رأيها و رفض أي شخص يتقدم لخطبتها اذا كانت هي غير راغبة به ،وقد أشار بعض المبحوثين بأن المرأة تمثل لهم الأخت والبنت والأم فهي الاخت أو الام التي يجب احترامها وتقديس منزلتها ،وهناك من يعتبر بأن شريك الحياة هو بمثابة غواية أو شر لابد منه وذلك قد يرجع لأسباب معينة فقد يرى الرجل بأن المرأة أصبحت تسلب حريته وتقيده وبالتالي لا يعود قادراً على ممارسة حياته بشكل طبيعي من جانبه ترى المرأة أيضاً بأن الرجل يسلب حريتها ويقيدها ويفرض عليها أوامر ونواهي فضلاً عن تحمل المسؤولية ورعاية البيت والاطفال لذا فالرجل بمثابة شر بالنسبة لها لأنه يحملها أعباء وطاقات قد لا تتناسب معها.

جدول رقم(٣٢)

يبين رأي المبحوثين ونظرتهم للزواج

الفقرة	التكرار	%
اكمال نصف الدين	٣٨	٣٤
مسؤوليات كبيرة ومشروع سالب للحرية	١٦	١٣
سنة حياة الانسان في هذه الحياة	١٦	١٣
استقرار اجتماعي وروحي	٤٥	٤٠
المجموع	١١٥	١٠٠

الجدول أعلاه يبين رأي المبحوثين ونظرتهم للزواج حيث حددت الباحثة أربعة خيارات وبناءاَ على خيارات المبحوثين جاء خيار استقرار اجتماعي وروحي بالمرتبة الأولى بنسبة كبيرة بلغت (٤٥٪) ثم تلاها خيار أكمال نصف الدين بنسبة (٣٨٪) وبالمقابل كانت أجابات المبحوثين لخيار مسؤوليات كبيرة ومشروع سالب للحرية وخيار سنة حياة الانسان في هذه الدنيا في المرتبة الثالثة والرابعة بنسبة (١٦٪) لكل واحد منهما .

أن النسبة العالية من اجابات المبحوثين جاءت توكد أن الزواج هو استقرار اجتماعي وروحي فبواسطته تنتظم حياة الفرد وتستقر فهو ليس مشروع سالب للحرية وأنما هو استقرار اجتماعي قائم على المودة والحب ،فضلاً عن أن هناك منأجاب بأنه أكمال نصف الدين أستناداً لما جاء به القران الكريم من آيات تؤكد وتدل على الزواج " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة أنَ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"(سورة الروم/الأية ٢١) فضلاً عما ورود منأحاديث نبوية تؤكد على الموضوع ذاته حيث بين الرسول محمد (ص) في حديث له عن أهمية الزواج واعتباره اكمال نصف الدين بقوله(من تزوج احرز نصف دينه فليتق

الله في النصف الاخر) ولذا نظرة الناس للزواج مستمدة من الدين نفسه،وبما أن مجتمعنا العراقي هو مجتمع مسلم لذا يعد كل من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بمثابة مرجع واجب الرجوع أليه وأوامر الله و الرسول(ص) هي توجهات ويجب أتباعها، فضلاً عن أن المراجع الدينية تشدد على هذا الأمر ايضاً وتدعو الى الزواج باعتباره واجب ديني ويجب على الفرد تنفيذه ،أما الخيارين الاخرين جاءا وبنسب متشابهة أذ يرى مجموعة من الأفراد بأن الزواج هو مسؤوليات كبيرة ومشروع سالب للحرية حيث أن الالتزامات التي يفرضها الزواج تحد من حرية الافراد فضلا عن المسؤوليات الكبيرة المتعلقة به من رعاية وتربية وتنشئة اجتماعية وغير ذلك من الامور كلها تجعل من الفرد متحمل مسؤوليات وأعباء تحد من حريته أما بكونه سنة من سنن الحياة حيث يرى البعض بأن الزواج هو سنة من سنن الحياة المفروضة فهو كواحدة من الاساسيات الموجودة والمفروضة في الحياة .

جدول رقم(٣٣)

يبين المحدد الاساسي من وجود الانسان في المجتمع العراقي

الفقرة	التكرار	%
خضوعه الكلي للتقاليد والعادات	٤٠	٣٤.٧٨
من خلال وجوده ككائن قادر على تشكيل مصيره	٣٥	٣٠.٤٣
المصادفات تتحكم بنسبة كبيرة في تحديد وجود الانسان	١٩	١٦.٥٢
ليس هنالك موقف واضح من ذلك	٢١	١٨.٢٦
المجموع	١١٥	١٠٠

الجدول أعلاه يبين المحدد الاساسي الذي يعتبره الفرد الاساس من وجوده في المجتمع العراقي ،أذ كانت أعلى نسبة أكد عليها المبحوثين تتمثل بخضوع الفرد الكلي للتقاليد والعادات بنسبة (٤٠٪)من المبحوثين ،بينما وبنسبة متقاربة تمثلت بـ (٣٥٪) ممن أكد على أن المحدد الاساسي هو الوجود ككائن قادر على تشكيل مصيره ، ثم تلاها خيار بأن ليس هنالك موقف واضح من ذلك بنسبة (٢١٪) ،ثم المصادفات تتحكم بنسبة كبيرة في تحديد وجود الانسان بنسبة (١٩٪)فقط.

بما أن طبيعة نظام مجتمعنا العراقي هو مجتمع قائم على التقليد والاتباع تعتقد نسبة كبيرة من الافراد المبحوثين بأن وجود الانسان العراقي يتحدد من خلال خضوعه للتقاليد والعادات والاعراف الاجتماعية فقد كان الفرد مسير من قبل جماعته التقليدية أو عشيرته التي تدعوه للتمسك بقيم وعادات اجتماعية وتحتم عليه طاعتها وبالتالي وجوده الاساس يتحدد من خلال طاعته تلك للأوامر والنواهي ولكونه جزء من جماعة اجتماعية أو كيان أكبر منه وأن أي خروج للفرد على تلك التقاليد يدان عليه ويتهم به، فالفرد الخاضع كلياً للتقاليد والاعراف نموذج للفرد المهمش، و مكانتهأو قيمتهليست ذاتيةبل أجتماعية ضمن جماعته أو عشيرته المنتمي اليها،أما وجوده فهو زائف طالما انه يعيش وفق دوامة رتيبة من القوانين والاحكام التي تحيله الى الة وتتحكم بوجوده ،لذا الائتلاف مع السياق الموضوعي والوعي الجماعي الحشدي هو غاية الجماعات التقليدية أما الفرادة فتحسب على أنها تحدي أو مواجهة تضر بمصالح وامكانات الجماعة التقليدية ، أما المجموع الأخر من المبحوثين فقد أكدوا على أن وجود الانسان متحدد من خلال قدرته على تشكيل مصيره وهذا يقتضي الاعتراف بإمكانات الفرد ،فضلا عن الفرد القادر على تشكيل مصيره تتوفر لديه قوة متمثلة بكسر حواجز القوانين المقيدة غير محدد بالإمكانات وغير مقيد بالمثالية وغير محاصر بالمقاييس التي يفرضها المجتمع ،فالفرد الغير قابع للاعتباطيات المجتمعية والمتمسك بفكره حرية الأرادة ورفض كل ما من شأنه أن يعيق تصوراته وأفكاره كل هذه الامور مجتمعه تجعل منه شخص قادر على تشكيل مصيره وبالتالي متحكم بوجوده ،وهناك من يرى بأن المصادفات تتحكم بنسبة كبيرة في تحديد وجود الانسان فأحياناً الصدف قادرة على قلب موازين الاشياء وتغيير الأفكار المخطط لها، والانسان معرض في حياته للكثير من الصدف القادرة على تغير مصيره خصوصاً في ظل التقلبات التي يتعرض لها مجتمعنا العراقي وعدم استقراره سواء ما يتعلق بأوضاعه الاجتماعية أو الاقتصادية أو وضعه الامني العام .

جدول رقم(٣٤)

يوضح اعتقاد المبحوثين بشأن ازدياد سلطان (الدولة والمؤسسات) مقابل تهميش الفرد واستلابه وتحطيم ماهيته

الاجابة	التكرار	%
نعم	٧٠	٦٠.٨٦
لا	٤٥	٣٩.١٣

المجموع	١١٥	١٠٠

بيانات الجدول أعلاه تبين اعتقاد المبحوثين بشأن ازياد سلطان (الدولة والمؤسسات) هل يقابله تهميش للفرد واستلاب وتحطيم لماهيته ،جاءتأجابات المبحوثين مُؤكدة وبنسبة بلغت(٧٠٪)بأزياد السلطان والقوة للدولة والمؤسسات على حساب الفرد، بينما كانت نسبة من يرون بأن ازدياد سلطان الدولة لا يرافقه تقليل وتهميش مكانة الفرد بـ (٤٥٪).

أن اجابات المبحوثين التي تؤكد على أن ازدياد سلطان (الدولة والمؤسسات) يقابله تهميش للفرد واستلاب لحريته وتحطيم لماهيته جاءت بنسبة كبيرة متمثلة بـ (٧٠٪) وهذا يعود الى جملة اسباب اعتمدها الفرد في تحليله واجاباته ومنها ما يصدر عن واقع المجتمع العراقي الذي يهمش فيه الفرد وتضيع حقوقه الاساسية فالمشهد السياسي السائدفي الساحة العراقية قائم علىتحقيق مصالحفئات مجتمعية دون غيرها فأصحاب المصالح العليا والطبقات البرجوازية تكون مصالحهم مدعومة من قبل الدولة أما الفئات الأخرى فمهمشة وتعاني من استلاب الحقوق وهذا يبرز ضعف أو انعدام مفهوم العدالة الاجتماعية والمساواة أمام القانون لذا ما نريد تأكيده هنا بأن قوة الدولة متمثلة بقوانينها المجحفة بحق الفرد واهدار كرامته على حساب مصالحها الخاصة ومصالح بعض الفئات البرجوازية التي تكون متساهلة معها وبدرجة كبيرة نظراً للمصالح المشتركة بين الطرفين ،وكذلك تُعدً الدولة خطراً على الفرد عندما تطلب منه الخضوع التام والمطلق لها لأنها تحيله بالنهاية ألى عبد لها مختزلة جميع امكاناته وطاقاته الفردية فكل فكر يدعو للخضوع للدولة هو فكر تسلطي يهدف ألى ألغاء الفردية ، بينما سيادة مفهوم الدولة الديمقراطية التي تحترم جميع الفئات وسيادة نوع من العدالة الاجتماعية يجعل الكل تحت قانون واحد وهو ما يحفظ مكانة الفرد ويصون كرامته .

جدول رقم (٣٥)

يبين موقف المبحوثين حول كون ظاهرة الفردانية في ازهار أو ضمور خلال فترة التحول ٢٠٠٣ وما بعدها

الاجابة	التكرار	%
نعم	٦٢	٥٣.٩١
لا	٥٣	٤٦.٠٨
المجموع	١١٥	١٠٠

يوضح الجدول أعلاه موقف عينة الدراسةأزاء ظاهرة الفردانية وهل شهدت أزدهار أم ضموراً خلال فترة التحول عام(٢٠٠٣) وما بعدها حيث رأى الكثير من المبحوثين بأن الفردانية شهدت فترة ازدهار وقد بلغت نسبتهم (٦٢٪) ، بالمقابل كانت نسبة من يرى منهم بأن الفردانية في ضمور(٥٣٪) ، وقد عزز بعض من المبحوثين اجاباتهم بأسبابفمن أكد على أن الفردانية في ازدهار ركزعلى طبيعة الوضع الحالي وما شهده من انفتاح على العالم جعل المجتمع في مرحلة تسود فيها الفردانية وأخر أكد على أن التغير في أبنية المجتمع وأنظمته قد اتاح الفرصة للفرد للتعبير والعيش بحرية بينما رأى اخر بأن سبب ازدهار الفردانية يرجع للتطورات والتغيرات التي أصابت الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها من العوامل ،فالفرد العراقي أصبح على معرفة بما يريد فضلاً عما مثله زوال النظام الاستبدادي الذي كان سبباً رئيساً لازدهار الفردانية في العراقوالتي من خلالها أصبح الفرد يتمتع بالحرية الشخصية ،أما الجانب الأخر من الاجابات الذي أكد على أن الفردانية في ضمور خلال فترة التحول (٢٠٠٣) مرجعين ذلك الى أسباب منها تعدد الكتل وبالتالي فرضها لقرارات تحتم على الفرد الانصياع والطاعة وعلى هذا الاساس تنعدم الفردانية ورأي آخر وضح بأن الفلسفة السياسية ترفض تنامي جوانب الفردانية واعطاء الفرد الحرية فضلاً عن ذلك لم تتحقق تطورات تضمن نجاح الفردانية بسبب عدم وجود الوعي الثقافي الكافي واسباب اخرى منها مايرجع للمجتمع نفسه منها الثقافة العامة للمجتمع التي تحتم الانقياد للتقاليد والاعراف فضلاًعن القيود المفروضة من قبل انظمة المجتمع ومنها نظام التعليم الذي يحتم على الفرد الطاعة والالتزام بالأوامر والنواهي ولا يتيح الفرصة للإبداء عن الآراء والافكار واعطاء الحرية الكافية للتعبير ،وهناك من يرى بأن المجتمع العراقي هو مجتمع عشائري لا يمكن أن تكون الفردانية شائعه فيه لأنه لا يؤمن بها وانما يؤمن بالجماعية وليس الفردية ،فيما أكد مبحوث أخر بأن أحد أسباب ضمور الفردانية في المجتمع العراقي يتمثل بازدياد الوعي الجمعي الخاضع لروح التحزبية والعشائرية.

ونستنتج مما سبق بأن اجابات المبحوثين المؤكدة على أن الفردانية مزدهرة في مجتمعنا خصوصاً بعد فترة التحول عام(٢٠٠٣) قد ترجعألى عدة أسباب منها انفتاح المجتمع وتطوره وتغير البنية الداخلية له لا سيما وأن المجتمع العراقي بعد هذا التاريخ شهد عمليات تغير كبيرة ومنها استحداث المظاهر والتغيرات التي مست الجوانب الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وضعف التفاعل ما بين الانساق القرابية واعتماد المصالح الشخصية فضلاً عن الانفتاح والتفاعل الاجتماعي

عبر الوسائل المختلفة التي اتاحت للفرد تنمية عقله وحرية التعبير عن رأيه كل هذه الامور أسهمت في جعل المجتمع يعيش في حالة فردانية ،ولكن كل التغيرات التي رافقت المجتمع وابنيته المختلفة وقوانينه لا يمكن القول عنها بأنها غيرت من البنية العقلية للفرد بطريقة تمكنه من العيش وفقاًلأسساً ذاتية لأن مظاهر الحداثة التي دخلت في مجتمعنا هي نتيجة صدفة وليس كعملية تحول وتخطيط متبع ومنتظم فضلا عن أن التغيرات التي مسته اقتصرت على الجوانب المادية حيث لم تبلغ مجتمعاتنا درجة اعطاء الحرية والاستقلالية للأفراد بدرجة تسمح لهم التعبير عن امكاناتهم و ذواتهم الفردية،حيث أن الافراد في أي مجتمع يمكنهم أن يؤثروا على مصير المجتمع ويمكن أن يكون اثرهم ملحوظاً ألاّأن امكان حدوث هذا التأثير أو التغيير وأتساعه أو مداه محدودان بتنظيم المجتمع وبمقدار ما تسمح به العلاقات الاجتماعية وكذلك بتنظيم قوى الانتاج حسب قول(بليخانوف) الذي أكد هذا الرأي ،فضلاً عن أن ممارساتنا اليومية ظلت مؤطرة بما تقتضيه الجماعة أو تؤيده ، وهناك رأي أخر من الأفراد رأى بأن المجتمع غير مقبل على الفردانية نتيجة ثقافة المجتمع العامة التي لا تزال تسير وفق التقاليد وتنقاد لها وهذا ما وضحناه فيما سبق.

جدول رقم(٣٦)

يبين موقف المبحوثين بما حدث في ٩ نيسان ٢٠٠٣

الفقرة	التكرار	%
تحرير	١٢	٨
احتلال	٣١	٢٨
فوضى	٣٣	٢٩
سقوط نظام	٣٩	٣٥
المجموع	١١٥	١٠٠

يبين الجدول (٣٦) موقف المبحوثين بما حدث في٩ نيسان ٢٠٠٣، وبناءاً على أراء المبحوثين جاء خيار سقوط النظام بالمرتبة الأولى بنسبة بلغت(٣٩٪) ثم تلاها بالمرتبة الثانية لخيار فوضى بنسبة (٣٣٪) بينما خيار احتلال جاء بنسبة (٣١٪) ويليها خيار تحرير بنسبة (١٢٪) فقط.

اختلفت أجابات المبحوثين ومواقفهم حول ما حدث في ٩ نيسان (٢٠٠٣) أذأكدت نسبة كبيرة منهم بأن ما حدث هو سقوط نظام ولكن أذا ماأردنا أن نناقش ذلك هل فعلا كان هناك نظام لكي يسقط وأي نظام يمكن أن نسميه هل هو نظام اجتماعي أو اقتصادي أو نظام عدالة ،

فأبرز ما عاشه مجتمعنا العراقي قبل ٩ نيسان هو التسلط والخضوع فالفرد كان خاضع تماماً لقهر النظام السياسي وفوضاه الاقتصادية كما أن حق الفرد في العيش كان مهدداً بأقل خطأً ممكن أن يفعله ،في حين يرى القسم الآخر من العينة بأن ما حدث كان فوضى وهو نتيجة لما حدث في المجتمع من انحلال اخلاقي وفساد أنظمة الحكم وأنعدام المؤسسات الثقافية والتنظيمية فضلاً عن الصراع الذي يعيشه المجتمع مع الارهاب وأنتشار الكثير من المنظمات تحت مسميات وانتماءات دينية أو سياسية أخذت تنادي بشعارات لا تهدف ألاّ لتحقيق مصالحها الخاصة هذا ألى جانب شيوع الاحزاب التي سعت لفرض أيديولوجياتها بكل الوسائل كل تلك الاسباب مجتمعة أدت الى نشوء فوضى عارمة في مختلف القطاعات السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، أما تسمية الاحتلال فقد أكد عليها بعض الافراد لأنهم وجدوا أن السلطات المحتلة أخذت تفرض سلطتها وأمكاناتها وتستولى على مجمل جوانب المجتمع دون تأسيس لدولة أو لقوانين تنظم البلد بدون تدخلهم لذا فالاحتلال فرض سلطته على كافة مناحي الحياة ، بينما من رأى بأن ما حدث بعد(٢٠٠٣) هو تحرير نتيجة لشعور الأفراد بأنهم قد تحرروا من نظام استبدادي دكتاتوري كان يمارس شتى أنواع العنف والقسوة ضدهم وبالتالي أصبح الأفراد بعد ٢٠٠٣ قادرين على العيش وفقاًلواقع أكثر حرية مما كان شائعاً.

جدول رقم(٣٧)

يبين رأي المبحوثين بوجود الدولة

الفقرة	التكرار	%
وجوداً زائلا	٤٤	٣٨.٢٦
مرهون بشروط وظروف محددة	١٩	١٦.٥٢
وجوداً ابدياً	٥٢	٤٥.٥١
المجموع	١١٥	١٠٠

بيانات الجدول أعلاه تبين رأي المبحوثين بوجود الدولة أذ ترى نسبة (٥٢٪) من الافراد المبحوثين أن وجود الدولة أبدياً ،وبالمقابل هناك من يرى بأن وجود الدولة زائلاً وبنسبة بلغت (٤٤٪) بينما بلغت نسبة من يعتقدأن وجود الدولة مرهون بشروط وظروف محددة (١٩٪) .

لقد بلغت نسبة الافراد الذين يرون بأن الدولة ذات وجود ابدي أعلى نسبة من باقي الخيارات الأخرى نظراً لأنهم يعتقدون أن وجود المجتمع لا يتحقق بدون وجود دولة راعية فالأفراد بحاجة لها طالما أنها تنظم حياتهم وفقاًلقوانين معينة، كما لا يمكن تصور مجتمع خالي

من المؤسسات والمنظمات التي تعتمدها الدولة لأن الفوضى ستعم من دونها فضلاً عن أنها أهم مؤسسات المجتمع لكونها من يقر الصلاحيات ويشرع القوانين وتستند اليها كافة السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية لذا فوجودها دائم طالما أن الأفراد بحاجة لها، أما الخيار الآخر فأكد عليه (٤٤٪) من المبحوثين بكون وجود الدولة وجوداً زائلاً وقد استندوا في رؤيتهم هذه ألى واقع الدولة الموجود في مجتمعنا المعاصر أي طالما كان الفساد وسوء التنظيم قائم لذا فأنها سوف تزول بفعل التطورات التي ينتج عنها تقدم العالم، أما بكونها مرهونة بظروف أو شروط أخرى فقد يكون وكما وضحنا في سؤال (٢٩) بسبب التأثر بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وشيوع الاستقلالية الفكرية وأزدياد الوعي الثقافي وهو ما يكون من شأنه أن يجعل الدولة مرهونة بتلك الشروط.

جدول رقم(٣٨)

يبين تصور المبحوثين فيما أذا كانوا قادرين على العيش في عالم او مجتمع يقوم بدون الحاجة لوجود دولة أو سلطة من اي نوع ذا بعد سياسي

الاجابة	التكرار	%
نعم	٢٤	٢٠.٨٦
لا	٩١	٧٩.١٣
المجموع	١١٥	١٠٠

الجدول رقم (٣٨) يبين تصور المبحوثين فيما اذا كانوا قادرين على العيش في عالم أو مجتمع بدون وجود نظام أو سلطة تتأخذ شكل سياسي،وكانت نسبة (٩١٪) من المبحوثين يرى بأن المجتمع لا يمكن أن يقوم بدون وجود سلطة ذا بعد سياسي نظراً لان المجتمع قائم على اساس الدولة بينما رأى اخرون بأن المجتمع يمكن أن يقوم بدون وجود الدولة أو السلطة السياسية وكانت نسبتهم (٢٤٪) فقط ، وهم في أعتقادهم هذا بعدم أمكانية استمرار الدولة أو السلطة السياسية ينطلقون من استحالة وجود مجتمع متحضر أو يدعي المدنية في ظل غياب النظام المؤسساتي ذي البعد السياسي لأن المجتمع بحاجة الى من يقوده ويوجه مسيرته نحو التقدم فلابدمن وجود قوانين لاتباعها كي لا تعم الفوضى وهناك من يرى بأن المجتمع لا يمكن أن يقوم ألاّ بوجود الدولة لأنها ضرورية لاستمرار النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

وبذلك فالدولة مسؤولة عن تنظيم المجتمع وتقدمه فضلاً عما لها من دور كبير في النهوض الحضاري فالدولة كبناء سياسي تنظم العلاقات بين الافراد وبين المؤسسات ، فالمجتمع بدون دولة يتسم بحالة فوضى وعدم استقرار لأنها كيان حافظ للحريات وللحقوق ،حيث صور (توماس هوبز TH.HOBBESوجون لوك J.LOCKE)في كتابهما (الليفيثيان) أهمية الدولة في المجتمع من خلال العقد الاجتماعي (Social Contract) الذي بموجبه يحل النظام والاستقرار مقابل طاعة الافراد لهذا العقد عبر التنازل عن بعض حرياتهم لسيادة كيان أكبر منهم يتمثل بحفظ النظام ويضمن العدالة وعدم شيوع الحرب أي حرب (الأخر للأخر).

وعلى هذا الاساس فأن وجود الدولة حاجة ضرورية ولازمة لكونها تحقق الغايات الكبيرة ولذا لا بد من قبول وجود الدولة منعاً للفوضى لكونها ضامنة للحقوق الأساسية للأفراد ،فضلاً عن أن ميل الانسان الى الشر يجعل من سلطة الدولة ضرورية لمنع الفوضى وتطبيق القانون ،ولكن بشرط أن لا يطغىوجود الدولة وسلطانها على الروح الانسانية وأن لاتعترض التقدم الحر للشخصية الانسانية فوظيفتها الأساسية هي حفظ النظام وضمان حرية التقدم والقضاء على عوامل الفوضى و الاضطراب .

جدول رقم (٣٩)

يبين رؤية المبحوثين بصورة الفرد العراقي التي اصبح عليها بعد ٩ نيسان ٢٠٠٣

الفقرة	التكرار	%
تابع ومقلد (للمرجعيات الدينية)	٣١	٢٧
تابع للمرجعيات السياسية	١٦	١٢
مستقل ومتميز بالفردانية	٧	٣
كائن ضائع ومغترب عن اشكال الحياة الجديدة	٦١	٥٨
المجموع	١١٥	١٠٠

بيانات الجدول أعلاه تبين رؤية المبحوثين بالصورة التي أصبح عليها الفرد العراقي بعد ٩ نيسان ٢٠٠٣، أذ وضعت الباحثة أربعة خيارات وبناءاً على رأي المبحوثين جاءت خاصية الكائن الضائع والمغترب عن اشكال الحياة الجديدة بالمرتبة الاولى وبنسبة كبيرة بلغت(٦١٪) ثم تلتها خاصية كائن تابع ومقلد (للمرجعيات الدينية) بنسبة (٣١٪) ،وفي المرتبة الثالثة جاءت خاصية تابع للمرجعيات السياسية بنسبة (١٦٪) ثم حلت بالمرتبة الرابعة وبنسبة (٧٪) لكائن مستقل ومتميز بالفردانية .

أن مظاهر الحداثة المختلفة التي مست مجتمعنا المعاصر وجعلته يعيش وفقاًلنقيضين أو واقعين الواقع الأول حداثي مقتصر على الجوانب المادية والاستهلاكية والتي تشمل الاعتماد على المظاهر العصرية من مأكل وملبس واستخدام الوسائل الحديثة مثل (الموبايل والسيارة والانترنت) وغيرها أما الواقع الثاني فهو واقع تقليدي يحتم ممارسة التقاليد المتبعة والحفاظ على كل ما هو سائد من أعراف وتقاليد وممارسات دينية أو اجتماعية ويحاسب من يخرج عن الواقع الاجتماعي فضلاً عن الممارسات والافكار الموروثة التي يتلقاها الفرد من عائلته أو عشيرته بالإضافة الى تأثر الافراد بالفتاوي الدينية التي يصدرها رجال الدين والتي أخذت تترك صداها في عقول الافراد لاسيما بين أصحابالوعي المحدود من محدودي التعليمأي امكاناته العلمية بسيطة فهم يصدقون كل ما يفتي به الخطيب أو الشيخ وأن هناك الكثير من الامور التي حرمت من قبل رجال الدين ولكنها في الحقيقة لا تمت للدين بصلة ولذا تتأثر هذه الشريحة من الافراد بتلك الامور وتأخذ بتحليل وتحريم الامور استناداً لتلك الفتاوي أو المحاضرات ولكن هذا الفرد يصطدم في الوقت نفسه بما يجد في المجتمع من أفكار وايديولوجيات تختلف عما هو معتقد به وبالتالي يتولد لديه شعور متناقض فمرة يصدم بواقع حديث وعصري تسود فيه ثقافة التحرر من الافكار التقليدية ومرة يتأثر بالفتاوي التي تحرض على الالتزام والامتثال لكل ماهو تقليدي وقار لتقليد أو لعادة اجتماعية أو دين متوارث لذا ينتج فرداً مغترب عن ذاته وعن أشكال الحياة الجديدة لأنها خليط متجانس ما بين حديث وقديم ولذا تتولد لدى الفرد فجوة عميقة أعمق من أن تنظم بواسطة المجتمع أو أنظمته أو وسائله ،أما خيار تابع ومقلد للمرجعيات الدينية فجاء بالمرتبة الثانية التي اتفق عليها المبحوثين بكونها الصورة التي اصبح الفرد عليها فالدين عموماً له اهمية كبيرة وأثر واضح على ممارسات وسلوكيات وتفكير الافراد ،وقد أخذ مجتمعنا بعد ٩ نيسان(٢٠٠٣) تعصف به أحزاب ومنظمات تحت تسميات دينية متعددة أخذت تنشر أفكار ومعتقدات خاصة بها كما أن اتساع دائرة المحاضرات الدينية التي تحتم اتباع الاوامر أو النواهي التي قضى الله بها عزز هذا الأمر أيضاً ولذا لجا الافراد لاتباع تلك المؤسسات أو المنظمات الدينية تقرباً لله ولذا فالكثير من الافراد اصبحوا مقلدين لتلك المراجع بدون حتى التشيكك والنقد في أي أمر من امورها لأن التشيكك فيها يعد تشكيكاً بأوامر الله ،وكما يمكن القول بأن هناك نوع من الاتباع يمكن أن نسميه (تقليد اعمى) لبعض المرجعيات الدينية بدون النظر للأوامر التي فرضها الله فعلاً وبين تلك المفروضة من الانسان ويمكن أن نسمي هذا النوع من التقليد بأنه تقليد أعمى، وبما أن مجتمعنا

قائم على التقليد والاتباع المرهون بالمصداقية والنزاهة لجاالكثير ألى تقليد المرجعيات السياسية ضناً أنها الأصدق أو أنها تحمل في طياتها المصالح التي تخدم المجتمع أولاً والأفراد ثانياً ، أما الفرد بكونه مستقل ومتميز بالفردانية جاءت بأقل نسبة من الافراد المبحوثين ذلك أن الاستقلالية الفكرية لا تزال خاضعة للجماعة فضلاً عن أن التبعية لا تزال تفرض نفسها على الأفراد مما ينتج أفراداً تقليدين متماثلين منساقين وراء أفكار واتجاهات موروثة فضلاً عن الخشية للسلطة الدينية أو السياسية مما أسهم في الحيلولة دون نشوء فردانية قائمة على الاعتراف بأهمية الفرد وأحترام معتقداته وأفكاره الذاتية بدون فرض التزامات معينة ،وكلما كان الفرد عالقاً في الشبكات التقليدية و الاتباع والقيم الرجعية كلما أصبح فرداً تقليدياً لا يبدع لا يبتكر ولا يمتلك رؤى واضحة أو تصورات جديدة عن العالم وهو ما يجعل الفردانية مضمرة وغير شائعة .

جدول رقم (٤٠)

يبين اراء المبحوثين حول المعتقدات والممارسات والانماط التقليدية للسلوك الاجتماعي بكونها تصلح لبناء مجتمع عدالة وديمقراطية يحترم الحريات الفردية

الاجابة	التكرار	%
نعم	٥١	٤٢.٦٠
لا	٦٤	٥٧.٣٩
المجموع	١١٥	١٠٠

جدول رقم (٤٠) يبين أراء المبحوثين حول المعتقدات والممارسات والانماط التقليدية هل تصلح بأن تبني مجتمع عدالة وديمقراطية ومجتمع يحترم الحريات الفردية فكانت نسبة (٦٤٪) من المبحوثين تؤكد على أن المعتقدات والممارسات والأنماط السلوكية لا يمكنها أن تبني مجتمعاً قائماًعلى أساس الديمقراطية ويحترم الحريات الفردية ،بينما بنسبة (٥١٪) من المبحوثين أجابوا بإمكانية المعتقدات على بناء مجتمع ديمقراطي .

من المتعارف عليه أن المجتمع الديمقراطي يقوم على أساس دعائم الحرية وطاقات الانسان المتحررة من القيود و من المتعارف عليه أيضاً بأن تقدم المجتمعات وانتقالها من حالة الجمود والركود ألى حالة التقدم والتطور والحيوية أو ما يمكن تسميته بالركب الحضاري مناط بالدرجة الأساس بالامكانات المتوفرة لدى الفرد وما يمتلكه من قدرات ذاتية،ولذا فأن بناء مجتمع متطور ذو عدالة وديمقراطية يحترم الحريات الفردية مرتبط أساساً ببنية المجتمع وتقاليده فكلما

كان المجتمع متطور وله القابلية المرنة على التعديل والتغيير كلما كان هناك مجتمع ديمقراطي يحترم ويقدر بعض من امكانات الفرد الذاتية والعكس صحيح كلما كان المجتمع مقيد بالانماط التقليدية ومنطق التفكير والتجديد المحدود كلما أصبحت الحريات الفردية مقيدة ،فالمجتمع التقليدي القائم على المعتقدات والممارسات والاعراف والانماط التقليدية هو في الحقيقة مجتمع يفتقر ألى الديمقراطية مهما كانت الشعارات التي ينادي بها حتى لو كانت تقدمية أو تطورية أو غير ذلك فهي في الحقيقة تحتفظ بالوعي القديم الذي يتعارض تماماً مع مبدأ سيادة الحريات الفردية والتقدم والتجديد تلك الشعارات ومهما بلغ صيتها في الحقيقة زائفه نتيجه امتدادها لانتماءات قديمة قائمة على تقاليد وأنماط موروثة قد تكون متخلفة لا سيمافيما يتعلق منها بالقبلية أو العرف ولذا فبناء مجتمع قائم على أسس ديمقراطية قد يتعارض مع التوجهات التقليدية وهذا ما وجدناه بأجابات المبحوثين وبنسبة(٥١٪) ممن يرى بأن المعتقدات والأنماط التقليدية غير كفيلة ببناء مجتمع عدالة وديمقراطية لان اساس هذا المجتمع الديقراطي هو الحرية الفردية وطالما أن الحرية الفردية مقيدة في ظل المجتمع التقليدي فهذا يتنافى مع أسس الديمقراطية ،بينما جاءت أجابات المبحوثين وبنسبة عالية تؤكد بأن الممارسات والانماط التقليدية كفيلة ببناء مجتمع ديمقراطي وهذا مرهون بالدرجة الأساس بثقافة المجتمع نفسه فكلما كانت القوانين والانظمة والبنى الثقافية مرنة غير مُتسطلة بمعنى أن يكون هناك أحترام أو على الاقل توافق مابين الفردانية والجماعية في ذلك الوقت يمكن قيام مجتمع يحترم الحريات الفردية طالما كان موفقاً مابين الرغبات الجمعية و الفردية وفي الوقت نفسه يكون مجتمع غير متسلط يضمن المساواة والحقوق الفردية و ذلك من شأنه أن يقودنا الى مجتمع ديمقراطي .

جدول رقم(٤١)

يبين اراء المبحوثين حول صاحب الحق الاعلى في اتخاذ القرارات المصيرية

الفقرة	التكرار	%
الله	٦٩	٦٠
العائلة	٩	٧.٨٢
الانا(الذات)	١٦	١٣.٩١
الاخرين	٢	١.٧٣
التفكير والتأمل	١٩	١٦.٥٢
المجموع	١١٥	١٠٠

يبين الجدول أعلاه آراء المبحوثين حول صاحب الحق الأعلى في اتخاذ قراراتهم المصيرية ،وقد وضعت الباحثة خمس خيارات تتيح للباحث الاختيار فيما بينها ،حيث جاءت خيارات المبحوثين لتؤكد بأن الله هو صاحب الحق الأعلى في اتخاذ القرارات المصيرية وبنسبة كبيرة بلغت (٦٩٪)،بينما خيار التفكير والتأمل جاء بنسبة (١٩٪) وبالمقابل جاء (١٦٪) لخيار الانا(الذات) ،وبنسبة (٩٪) للعائلة ،ونسبة (٢٪) فقط للأخرين .

نرى من خلال اجابات المبحوثين بأن نسبة كبيرة منهم يرفض التخطيط لكافة القرارات بناء على عدم ايمان بالتنبؤ الجائز فالاعتماد على الله في كل القرارات المصيرية هو اتجاه عقلي وموقف انساني ثابت لديهم ومما يؤكد ذلك أيضاً هو التعبيرات اللغوية التي تؤكد ذلك في نهاية المطاف مثل : خليها على الله ،وان شاء الله ، وهذا ما نجده في مجتمعنا العراقي بكثرة فتأكيدهم على هذا الجانب وأناطة أمورهم كافة بيد الله وبذلك نستنتج بأن الافراد قد بنوا من خلال ذلك اتجاهاً عقلياً ثابتاً لديهم بكون الله هو صاحب الحق الأعلى نافين عنهم بأن الله تعالى قد منح الانسان عقلاً يوجه من خلاله تصرفاته وافكاره ومجمل جوانب حياته وبالتالي فهم اتكاليين وبصورة مطلقة على الله مبعدين عنهم قرار تحمل المسؤولية الفردية، أما الخيار الثاني من أجابات المبحوثين فق أعتمدوا على التفكير والتأمل لكونه الوسيلة الاساسية التي من خلالها يتخذون قراراتهم المصيرية ،فضلاً عن خيار الذات الذي جاء بنسبة (١٦٪) والذي أكد عليه بعض المبحوثين بكون الذات(الأنا) هي المعتمد الاساسي لاتخاذ كافة القرارات المصيرية وعليه يمكن القول بأن الفرد المعتمد على ذاته في صياغة قراراته وأفكاره هو شخص فرداني توجد لديه ميول فردية بكونه معتمد على نفسه وذاته لاتخاذ قراراته وليس على الاخرين أو توكيل كافه امره بيد قوة عليا كأن تكون (الله)مثلاً ولذا فالفرد في تلك الحالة يمتلك الشجاعة من اجل الوجود لكونه معتمد على نفسه وذاته وقادر على تحمل مسؤولية قراراته الذاتية،وهناك من تركللعائلة مسؤولية اتخاذ القرار وهذا ما نجده في البيئات الأقل تحضراً أو المتمسكة بمنظومة القيم التقليدية القديمة أذ يكون الأب أو شيخ العشيرة أو غيره هو المتحكم بالقرار ولا يستطيع الفرد أن يتصرف بدون مشورتهم وتوجيهاتهم ولذا فهو شخص غير فرداني لا يستطيع الانفصال عن الجماعة أو عن اقرانه و غير قادر على تحمل مسؤولة أتخاذ أي قرار بدون المشاركة الجماعية ، وهناك نسبة ضئيلة جداً من الأفراد ممن يسلم زمام القرارات المصيرية بيد الأخرين حيث جاءت نسبتهم (٢٪) فقط .

جدول رقم(٤٢)

يبين درجة انسجام المقولات مع التصورات والافكار الذاتية

الفقرة	التكرار	%
قدر الله وما شاء فعل	٦١	٥٣.٠٤
ان مصير الانسان معلق بين يديه	١٩	١٦.٥٢
لو جريت جري الوحوش غير رزقك ما تحوش	١٠	٨.٦٩
الانسان هو افعاله	٢٥	٢١.٧٣
المجموع	١١٥	١٠٠

جدول رقم(٤٢) يوضح درجة انسجام المقولات مع التصورات والأفكار الذاتية التي يعتمد عليها الفرد في حياته حيث وضعت الباحثة أربع مقولات ، وبناءاً على آراء المبحوثين جاءت مقولة قدر اللّه وما شاء فعل بنسبة كبيرة من اجابات المبحوثين بلغت (٦١٪) ،و نسبة (٢٥٪) لمقولة الانسان هو أفعاله ،فيما جاءت مقولة أن مصير الانسان معلق بين يديه بنسبة (١٩٪)، ثم مقولة لو جريت جري الوحوش غير رزقك ما تحوش بنسبة (١٠٪) فقط من أجابات المبحوثين .

هذا السؤال مرتبط بدرجة كبيرة بالسؤال الذي سبقه أذ يقيس لنا مدى اعتماد الفرد على نفسه ويعكس لنا أيضاً منظومة التفكير التي تجري في داخل عقلية كل فرد ،وقد جاءتأجابات المبحوثين لتؤكد بأننا مجتمعات تؤمن بشكل مطلق بالقضاء والقدر من خلال توكيل كافة امورنا للّه تعالى فالسؤال الذي سبق بين بأن أجابات المبحوثين تعتمد على اللّه في كافة القرارات المصيرية وجاء هذا السؤال مكملا له ومؤكداً صدقه أن نسبة الأجابات التي تتفق على أن اللّه هو المتحكم والمقدر جاءت بنسبة (٦١٪) من أجابات المبحوثين وعلى هذا الأساس فالمبادرات الفردية ضئيلة بتحمل المسؤولية بكونها معتمدة على اللّه وعلى هذا الاساس يمكن القول بأن لكل مجتمع ثوبً ديني وعقائدي يستمد منه الفرد أفكاره فضلاً عن طابع الثقافة العام الذي بدوره يفرض على الفرد تأثيراته التي يؤمن ويعتقد بها ، وبعضاً من المبحوثين أكد على أن مصير الانسان معلق بين يديه وذلك لكون الانسان واعي ومدرك يمتلك عقلاً ومن خلاله يستطيع توجيه افعاله واعماله ولذا فمصيره بين يديه كذلك الامر مع خيار الأنسان هو أفعاله فالانسان طالما يمتلك عقلاً فهذا يعني أنهمدرك لأفعاله وأعماله وما هذه الأفعال والاعمال ألاّ نتاج عمل يده سواء كانت خيراًأم شراً ، أما الخيار الأخير فيرتبط بدرجة أيمان الفرد فهناك بعض الأفراد يؤمن بأن ما هو مقدر من اللّه لا يمكن تغيره سواء كان في الرزق أو العمل أو مجمل جوانب حياة الانسان الخاصة والعامة .

جدول رقم(٤٣)

يبين اعتقاد الانسان ووجوده في هذا العالم

الفقرة	التكرار	%
مسير	٣٥	٣٠.٤٣
مخير	٢٧	٢٣.٤٧
كلاهما	٤٧	٤٠.٨٦
لا اتعمق في هذا النوع من الاسئلة	٦	٥.٢١
المجموع	١١٥	١٠٠

جدول رقم(٤٣) يبين اعتقاد الانسان ووجوده في هذا العالم ،وجاءت نسبة كبيرة من أجابات المبحوثين ترى بأن الانسان في هذا العالم مسير ومخير في الوقت نفسه وبنسبة (٤٧٪) ، بالمقابل يرى (٣٥٪) من المبحوثين بأن الانسان مسير ، ونسبة (٢٧٪) يرون أنه مخير ،بينما خيار لا أتعمق في هذا النوع من الاسئلة جاء بنسبة (٦٪) فقط .

يتبين من خلال أجابات المبحوثين بأن نسبة كبيرة منهم يعتقد بأن وجود الانسان في هذا العالم هو مخير ومسير فأحيانا الانسان قادر على التحكم بوجوده وتسيير أفعاله وأعماله وأحياناً آخرى يكون مجبر على اشياء قد تكون خارج نطاق تصرفه وبالتالي فهو غير قادر على التحكم بها فهو مسير وفق لها ومن خلالها ،اما القسم الاخر من المبحوثين فأجاب بأن الانسان في هذا العالم مسير كل أعماله وتصرفاته تكون مسيرة سواء من قبل الله تعالى أو من قبل المجتمع أو الدين أو غيره وعلى النقيض من ذلك هناك من أجاب بأن الانسان هو مخير واذا ما أردنا مناقشة هذه المسالة تقول أن الأنسان عموماً حر في أفعاله وهو مسؤول عنها فهو ليس مجبر على أفعاله أنما هو مخير لان المرء بطبيعته قادر على تسيير أموره حيث أن الله يمنح الانسان القدرة على الفعل وبالتالي فهو قادر على عمل الخير والشر والجيد والسيء كلها في متناوله وعلى هذا الاساس فهو مخير ،ولكن الى جانبه هناك أفعال مقدرة للأنسان من قبل الله وليس له فيها حرية الاختيار كالموت مثلاً ،ولكن باقي افعاله وأعماله واختياراته متعلقه به فهو خالق لأفعاله ومسؤول عنها .

واذا ما أخذنا المجتمعات التقليدية كمثال نجد بأن وجود الفرد مقرر من قبل جماعته التي ينتمي أليها لذا فأعماله ونمط حياته مقرر من قبل تلك الجماعات لأن الفرد عرضة للهيمنة الجماعية وبالتالي فهو مسير من قبلها ،أن وجود الفرد داخل المجموعة وباندماجه معها لا يمنحه

الاستقلال فكل قراراته تكون معروفة مسبقاً وهو خاضع لمعايير ومؤثرات الجماعة التي تكون مسؤولة عن كافة القرارات وبالتالي لا تترك له حرية الاختيار والتصرف وعلى هذا الأساس يسير الفرد ولا يخير في ظل المجموع .

جدول رقم (٤٤)

يبين أراء المبحوثين حول امكانية تصور مجتمع يقوم بدون الحاجة لوجود مؤسسة دينية

الاجابة	التكرار	%
نعم	٢٧	٢٣.٤٧
لا	٨٠	٦٩.٥٦
رأي اخر	٨	٦.٩٥
المجموع	١١٥	١٠٠

بيانات الجدول أعلاه تبين آراء المبحوثين الافراد حول تصورهم لوجود مجتمع بدون مؤسسة دينية وحسب آراء المبحوثين تبين أن نسبة (٨٠٪) يرى بأن المجتمع لا يمكن أن يقوم ألاّ بوجود مؤسسة دينية ،بينما رأى القسم الأخر من المبحوثين إمكانية وجود مجتمع قادر على العيش بدون الحاجة للمؤسسة الدينية وكانت نسبتهم (٢٧٪) بينما تركت الباحثة خياراً مفتوحاً للمبحوثين للتعبير عن تصوراتهم أو اعتقاداتهم، حيث وضح أحد المبحوثين ممن رأى بأن المجتمع يمكن أن يقوم بدون الحاجة للمؤسسة الدينية بقوله من الممكن أن ينهض المجتمع دون الحاجة للمؤسسة الدينية على أن ينحصر دورها بالجانب الفقهي فقط بينما رأى مبحوث آخر أن المجتمع لا يمكن أن يقوم ألاّ بوجود مؤسسات ومن ضمنها المؤسسة الدينية لأنها ضرورية ولان الانسان بطبيعته لا يستطيع العيش دون وجود اتباع.

أن الفكر الديني مسيطر على أفراد مجتمعنا وهو قضية مركزية يستمد منها الفرد فهمه وتصوره للعالم والكون بشكل عام ،فالعنصر الديني يتدخل في تكوين الطاقة النفسية لدى الفرد ، ويتبين من خلال اجابات المبحوثين وبنسبة كبيرة بلغت (٨٠٪) ممن يرى بأن المجتمع لا يمكن أن يقوم ألاّ بوجود المؤسسة الدينية ومن المتعارف عليه بأن للدين دور مهم في تماسك المجتمع وفي بناء شبكة العلاقات الاجتماعية التي من خلالها يرتبط الافراد ،فانحلال المؤسسات الدينية يؤدي ألى انحلال شبكة العلاقات الاجتماعية وتمزقها فضلاً عن أن تفكك العنصر الديني يؤدي ألى انحلال المجتمع ،فوجود الدين في نفس الانسان هو نزعة فطرية ولا توجد أمة من الأمم في التاريخ عاشت أو مضت دون أن يكون لها تصور بشكل من الاشكال عن الدين ،حيث أن التعلق

الديني أو الاتباع يعتبر مسألة مهمة لكونه يلبي الحاجات الروحية للأنسان بمعنى حاجاته النفسية ،بينما هناك نسبة(٢٧٪) من المبحوثين من أجاب بأن المجتمع يمكن أن يقوم بلا وجود المؤسسة الدينية ويمكن القول بأن الافكار الدينية الجامدة لعبت دوراً كبيراً في تفكير الانسان وتصوراته خصوصاً في وقتنا الحاضر فهناك الكثير من الافكار الدينية الجامدة التي لا تمت للدين بصلة لعبت دوراً أساسياً في التحكم بمنظمة التفكير وتصورات الأفراد بحيث بات بعضها سبباً في تخلف المجتمع ومنها التحليلات والتحريمات التي تنادي بها بعض المؤسسات الدينية التي تمارس دوراً تسلطياً على بنية المجتمع وحالت دون تطوره ولذا وجد بعض المبحوثين بأن المجتمع يمكن أن يقوم بدون الحاجة للمؤسسة الدينية .

جدول رقم(٤٥)

يبين اراء العينة حول افضلية المكان المناسب للوجود

الفقرة	التكرار	%
في الدنيا	٢٤	٢٠.٨٦
في الاخرة	٢٧	٢٣.٤٧
بين الدنيا و الاخرة	١٦	١٣.٩١
لا ادري	٤٨	٤١.٧٣
المجموع	١١٥	١٠٠

الجدول أعلاه يبين آراء العينة حول المكان الذي يفضلون أن يتواجدون فيه ، وبناءا على أجابات المبحوثين جاء خيار لا أدري بنسبة بلغت (٤٨٪) ،وتلاها بنسبة (٢٧٪)لخيار أفضلية التواجد في الاخرة ،بينما خيار في الدنيا جاء بنسبة (٢٤٪) ،ثم جاء خيار الافراد ما بين الدنيا والاخرة بالمرتبة الاخيرة بنسبة (١٦٪) فقط.

يبدو من أجابات المبحوثين بأن نسبة كبيرة منهم لا يمتلكون قرار معين حول المكان الذي يفضلواأن يتواجدوا فيه فذهبت اغلب الاجابات نحو خيار لا أدري لأن معظم تصورات وأفكار الافراد مشتتة ولا يستطيعون تحديد خيارهم،وهناك من فضل بأن يكون في الاخرة لأنه يرىأن الدنيا دار ابتلاء ومليئة بالمتاعب،ولذا لا راحة ألاّ في الاخرة وبما أن القرآن هو أول دستور للمؤمن وأننا مجتمع مسلم نجد أن الناس معتمدين على ما جاء فيه تبعاً لقوله تعالى(وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى

وَلَاتُظْلَمُونَفَتِيلًا)[1]وكذلك(أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ)[2]وعلى هذا الاساس نجد أن خيارات المبحوثين معتمدة بشكل أساس على ذلك .

جدول رقم(٤٦)

يبين اراء المبحوثين بإمكانية الاعتقاد بالعدالة الالهية في مجتمعنا المعاصر

الاجابة	التكرار	%
نعم	٨٣	٧٢.١٧
لا	٣٢	٢٧.٨٢
المجموع	١١٥	١٠٠

الجدول أعلاه يبين آراء المبحوثين بإمكانية الاعتقاد بالعدالة الالهية في مجتمعنا المعاصر، وجاءت اجابات المبحوثين بنسبة (٨٣٪) ممن يؤمن بوجود العدالة الالهية ،وبنسبة (٣٢٪) من المبحوثين يرون بعدم توفرها في مجتمعنا المعاصر وذلك لأسباب عدة طرحها المبحوثينأنفسهم حيث يرى بعضهمأن انتشار الظلم والفساد بشكل مطلق وعدم المساواة وسوء الاوضاع العامة وانعدام العدل بين الناس يجعل الانسان لا يعتقد بوجود عدالة ألهيةبينما أكد البعض بأن وجود الفوارق بين الاشخاص وتمتع البعض بالنعم وفقر البعض الأخر يجعل مني انسان غير معتقد بأن العدالة يمكن أن تتواجد ،وهناك من عبر بقوله بأن اللّه سبحانه وتعالى موجود وهذا ما أومن به ولكن كمفهوم عدالة هذا أمر لا أراه موجود في مجتمعنا وقد تكون هناك أسباب عديدة وراء ذلك قد يكون الانسان أحد هذا الاسباب لا بل اهمها أي أن الانسان بارتكابه الاخطاء المتكررة قد يكون جنى على حاله ولكن رغم ذلك أنا اعتقد بأن اللّه عادل ولكن ليس في مجتمعنا هذا ،فضلاً عن ذلك أكد مبحوث أخر بأن كل ما يراه الانسان من حوله من سوء ونقص وفساد لا دخل للإرادة الالهية بذلك ولكن هذا نتيجة تفكير الانسان وبالتالي فهو يحصد نتاج سلوكه وتفكيره ،هذا وأكد مبحوث أخر بأن العدالة الالهية لا توجد ألاّ في الجنة .

جدول رقم(٤٧)

يبين نسبة اعتقادات المبحوثين بالقدر والمصير وبكونهما مكفولان بي الله وهو الحاكم والمتحكم فيه

الاجابة	التكرار	%
اعتقد	٩٣	٨٠.٨٦

[1]- سورة النساء،الأية ٧٧.
[2]- سورة الحديد ،الاية ٢٠-٢١.

لا اعتقد	١٠	٨.٦٩
رأي اخر	١٢	١٠.٤٣
المجموع	١١٥	١٠٠

جدول رقم(٤٧) يبين نسبة أعتقادات المبحوثين بالقدر والمصير وهل هما مكفولان بيد الله وحده أم أن الانسان قادر على التحكم بهما ، وكما هو واضح فأن اغلبية المبحوثين أكدوا بأنهم يعتقدون أن القدر والمصير مكفول بيد الله وحده وهو الحاكم والمتحكم فيه وذلك بنسبة بلغت(٩٣٪) بينما أكد بعضهموبنسبة (١٠٪) فقط على خيار لا يعتقدون بأن الله وحده هو المتحكم بالمصير وأنما أيضاً للإنسان القدرة على صياغة مصيره ، بينماأجمع بعض أفراد العينة على أن الاقدار متعلقة بالموت وهذا الشيء بيد الله وحده أما مصير الانسان فبيده وهو الذي يحدده لأن الله سبحانه وتعالى قد اعطا الانسان العقل وبواسطته يستطيع الأنسانأن يقرر مصيره فأذا ما استخدمه بشكل صحيح وذكي يتيح له تغير حياته نحو الافضل وكانت نسبتهم (١٢٪).

هذا السؤال مرتبط بسؤال(٤٤)أو يعتبر تكمله له حيث بينت اجابات المبحوثين بنسبة عالية جاءت بتكرار بلغ (٩٣٪) ممن يعتقد بأن القدر والمصير مكفول بيد الله وهو الحاكم والمتحكم فيه ،بينما وبنسبة أقل ممن لا يعتقدون بأن القدر والمصير غير مكفولين بيد الله وحده فالانسان بدوره قادر على التحكم في مصيره وثم تغيره طالما هو حر في أفعاله وأعماله ،وهناك من المبحوثين من عبر عن رأيه حيث أن البعض منهم يعتقد بأن الاقدار بيد الله وحده وبالتالي فهو المسؤول عنها أما مصير الانسان الخاص فبيده وحده طالما هو يمتلك عقلاً ووعياً بالتالي قادر على صنع مصيره.

جدول رقم(٤٨)

يبين اراء المبحوثين حول اصل الفردانية

الفقرة	**التكرار**	%
نمط ثقافي	٤٨	٤١.٧٣
ظاهرة اجتماعية	٣٦	٣١.٣٠
ظاهرة ترتبط بالعوامل السياسية	٢٠	١٧.٣٩
ظاهرة لها جذور دينية	١١	٩.٥٦
المجموع	١١٥	١٠٠

بيانات الجدول أعلاه تبين آراء المبحوثين حول أصل الفردانية ،وقد وضعت الباحثة أربعة خيارات تتيح للباحث الأختيار فيما بينها حيث جاء بالمرتبة الاولى خيار نمط ثقافي بنسبة (٤٨٪) ،وتلاها بالمرتبة الثانية خيار ظاهرة اجتماعية بنسبة (٣٦٪) ،ثم وبنسبة (٢٠٪) لخيار

ظاهرة ترتبط بالعوامل السياسية ، وبالمرتبة الرابعة لخيار ظاهرة لها جذور دينية بنسبة (١١٪) فقط .

أكدت النسبة الكبيرة من أجابات المبحوثين على أن الفردانية هي نمط ثقافي أي أنها مجموعة من العناصر الثقافية التي كونت السمات ومجموع هذه السمات يكون نمطاً ثقافياً ،ومن المتعارف عليه بأن كل مجتمع له مجموعة من الانماط الثقافية والاجتماعية التي تختلف بعضها عن بعض الاخر ،فالفردانية باعتبارها نمط ثقافي تتكون من مجموعة من السمات مثل سمة الاستقلالية واتخاذ القرار وسمة التفرد بالافكار والخصوصية الفردية وغيرها وهي بمجملها تمثل نمط الفردانية، ونجد بأن تلك السمات تختلف من فرد الى أخر تبعاً لطبيعته وتفكيره وأسلوب معيشته ونمط حياته،اما الفردانية باعتبارها ظاهرة اجتماعية جاءت بنسبة (٣٦٪) ممن يرون بأنها ممارسة اجتماعية في مجتمع ما يعتاد الناس على ممارستها بوصفها سلوكاً اجتماعياً أو مجموعة من السلوكيات والتفاعلات الاجتماعية التي تفرض نفسها في المجتمع وتصبح بالتالي ظاهرة اجتماعية، فيما أكد قسم أخر منهم على أن الفردانية ظاهرة ترتبط بالعوامل السياسية أو أن السياسية هي أصل انبثاق الفردانية ،أما من يعتبر بأن الفردانية هي ظاهرة دينية فقد يكونوا منطلقين من تصوراتهم هذه من قوله تعالى(قل هو الله احد الله الصمد) لأن هذه الاية دليل على الوحدانية والتفرد ومن خلالها أكدو بأن للفردانية جذور وأصول دينية.

جدول رقم (٤٩)

يبين اراء المبحوثين حول ماهية الحقيقة الاكثر قرباً للواقع النظري

الفقرة	التكرار	%
هي كل عقلي يتميز بالواقعية ولو كان يتناقض مع ارادتنا	٥٠	٤٣.٤٧
هي كل ما يصدر عن الجماعة من اعراف وتقاليد ويتفق الناس على ثباته	١٩	١٦.٥٢
هي كل ما يصمد ويتميز بالثبات في مواجهة التغير اليومي للحياة والناس	١٧	١٤.٧٨
هي الذات الانسانية وكل ما يصدرعن العقل البشري	٢٩	٢٥.٢١
المجموع	١١٥	١٠٠

الجدول رقم(٤٩) يبين أراء المبحوثين حول ماهية الحقيقة الأكثر قرباً للواقع النظري ،حيث كان الخيار الذي أكد على أن الحقيقة هي كل عقلي يتميز بالواقعية ولوكان يتناقض مع أرادتنا جاء

بالمرتبة الاولى وبنسبة بلغت(٥٠٪) بينما جاء خيار هي الذات الانسانية وكل ما يصدر عن العقل البشري بالمرتبة الثانية بنسبة (٢٩٪) ،بينما جاء بالمرتبة الثالثة والرابعة لخيار هي كل ما يصدر عن الجماعة من أعراف وتقاليد ويتفق الناس على ثباته وخيار هي كل ما يصمد ويتميز بالثبات في مواجهة التغير اليومي للحياة والناس بنسب (١٩٪ و١٧ ٪) لكل واحد منهما.

لقد أكدت النسبة الأعلى من أجابات المبحوثين بتكرار بلغ (٥٠٪) بأن الحقيقة هي كل عقلي يتميز بالواقعية حتى لو كان يتعارض أو يتناقض مع ارادتنا وتصوراتنا ولذا فهي تتميز بالواقعية ، وهناك من يرى بأن الحقيقة نابعة من الذات الانسانية وكل ما يصدر عن العقل البشري فالحقيقة هي ذاتية طالما هي تمتزج مع الذات ،أن الفرد المدرك لذاتيته ولتفرده وأنه ذات مستقله هو وحده من يدخل طريق الحقيقة. فالحقيقة دائما ما تضيع وسط الحشود أو الاوساط الجماعية وذلك نظراً لكثرة التصورات المختلفة والمتباينة مما ينتج حقيقة مشوهة أو ناقصة نتيجة تشتتها من قبل وجهات نظر مختلفة وعلى هذا الاساس فالفرد وحده من يمتلك الحقيقة لانها كامنه في ذاته وفي اعتقاداته وليس فيما يفكر فيه الاخرون ولذا لا يمكن بلوغها ألاّ عبر الذات الانسانية ، وأذا ما أخذنا الفرد في ظل المجتمعات التقليدية نجده يعتبر بأن الحقيقة هي ما يصدر عن الجماعة من أعراف وتقاليد أو ما يتفق الناس على ثباته وبالتالي فأن الفرد المندمج وفقاًللعلاقات العضوية التقليدية يشعر بالاكتفاء والانتماء لعشيرته وطائفته أو جماعته الاجتماعية ويرى بأن كل الممارسات التي تصدر من الجماعة ومن أعرافها وتقاليدها ما هي في نهاية الامر ألاّ الحقيقة الوحيدة وعلى هذا الأساس يعتبر بأن كل ما يصدر عن الذات الانسانية الفردية هو في الواقعحقيقة زائفة ، ولكن الحقيقة لاتوجد مع الجموع أو مع الاغلبية لأنهم يكونون مسيرين من قبل العواطف لا العقل فالفرد في وسط الجماعة أو الحشود لا يستطيع الاختيار لأن الاختيار يكون مرهون بفكر الجموع الذي يهتم بأهدافه وطموحاته لا طموحات الفرد واهدافه ،بأختصار أن وعي الجموع يمثل اللاوعي وذلك لأن المصالح المتفق عليها تمثل مصالح الجهة الاقوى أو الاغلبية المسيطرة وهذا يعني الغاء بقية الاهداف الفردية مما ينتج أفعال غير متوقعة لأنها جاءت بواسطة تناقض الذوات والأفراد والأهداف.

جدول رقم(٥٠)

يبين آراء المبحوثين حول الحقيقة الوحيدة التي يعتقد بوجودها

الفقرة	التكرار	%

الله	٨٥	٧٣.٩١
المجتمع	١٩	١٦.٥٢
انا	٩	٧.٨٢
اشياء اخرى	٢	١.٧٣
المجموع	١١٥	١٠٠

الجدول أعلاه يبين آراء المبحوثين حول الحقيقة الوحيدة التي يعتقدون بوجودها ،حيث جاءت وبنسبة كبيرة بلغت(٨٥٪) لخيار الله ونسبة (١٩٪) للمجتمع و(٩٪) لخيار الأنا(الذات) ونسبة (٢٪) فقط لخيار اشياء اخرى.

أن أكثر نسبة من أجابات المبحوثين أكدت بأن الله تعالى هو الحقيقة الوحيدة التي يعتقدون بوجودها لكون وجود الله ثابت لا يتغير فالعلم والمعرفة والكثير مما نعتقده بأنه ثوابت راسخة و مهما بلغت درجة صدقها وحقيقتها ألاّأن حقيقتها نسبية مقارنة بوجود الله ،أما النسبة الاخرى من المبحوثين اكدوا بأن المجتمع هو الحقيقة الوحيدة التي يعتقدون بوجودها لكونهم يرونه ماثل أمام اعينهم بمؤسساته ومنظماته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وهنا يظهر الجانب التقليدي من الافراد بكونهم يرون أن المجتمع ومؤسساته هو الحقيقة الوحيدة متجاهلين الذات (الانا) الفردية بكونها الحقيقة الاساسية ،أما القسم الاخر أجاب بأن الأنا أو الذات هي الحقيقة الوحيدة التي يؤمن بها فمن خلال ايماني بذاتي استطيع معرفة الله ومعرفة المجتمع وكل شيء من حولي ،فهي الطريق والمسلك الوحيد لمعرفة ما يجري ،حيث أن الأنسان لا يستطيع أن يجد نفسه ألاّ بحضوره وتواصله مع لحظة الان فهذا الحضور هو الوعي الذي يعي ويدرك ويراقب الأفكار والمشاعر .

جدول رقم(٥١)

يبين اعتقاد المبحوثين حول مضامين الحقيقة

الفقرة	التكرار	%
نسبية	٤٥	٣٩.١٣
مطلقة	٤٤	٣٨.٢٦
لا وجود للحقيقة اطلاقاً	١٤	١٢.١٧
لا افكر بهذا النوع من الاسئلة	١٢	١٠.٤٣
المجموع	١١٥	١٠٠

جدول رقم(٥١) يبين أعتقاد المبحوثين حول مضامين الحقيقة ،حيث أكد بعض المبحوثين بأن الحقيقة ذات مضامين نسبية وبنسبة بلغت (٤٥٪) بينما بلغت نسبة من يرى الحقيقة ذات مضامين مطلقة (٤٤٪) ،وهناك من أجاب لخيار لا وجود للحقيقة أطلاقاً بنسبة (١٤٪) ، وبنسبة (١٢٪) فقط ممن لا يفكرون بهذا النوع من الاسئلة .

لقد بينت أجابات المبحوثين وبنسبة بلغت (٤٥٪) بأن مضامين الحقيقة مضامين نسبية فلا يمكن اعتبار حقيقة ما بأنها مطلقة لأن الاشياء والامور بمجملها خاضعة للتغيير والتبديل وبالتالي تتغير الحقيقة حولها، في حين هناك نسبة كبيرة ممن يرون بأن الحقيقة مطلقة أي أنها غير قابلة للتعديل أو التغيير مؤكدين على أن الحقيقة المطلقة يمكن بلوغها عبر الايمان الذاتي الشخصي وليس عبر الاقتناع العقلي، أما القسم الأخر من المبحوثين لا يعتقدون بوجود الحقيقة مطلقاً فطالما أن الأشياء أو الاوضاع وما يدور حولها في تبدل مستمر لذا لايمكن الايمان بالحقيقة لانها متبدلة باستمرار فأوجه الحقيقة خلال هذا التبدل المستمر تكون غير متواجده اطلاقاً ،وهناك نسبة من المبحوثين لاتفكر بماهية الحقيقة وبما تنطوي عليه أبعادها ومضامينها أصلاً.

جدول رقم(٥٢)

يبين اراء المبحوثين حول ثقافتنا العربية (القيم، والمعتقدات ،الافكار) هل تعتبر مهددة من قبل الثقافة الغربية بعد التطور التكنولوجي والانفتاح على العالم

الفقرة	التكرار	%
نعم مهددة	٦٦	٥٧.٣٩
لا غير مهددة	٢٤	٢٠.٨٦
بالعكس يمكنها اغناء ثقافتنا	٢٥	٢١.٧٣
رأي اخر	صفر	صفر
المجموع	١١٥	١٠٠

الجدول رقم (٥٢) يوضح أراء المبحوثين حول ثقافتنا العربية (القيم ،والمعتقدات ،الأفكار) هل تعتبر مهددة من قبل الثقافة الغربية بعد التطور التكنولوجي والانفتاح على العالم ، وكما هو واضح من أجابات المبحوثين ممن يعتقد بأنها مهددة وبنسبة بلغت (٦٦٪) بينما رأى قسماً منهم بأن ثقافتنا العربية غير مهددة من الثقافة الغربية وبأجماع بلغ نسبته(٢٤٪) ،وهناك من رأى بأن الثقافة الغربية يمكن أن تغني ثقافتنا العربية بنسبة (٢٥٪) ،ولم يطرح المبحوثين أراء أخرى حول هذه المسألة .

ما يزال مزيج العادات والتقاليد الاجتماعية قائماً في بنية وعقلية وتصور الفرد العراقي فالتطور الثقافي والاقتصادي والاجتماعي لم ينتج عنه نهضة فكرية تكاملية ،فعلى المستوى العائلي مازال الفرد يقع تحت سيطرة نقيضين الأول تقليدي يمثل التمسك بالعادات والاعراف والقيم التقليدية والثاني هو التحديث ممثلاً بالتكنولوجية الحديثة وما ينطوي عنها ،وبين هذين الأتجاهين عاش الفرد أزدواجية مابين الواقع المتخلف والمستقبل المتطور الذي ينمي وجود الفرد ،ولهذا فأنأجابات المبحوثين التي أكدت بأن الثقافة العربية مهددة من قبل الثقافة الغربية أنطلقت من الاعتقاد بأن الحضارة الغربية وما يرافقها من تطور تكنولوجي هو تهديد لآصالة التراث وللقيم التقليدية وهناك من يرىأن المجتمع الحديث المنفتح على الحضارة الغربية والمتاثر بالمدنية لا يتوافق مع أسلوب عيش مجتمعنا التقليدي الذي يؤمن بالقديم ويتبع الاسلوب الشعبي أو نمط العيش التقليدي المرتكز على سلطة الاعراف والقيم الاجتماعية حيث أن الانفتاح على الغرب ينتج عنه الانحلال والفساد الاخلاقي والتخلي عن الدين ومنظومة التقاليد ،فضلاً عن ذلك فأن الأنسان التقليدي البسيط أخذ يواجه صعوبات متنوعة نتيجة التطور والانفتاح على العالم منها ما يتعلق بالصناعة والتطور الهائل فيها صعوبة باتت تثقل كاهله من خلال التعقيدات التي تستحدثها وتعدد الاشياء وتنوعها وهو ما جعل الفرد متعثراً في شباك تعوقه عن التعبير عن حاجاته بصورة تلقائية ومن ثمَأخذ يواجه صعوبة في الاستجابة لتلك التغيرات السريعة ،وعدا عن هذا كله مثلت كثرة المتطلبات واختلاف مجريات الحياة وصعوبتها وتعقدها بعد التطور التكنولوجي وما رافقه من تغيرات في منظومة القيم والأفكار مبعثاً لتخوف الفرد العراقي وكانت سبباً لمخاوف كثيرة تلاحقه سواء على نطاق الذات أو المستقبل القادم أوعلى قيم وعادات الابناء وما يصيبها من تغيرات أو من التغير السريع المنوال في الأحداث بحيث أصبح الفرد العراقي ضائعاً في ظل هذه التغيرات السريعة ،وكل هذه الامور تركت الفرد متخوفاً على مستقبله وعلى ثقافته وما تشتمل عليها من قيم وأفكار وتقاليد ، أما القسم الثاني من المبحوثين وهو من أكد على أن ثقافتنا العربية غير مهددة من قبل الثقافة الغربية طالما أن القيم والمعتقدات والتقاليد لا تزال في مجتمعنا فلا يزال الفرد العراقي متمسك بالانماط التقليدية والقيم الأصيلة ومنها الولاء للأعراف الاجتماعية والمحافظة على طقوس التدين وما يرافقه من ولاء للأولياء والصالحين وأيضاً ما تشتمل عليه القيم الدينية من صوم وعبادة كذلك هناك التقاليد الاجتماعية والتي لا تزال موجوده وراسخة في بنية مجتمعنا العراقي كالحضور لمراسيم الزواج أو الوفاة أو غيرها ،وهناك من

أجاب بأن الثقافة الغربية يمكنها ان تغني ثقافتنا منطلقين بأرائهم من جهة التطور التي وصلت اليه تلك البلدان من حيث التطور الاقتصادي والازدهار المادي كذلك الجانب الثقافي المتطور وأيضاً الحرية المتاحة للأفراد والتي تمكنهم من أختيار نمط حياتهم وعدم تقيدهم بقوانين أو عادات وتقاليد اجتماعية أي بمعنى أن الفرد في الغرب حر في التعبير عن آرائه وأفكاره ومعتقداته ولذا فحرية الاختيارات هذه تعلي من شأن الفرد وتحفظ كرامته وتعترف بأهميته.

جدول رقم(٥٣)

يبين آراء المبحوثين حول نوع التغير الذي أصاب حياتهم بعد التحولات الثقافية والأجتماعية الاخيرة والانفتاح التكنولوجي على العالم

الفقرة	التكرار	%
ايجابي	٦٧	٥٨.٥٦
سلبي	٢٨	٢٤.٣٤
لن تتغير حياتي ابداً	٢٠	١٧.٣٩
المجموع	١١٥	١٠٠

جدول رقم (٥٣) يبن أراء المبحوثين حول نوع التغير الذي أصاب حياتهم بعد التحولات الثقافية والاجتماعية الاخيرة والانفتاح على العالم حيث وضعت الباحثة ثلاث خيارات جاء بالمرتبة الاولى لخيار التغير الايجابي بنسبة (٦٧٪) وذهب(٢٨٪) ألى أن التغير الذي أصاب حياته بعد التحولات الثقافية والاجتماعية هو تغير سلبي ، ثم وبنسبة (٢٠٪) لخيار لن تتغير حياتي أبدًا.

من الجدول أعلاه نستنتج بأن نسبة كبيرة من المبحوثين وبتكرار بلغ(٦٧٪) أكدوا أن التغير الذي أصاب حياتهم هو تغير أيجابي فأذا أردنا مقارنة حالة الفرد العراقي قبل وبعد(٢٠٠٣)نجد أن هناك تغيرات كبيرة لحقت بالمجتمع وبالافراد ،فالفرد في ظل النظام الدكتاتوري السابق كان يعيش واقع اقتصادي واجتماعي خانق من حروب وحصار اودت بحياة الملايين فضلاً عن انعدام الحرية والاستبداد ،وبعد عام(٢٠٠٣) استطاع الفرد أن يحقق تغيراً في جوانب حياته الثقافية والاجتماعية وأصبح قادر على التعبير عن رأيه فضلاً عن التحسن المادي الذي طرأ على حياة الفرد واستطاع من خلاله أن يعيش بكرامه ويضمن حياته ،أما منأجاب بأن التغير الذي أصاب حياته كان تغيرٌ سلبي فبسببلصعوبات الحياة وتعقيدها وكثرة المتطلبات واختلاف

مستويات المعيشه فضلاً عن ضعف القوانين وسوء الادارة واختلال أنظمة المجتمع وغير ذلك فهذه الامور بمجملها تعمل على تغيير حياة الفرد وبشكل سلبي لكون الفرد في ظلها فاقداً للأمان وغير ضامن لحياته أو مستقبله.

جدول رقم(٥٤)

يبين درجة ايمان المبحوثين بالشعائر والاعراف والتقاليد السائدة في المجتمع

الفقرة	التكرار	%
ايمان نسبي	٥٣	٤٦.٠٨
ايمان مطلق	٢٧	٢٣.٤٧
متذبذب	٢٠	١٧.٣٩
غير واضح	١٥	١٣.٠٤
المجموع	١١٥	١٠٠

الجدول أعلاه يوضح بيانات درجة أيمان المبحوثين بالشعائر والأعراف والتقاليد السائدة في المجتمع ،أن المبحوثين أجابوا بنسبة كبيرة على خيار أيمان نسبي بـنسبة (٥٣٪) ،بينما كانت نسبة من أختار أنه يؤمن بالشعائر والاعراف والتقاليد أيمان مطلق(٢٧٪) ،وتلاها نسبة المبحوثين الذين يؤمنون ايمان متذبذب بنسبة (٢٠٪) ، وهناك عدد من المبحوثين رأى بأن درجة أيمانه غيرواضحةوكانت نسبتهم (١٥٪) فقط .

أن أكبر نسبة من أجابات المبحوثين جاءت بتكرار بلغ (٥٣٪) من الافراد ممن كانأيمانهم بالشعائر والأعراف والتقاليد أيمان نسبي لكون تلك المنظومة من التقاليد والاعراف لا تتوافق دائماً مع الخيارات الذاتية للفرد ولا تقوم بمجملها وفقاًلأسس صحيحة ،فمثلا هناك تقاليد لم تُعدّ ملزمة للفرد بضرورة أتباعها لأختلاف نمط الحياة العام فالتقاليد القديمة تفرض الزواج على الفرد وعليه طاعتها ،وأستجابته تلك أيمان مطلق بالشعائر والقيم لكونه استجاب لها وبطريقة فورية ولكن مواكبة الحداثة وتغير الانماط الثقافية والاجتماعية ودخول المجتمعات في حقبة متطورة جعلت الفرد أكثر تطلعاً وتفكيراً وقادر على الرفض والتحرر من سلطة الاعراف والتقاليد وبذلك يعتبر ايمانه نسبي لكونه غير خاضع لسلطة تلك الشعائر والاعراف التقليدية بشكل مطلق وهذه مقترنة أيضاً برغبة الفرد في التحرر من التقاليد الموروثة والايمان بالقرارات وفقاًلمبتغى ذاتي شخصي ،وهناك من يتبع منظومة التقاليد وبشكل مطلق اعتماداً على المجتمع الذي يفرض على الفرد تلك التقاليد وهذا ما نجده في المجتمع التقليدي فمن الصعب على الفرد أن لا يؤمن بما هو

سائد ومتعارف عليه أذ أن العادات والتقاليد الاجتماعية تفرض نفسها حتى وأن شهد المجتمع تغيراً ومن هذا المنطلق نجد بأن الفرد المؤمن ايماناً مطلقاً بالشعائر والاعراف والتقاليد هو فرداً غير متحرر من المنظومة الموروثة التقليدية ،وتعتبر المعتقدات السائدة هي التي توجه سلوكه سواء كان بوعي أو غير وعي فهو بالتالي فرد تقليدي يشعر بالاكتفاء والانتماء لعشيرته لا يحب التجديد ويفضل الاستقرار والرتابة ،والشخصية الفردية غير واضحة لديه لكونه مرتبط بالتقاليد والاعراف وما تشتمل عليه من مقولات التفكير والمنطق والتصورات الاخلاقية والدينية ومناهج العمل القديم التي خطها له المجتمع.

الاستنتاجات الختامية للدراسة :

توصلت الدراسة ألى عدة استنتاجات:

اولاً – أن الصورة التي يضعها أفراد المجتمع المدروس لنمط الفردانية مرتبطة ارتباطاً كبيراً بصور العزلة المرتبطة بالبؤس والانانية فضلاً عن الانتقادات الموجهة من قبل مجتمعنا التقليدي العشائري الذي يرى بأن الفردانية السبب في تراجع منظومة القيم وانحسار الدين والى تراجع المعايير الاخلاقية وهذا بدوره خلق قلقاً وجودياً لدى أفراد مجتمع الدراسة ،ولذا فبناء عقليات جديدة وبأمكانات قادرة على تجاوز هذا التصور من شأنه أن يغير تلك التصورات الخاطئة.

ثانياً – أن التغيرات الخارجية الكبرى التي تعرض لها المجتمع العراقي لا سيما بعد نيسان ٢٠٠٣ هي تغيرات يمكن أن نقول عنها تغيرات مست الجانب الخارجي أكثر منالجانب الداخلي فرغم التطور الذي أصاب بعض جوانب المجتمع والذي ابرز بعض من جوانب نمط الفردانية ألاّأن البنى الاجتماعية القائمة ما زالت تدين هذا النمط وتمانعه بفيض من القيم والافكار المضادة له.

ثالثاً – أن السمات والمميزات التي يمتلكها الفرد يمكن أن تشكل نقطة انطلاق لأزدهار الجماعة ،فالفرد المبدع يوظف طاقته في خدمة الجماعة في نهاية الامر وهذا يعني بأن الخاص الفردي لا يتعارض مع الكلي الاجتماعي وأنما ينتج عن التوافق بينهما تكاملاً يشكل منطلقاً للنهوض الحضاري للمجتمعـــــات الانسانية.

رابعاً –الانسان الفرد هو نتاج تاريخي يتكون من نبض الثقافة التي يعيش فيها ويتشكل من خلالها ،فالثقافة هي المسؤولة عن البناء النفسي والتشكيل العقلي للفرد وبالتالي هي مسؤولة عن

تكوينه الاجتماعي ،فالفرد الذي ينشأ في مجتمع تقليدي مشبع بالقيم الجمعية لا يستطيع أن يرى جوانب الفردانية وهذا ما لاحظته الباحثة في دراستها الانثروبولوجية وذلك لان تلك القيم الجمعية تميل الى التضامن الاجتماعي الجمعي .

خامساً –الفردانية هي حتمية تاريخية وحضارية تعادل من حيث المبدأ حتمية الحداثة وذلك لأنها تتجه نحو تحقيق ازدهار الانسان ونمو لقدراته الطبيعية الخلاقة لديه ،ولذا فممانعة الفردانية وادانتها لا يمكن التعويض عنه بالبديل أو اعطاء الاولوية للجماعة لأن ذلك يمثل ارتداداً تاريخياً نحو التسلط اتجاه الفرد وذاته الانسانية .

المصادر والمراجع الاساسية للدراسة

اولا : المراجع والمصادر العربية

القران الكريم

١) **ابراهيم .عبد الله: على الاجتماع(السوسيولوجيا)،(الدار البيضاء- المركز الثقافي العربي)، ط/٢، ٢٠٠٦**

٢) **ابراهيم .محمد عباس : الثقافات الفرعية ،دراسة انثروبولوجية للجماعات النوبية بمدينة الاسكندرية ،(القاهرة –دار المعرفة الجامعية)،٢٠٠٥.**

٣) **ابو زيد .احمد: البناء الاجتماعي مدخل لدراسة المجتمع ، ج ١،(القاهرة- الهيئة المصرية العامة)، ١٩٨٩.**

٤) **ابو سكينة. نادية حسن، خضر، منال عبد الرحمن: العلاقات والمشكلات الاسرية ،(عمان-دار الفكر)،٢٠١١.**

٥) **ابو علام. رجاء محمود: مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية ،(القاهرة-دار النشر للجامعات)،ط/٤.**

٦) **احمد .عبد الغفور ابراهيم واخرون : المدخل الى طرق البحث العلمي ،(عمان-دار زهران)،٢٠٠٨.**

٧) **اريغي .جيوفاني، مور. جاسون : التطور الرأسمالي في المنظور التاريخي العالمي ،تحرر، روبرت اولبريتن واخرون ، ت،عدنان حسن ،٢٠٠١.**

٨) **استيتة .دلال ملحس: التغير الاجتماعي والثقافي ،(عمان –دار وائل للنشر)،٢٠٠٤.**

٩) **الاسود . السيد حافظ : الانثروبولوجيا الرمزية ،(القاهرة- دار المعارف)،٢٠٠١**

١٠) **ايمرسون. روبرت ،فريتز.راشيل ،شو.لندا : البحث الميداني الاثنوجرافي في العلوم الاجتماعية ،ت. هناء الجوهري ،م. محمد الجوهري،(القاهرة-المركز القومي للترجمة)،٢٠١٠.**

١١) **باقر،طه: ملحمة كلكامش ،بلا طبعة.**

١٢) **برديائف. نقولا: العزلة والمجتمع ،ت. فؤاد كامل عبد العزيز .م. علي ادهم،(القاهرة- مكتبة النهضة المصرية)،٢٠٠٣.**

١٣) **برستر.جيمس هنري: انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم، ت، احمد فخري،(القاهرة- مكتبة الانجلو المصرية).**

١٤) البرغثي .محمد حسن: الثقافة العربية والعولمة دراسة سوسيولوجية لآراء المثقفين العرب ،(بيروت-المؤسسة العربية للدراسات والنشر)،٢٠٠٧،.

١٥) بركات ،زكي، عبد الرحيم . مصطفى : مساهمة في الحوار العلمي التاريخي حول اسلوب الانتاج في المجتمع اليمني القديم ، تحرير وترجمة احمد صادق سعد، (بيروت – دار الطليعة).

١٦) بركات. حليم :المجتمع العربي في القرن العشرين ،بحث في تغير الاحوال والعلاقات ،(مركز دراسات الوحدة العربية –بيروت)،٢٠٠٠.

١٧) بطاطو. حنا : العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني حتى قيام الجمهورية ،ت، عفيف الرزاز،(بغداد- منشورات فرصاد)، ٢٠٠٥.

١٨) بومدين .بوزيد :الفكر العربي المعاصر واشكالية الحداثة ،(بيروت-الوحدة العربية).

١٩) بيبر شارلين هس، ليفى .باتريشيا :البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية ،ت. هناء الجوهري ،م. محمد الجوهري ،(القاهرة-المركز القومي للترجمة)،٢٠٠١.

٢٠) بيك .اولريش :مجتمع المخاطرة، ت. جورج كثورة،(بيروت –المكتبة الشرقية)،٢٠٠٩.

٢١) التل. وائل عبد الرحمن: البحث العلمي في العلوم الانسانية والاجتماعية ،(عمان- دار حامد)، ٢٠٠٧.

٢٢) جرار. سمير احمد : التربية العربية ومأزق الثنائية المتوهمة الحداثة والتغريب الكويت،١٩٩٠.

٢٣) جعفر .عبد الوهاب :البنيوية في الانثروبولوجيا وموقف سارتر منها ،(القاهرة – دار المعارف)،١٩٨٩.

٢٤) جغلول . عبد القادر :التكوين الاجتماعي الجزائر عشية الاستعمار ، تحرير وترجمة احمد صادق سعد،(بيروت-دار الطليعة)،١٩٧٩.

٢٥) جندلي .عبد الناصر: تقنيات ومناهج البحث في العلوم السياسية و الاجتماعية ،(الجزائر -ديوان المطبوعات الجامعية) ، ٢٠٠٥.

٢٦) الجندي. انور: الثقافة العربية ،اسلامية اصولها وانتمائها،(بيروت – دار الكتاب اللبناني)،١٩٨٢.

٢٧) الجولاني .فادية عمر: المجتمع الانساق التقليدية المتغيرة ،(الاسكندرية –المكتبة المصرية)،٢٠٠٤.

٢٨) الجوهري.محمد: الانثروبولوجيا ،اسس نظرية وتطبيقات عملية ،(القاهرة-دار المعرفة الجامعية)،١٩٩٦.

٢٩) حجازي مصطفى : التخلف الاجتماعي مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور ،(الدار البيضاء – المركز الثقافي العربي)،ط/١٠، ٢٠٠٧.

٣٠) حجازي. اكرم: النظرية الاجتماعية الموجز في النظريات الاجتماعية التقليدية والمعاصرة ،(اليمن – جامعة تعز.

٣١) حسن .محمد عبد الغني :ملامح من المجتمع العربي ،(الاسكندرية-دار المعارف)،١٩٥١.

٣٢) حلقة بحث منشورة للدكتور كامل العضعاض ، بعنوان: هيكلية الاقتصاد العراقي والمسألة الريعية عوائق امام تحقيق تنمية مستدامة ،نشر بتاريخ ٢٠١٣/٤/١٣.

٣٣) حليمي. عبد القادر: مدخل إلى الإحصاء (الجزائر-ديوان المطبوعات الجامعية)، ١٩٩٤.

٣٤) حنون. نائل: ملحمة جلجامش ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص الأكدى ،(دمشق-دار الخريف للنشر)،٢٠٠٦

٣٥) الحوات. علي: النظرية الاجتماعية ،اتجاهات اساسية ،منشورات شركة الجا ،١٩٩٨.
٣٦) الخطيب. ماجد مطر عبد الكريم: الفكر التخطيطي واثره في تصميم البيت التقليدي في المدينة العربية الاسلامية ،مجلة كلية المأمون الجامعة ، العدد السادس عشر ٢٠١٠.
٣٧) خلف .علي زيدان: قراءة في تطور مناهج البحث الانثروبولوجية ،دراسة مقارنة ، مجلة كلية التربية ، ٢٠٠٩.
٣٨) خليل .فؤاد :المجتمع ،النظام ،البنية في موضوع علم الاجتماع واشكاليته،(بيروت- ار الفارابي)٢٠٠٨.
٣٩) دوركهايم .اميل :التربية والمجتمع ،ت ،علي وطفة ،(دمشق –الينابيع)،١٩٩٢.
٤٠) دومون ،لويس: مقالات في الفردانية من منظور انثروبولوجي للأيديولوجية الحديثة ، ت. محمد عصفور،م، بولس وهبة ،(بيروت- المنضمة العربية للترجمة)،٢٠٠٩.
٤١) دياب .محمد حافظ: الثقافة والشخصية والمجتمع ،برنامج لدراسة المجتمع ،(القاهرة-جامعة بنها).
٤٢) ديوي .جون :الفردية قديما وحديثا ، ت. خيري حماد ،(بيروت – دار مكتبة الحياة) ،١٩٧٩.
٤٣) رايلي .كافيين :الغرب والعالم ،تاريخ العالم من خلال موضوعات ،ت. عبد الوهاب المسيري ،م ،فؤاد زكريا .١٩٨٦.
٤٤) رجب .ابراهيم عبد الرحمن :مناهج البحث في العلوم الاجتماعية ،(الرياض-دار عالم الكتب)،٢٠٠٤.
٤٥) رزق .سهيل : مناهج البحث العلمي ،(فلسطين) ،٢٠٠٣،.
٤٦) رشاد. عبد الغفار :التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية ،(بيروت –الابحاث العربية)،١٩٨٤.
٤٧) رشوان. حسين عبد الحميد أحمد: العلم والبحث العلمي دراسة في مناهج العلوم الطبيعة (الإسكندرية)،٢٠٠٤.
٤٨) رمزي .سباع احمد : محاضرات في الاحصاء الوصفي احصاء ١،جامعة قاصدي مرباح-ورقلة ،كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير ،٢٠١٥.
٤٩) روس. مايكل: هل يعيق النفط الديمقراطية ،معهد الدراسات الاستراتيجية ،تحرير،حسين بن حمزة،(بغداد-معهد الدراسات الاستراتيجية)،٢٠٠٧.
٥٠) زيعور، علي: التحليل النفسي للذات العربية انماطها السلوكية والاسطورية ،(بيروت - دار الطليعة)،ط/٣، ١٩٨٥.
٥١) ساغر،هاري.و.ف: الحياة اليومية في العراق القديم (بلاد بابل واشور)،ت، كاظم سعد الدين ،(بغداد- دار المأمون) ٢٠١٠.
٥٢) ساغز، هاري: عظمة بابل، ت، خالد اسعد عيسى، احمد غسان سبانو،(دمشق- دار رسلان)،٢٠٠٨.
٥٣) سبيلا .محمد ،العالي .عبد السلام : الحداثة، دفاتر فلسفية ،(الدار البيضاء –دار توبقال)، ١٩٩٦.
٥٤) ستيس،والتر: فلسفة هيجل، ت، امام عبد الفتاح امام، المجلد الثاني،(بيروت- مكتبة مدبولي).
٥٥) سعد.احمد صادق: ست دراسات في النمط الاسيوي للإنتاج،(بيروت- دار الطليعة)،١٩٧٩.
٥٦) سنبل، اميرة، واخريات: النساء العربيات في العشرينيات حضورا وهوية، (بيروت- مركز دراسات الوحدة العربية)،ط/ ٢ ،٢٠١٠.

٥٧) سوسة .احمد: حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين ،(بغداد- دار الحرية) ،١٩٨٠.
٥٨) شرابي .هشام : البنية البطركية ،بحث في المجتمع العربي المعاصر،(بيروت-دار الطليعة)،١٩٨٧.
٥٩) شرابي .هشام: النظام الابوي واشكاليه تخلف المجتمع العربي،(بيروت- مركز دراسات الوحدة العربية)، ط/٢، ١٩٩٣.
٦٠) شفيق. محمد: الانسان والمجتمع، (القاهرة- المكتب الجامعي لحديث)، ٢٠٠٥.
٦١) شومبيتر.أ جوزي: الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية ، ت، حيدر حاج اسماعيل، (بيروت- المنظمة العربية للترجمة)، ٢٠٠١.
٦٢) الشيخ. محمد: رهانات الحداثة ،(بيروت-دار الهادي)٢٠٠٧.
٦٣) عبد الرحيم تمام ابو كريشه :دراسات في علم التنمية ،(القاهرة –المكتب الجامعي الحديث)،٢٠٠٣.
٦٤) عبد الغني .عماد : سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والاشكاليات من الحداثة الى العولمة،(بيروت- الوحدة العربية)،٢٠٠٦
٦٥) عبد المعطي .عبد الباسط: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ،(الكويت- عالم المعرفة)،١٩٨١.
٦٦) عدس.عبد الرحمن، عبيدات.ذوقان، عبد الحق ،كايد ابراهيم: البحث العلمي مفهومه ادواته اساليبه ،(عمان -دار مجدلاوي للنشر)،١٩٨٨.
٦٧) العزاوي .رحيم يونس كرو: مقدمة في منهج البحث العلمي ،(عمان- دار دجلة)،٢٠٠٨،.
٦٨) العمر .معن خليل :التفكك الاجتماعي ،(الاردن – دار الشروق)،٢٠٠٥.
٦٩) غانم. عبد الله الغني واخرون :المدخل الى علم الانسان ،(الاسكندرية-المكتب الجامعي الحديث)،١٩٨٩.
٧٠) غانم. كمال سعيد: الاسس النظرية لمناهج البحث العلمي الاجتماعي ،(القاهرة-دار المعارف)،ط/٢، ١٩٨٥.
٧١) غوستاف .يونغ :البنية النفسية عند الانسان ،ت، نهاد خياط ،(سوريا –دار الحوار)،١٩٩٤،.
٧٢) غوشيه .مارسيل: الدين في الديمقراطية، ت. شفيق حسن،(بيروت- المنظمة العربية للترجمة)، ٢٠٠٧.
٧٣) غيرتز .كيلفورد : تأويل الثقافات مقالات مختارة ،ت ،محمد عصفور، م بولس وهبة ،(بيروت – المنظمة العربية للترجمة)،٢٠٠٩
٧٤) ف.ب.توغاريف: الطبيعة والحضارة والانسان ،ت، رضوان القضماني ونجم خريط،(بيروت –دار الفارابي)،١٩٨٧.
٧٥) فتوحي. عامر حنا: الكلديون /الكلدان منذ الزمان ، بحث في الهوية القومية الكلدية /الكلدانية ، ط /٢ ، ٢٠٠٧.
٧٦) فروم .اريك :الهروب من الحرية ،ت. مجاهد عبد المنعم مجاهد ،(بيروت –المؤسسة العربية)،١٩٧٢.
٧٧) فوكو .ميشيل :المراقبة والمعاقبة ،ولادة السجن ،ت. علي مقلد ،(بيروت-مركز الانتماء القومي)،١٩٩٠.
٧٨) فوكو .ميشيل واخرون: التحليل الثقافي :ت، فاروق احمد مصطفى واخرون، تحرير،ايدث كريزويل واخرون،(القاهرة- المركز القومي للترجمة)،٢٠٠٨

٧٩) قنديلجي .عامر :البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والالكترونية ،اسسه .أساليبه. مفاهيمه. ادواته،(عمان-دار المسيرة)،ط/ ٢، ٢٠١٠،.

٨٠) كاظم .علاء جواد :الفرد والمصير بحث في الانثروبولوجيا الثقافية ، (بيروت- دار التنوير)

٨١) كامو .البير: الانسان المتمرد ،ت.نهاد رضا،(بيروت-منشورات عويدات)،ط/٢ ،١٩٨٠.

٨٢) كريب. ايان: النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابرماس، ت .محمد حسين غلوم، م، محمد عصفور ،(الكويت-المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب)،١٩٩٠، العدد(٢٤٤).

٨٣) كشرود. عمار الطيب :البحث العلمي ومناهجه ،(عمان –دار المناهج)،٢٠٠٧.

٨٤) كلاكهون .كلايد :الانسان في المرأة ،ت. سليم شاكر ،(بغداد)،١٩٦٤.

٨٥) كوش. دينيس: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية،ت، منير السعيداني،(بيروت –المنظمة العربية للترجمة)،٢٠٠٧.

٨٦) كولن فريزر واخرون: تقديم علم النفس الاجتماعي ،ت. فارس حلمي (عمان-دار المسيرة للنشر)،٢٠١٠.

٨٧) لنتون .رالف : الانثروبولوجيا وازمة العالم الحديث ،ت. عبد الملك الناشف ،(بيروت-المكتبة العصرية)،١٩٦٧.

٨٨) ماركس،كارل. انجلس، فردريك: ماركس انجلس منتخبات المجلد ١،ت ،الياس شاهين ، (موسكو-دار التقدم) ، ١٩٨٨.

٨٩) ماركوز .هربرت: الانسان ذو البعد الواحد، ت جورج طرابيشي ،(بيروت- دار الآداب)،ط/٣، ١٩٨٨ .

٩٠) ماكيفر .ر.م،بلج.شارلز هـ: المجتمع ، ت. علي احمد عيسى،(القاهرة –النهضة المصرية)،ط/2،١٩٦١ .

٩١) محجوب. محمد عبدة : مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية ،(الكويت –وكالة المطبوعات).

٩٢) محفوظ. محمد: الاسلام والغرب وحوار المستقبل ،(الدار البيضاء- المركز الثقافي العربي)،١٩٩٨.

٩٣) محمد. علي محمد: علم الاجتماع والمنهج العلمي دراسة في طرائق البحث واساليبه ،(القاهرة- دار المعرفة الجامعية) ،ط/٣.

٩٤) مرعى .ابراهيم بيومي ،البغدادي. محمد حسين : الجماعات في الخدمة الاجتماعية ،(الاسكندرية – المكتب الجامعي).

٩٥) مسعد. محيي محمد : المجتمع العربي واهم تحديات العولمة التحديات الاقتصادية والاجتماعية ،(القاهرة- مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية)،٢٠٠٤

٩٦) المسيري. عبد الوهاب :موسوعة اليهود واليهودية ،المجلد الاول.

٩٧) مقال لـ حمزة الجواهري : بعنوان البترودولار فقط للمحافظات الغير منتجة دستورياً ،مركز الدراسات والابحاث العلمانية في العالم العربي ، في تاريخ ٢٠١٢/١٠/٢٩.

٩٨) منهايم. كارل :علم الاجتماع النظري .ت. احسان محمد الحسن ،(بغداد- دار الكتب للنشر)،١٩٩٣.

٩٩) مورتكات ،انطون: فنون سومر واكاد، ت، محمد وحيد خياطة ،(دمشق-العربي للطباعة والنشر)،١٩٨٨٠.

١٠٠) مورس. ادوارد، بالي ، توماس واخرون : النفط والاستبداد الاقتصاد السياسي للدولة الريعية ،(بغداد –معهد الدراسات الاستراتيجية)،٢٠٠٧.

١٠١) كاظم.. علاء جواد : الفرد والمصير بحث في الانثروبولوجيا الثقافية ،(بيروت- دار التنوير)،٢٠١١.

١٠٢) نصر الله .محمد علي : اضواء على نمط الانتاج الاسيوي ، تحرير ،احمد صادق سعد ،(بيروت- دار الطليعة) ،١٩٧٩.

١٠٣) النوري، قيس :الأنثروبولوجيا النفسية ،(بغداد- دار الحكمة)،١٩٩٠.

١٠٤) هنا .غانم ،المعجمي .مرسل ، نصار. ناصيف : ندوة حول عناصر الحداثة في الفكر العربي المعاصر ، ١٩٩٨.

١٠٥) هيبوليت. جان: مدخل الى فلسفة التاريخ عند هيجل ،ت. انطوان الحمص،(دمشق- منشورات الهيئة العامة)،ط/٢.

١٠٦) هيكل .عبد العزيز فهمي : مبادئ الاساليب الاحصائية ،(بيروت- المركز الدولي لتعليم الاحصاء)،١٩٦٦.

١٠٧) الوردي . علي : دراسة في طبيعة المجتمع العراقي محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الاكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث،(بيروت-دار ومكتبة دجلة والفرات)،ط/٢، ٢٠١٠.

١٠٨) وصفي .عاطف: الثقافة والشخصية ،(القاهرة- دار المعارف)ط/٢، ١٩٧٧ .

١٠٩) ويسترا.ريتشارد : اطوار الرأسمالية والتغير الاجتماعي ما بعد الرأسمالي ، تحرير ، روبرت اولبريتن واخرون ،ت، عدنان حسن.

١١٠) عفوي. جودت عزت: اساليب البحث العلمي ،(عمان- دار الثقافة)،٢٠٠٩.

ثانيا: الموسوعات العربية والمعاجم

١١١) ابن منظور : لسان العرب ،(القاهرة- دار المعارف)ج ٥،مادة –فرد.

١١٢) البستاني .عبد الله :معجم وسيط اللغة العربية ،(بيروت- مكتبة بيروت)،١٩٩٠.

١١٣) صليبا .جميل :المعجم الفلسفي ،(بيروت- دار الكتب اللبناني)،ط/٢ ،١٩٨٢

١١٤) لالاند، اندريه :موسوعة لالاند الفلسفية ،(بيروت-منشورات عويدات)،ط/٢، ٢٠٠١.

١١٥) ر.بودون وف.بوريكو :المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، ت. سليم حداد ،(بيروت-المؤسسة الجامعية للنشر)،٢٠٠٧.

١١٦) المسيري ،عبد الوهاب :موسوعة اليهود واليهودية ، المجلد الاول .

١١٧) الشرقي، علي : موسوعة الاحلام، القسم الرابع،(بغداد- مطبعة العمال المركزية)،١٩٩١

١١٨) بينيت. طوني ،غروسبيرغ. لورانس ،موريس .ميغان : مفاتيح اصطلاحية جديدة ،معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع ،ت. سعيد الغانمي ،(بيروت –المنظمة العربية للترجمة)،٢٠١٠.

١١٩) سميث، شارلوت سيمور: موسوعة علم الانسان المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية ،ت. مجموعة أساتذة ،(القاهرة-المركز القومي للترجمة) ،٢٠٠٩.

ثالثا: المجلات العلمية

١٢٠) .زهير بن جنات : الفردانية في سوسيولوجية ريمون بودون ،العمق النظري والمرتكزات المنهجية ،مجلة العلوم الانسانية ،٢٠٠٩

١٢١) .خادمة.سليمان خالد :الفكر العربي واشكالية الحداثة ،مجلة المنارة ،جامعة ال البيت ،العدد ٣ ايار ،١٩٩٩.

١٢٢) كاظم .علاء جواد :الفردانية في المجتمع التقليدي ،الجذور والتحديات ،دراسة في الانثروبولوجيا الحداثية ،مجلة الآداب جامعة بغداد ،العدد ١١١، ١٥اذار، ٢٠١٥.

١٢٣) طبرة .حسن فارس عبود : تقييم حجم ظاهرة الفساد في المؤسسات الحكومية العراقية من وجهة نظر تدريسيي الجامعات ،مجلة النزاهة والشفافية للبحوث والدراسات ، العدد السابع ،٢٠١٤.

١٢٤) حجر. خالج أحمد :معايير شروط الموضوعية والصدق والثبات في البحث الكيفي ،مجلة جامعة ام القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والانسانية،المجلد ١٥،العدد الثاني .

١٢٥) الحبيب .ثابتي :استخدام منهجية الملاحظة بالمشاركة لتطوير وانسنة ادوات تحليل العمل وتوصيف الوظائف –محاولة توقع ابستمولوجي وتأصيل منهجي ،مقال نشر في مجلة الحكمة ،العدد الرابع ،سبتمبر -٢٠١٠.

١٢٦) شطارة.عامر ناصر: الفردانية في الفلسفة الحديثة كيركجارد (أنموذجاً) .مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية ،المجلد ٤١، ملحق ١، ٢٠١٤.

خامساً: المراجع والمصادر الاجنبية

127) -Levine, Robert, 1982; culture ,behavior, and personality, (new yourk- Adinepubihshing)

128) - Hofstede and mcCrae ; personality and culture Revisited ,(cross-culture Research) 2004.

129) -Bogdan .r .c & biklen, s. k; qualitative research for education, an introduction to theory and methods .Boston.

130) -Lapassade ,G ;.observation participant ,(In Bauis-michel-j.,enriquez) , e., et levy . a 2002

131) 138-Backer.Howard s.roblems of inference and proof in participant observation . American sociological.

132) -BRUYN S. T.; The human perspective in sociology ,the methodology of participant observatio (cliffs ,new jersey), 1966.

133) -Jorgensen .Danny L.; participant observation ,a methodology for human studies ,(sage publication ,London),1989

134) -Boyce .carolyn, neale .palena ;conducting In-Depth interviews ,a guide for designing and conducting In-Depth interviews for evaluation Input .USA 2006.

135) Burgess ,R.G : Elements of sampling in field research ,(London) , 1988

Abstract

Introduction

The study comes (individualism and the future of the traditional groups within anthropology cultural field that the bulk of focus in this study are viewing cultural patterns related to the phenomenon of individuality and contrary floodplains (traditional groups) and discuss what is involved in these phenomena through the presentation of cultural values , social ideas and perceptions of the different world, according to the foundations anthropological, and Conventional ideas are considered "the burden of expensive major obstacles in the way of individual formation of a new" (), which is one of the most important traditional Arab societies properties that still live outside the frameworks and the implications of this cultural pattern as the formation of (individualism) is a challenge of ideas and values inherited that take place in the depths of social structures based mainly on the antithesis of individuality (holy groups).

With the beginning of the eighteenth century began a new era and a new revolution of thinking and began the trend toward self and giving priority to him on the group account or topic and on this basis embodies the individual meaning as a reference to itself and independent from the group links and obligations of the foundation as well as outstanding for the group thinking and identity own world view and the existence and thus is totally different from the individual within the group associated with the fabric of traditional dependency relations with all groups and denominations as tribe and the state.

On this basis individualism is the image of the independent individual for traditional laws and collective commitments, which serves as a reality and a system created chaos congregation and quality, reflected images in the creativity of man and the discovery of himself , deny the group imposed restrictions on him and bring a measure of freedom to live outside the frameworks of traditional group which is the "basic value of modern societies which It was not present modern its image in

ages past and communities "(), enabling the individual from acquiring capabilities logical thinking and cultural awareness through which can change reality and destiny, and launch effective energies to contribute to the payment dynamic society to progress, they act as an independent integrated system of individual include the freedom itself which enables man that formulates his presence in this world.

The Modern Western societies have been defined pattern of individualism, which have had a long history in those communities where it goes anthropologists that this socio-cultural pattern that had enabled the individual to develop himself and its ideas, as well as the free way of living and the saturation of freedom that are the essence of individuality and the disposal of Community restrictions, in the sense that there is some denial of social beliefs .

The picture of the individual in Arab societies with secured and traditional style, we find its standards that are not commensurate with individuality growth monitored by studies anthropological in Western society but also stands in opposition to them have lived capita within the groups falls under the authority and laws, due to the characteristic of our Arab societies strongly tradition and authority and reluctance so make the individual a kind of inertia , hinder and paralyze its effectiveness , its activities as look at him in a lot of cases, as the (profane) outside the group (sacred).

Probably caused changes in the society of the social , economic aspects , openness to different new worlds , engage in sophisticated an era , the emergence of new structures and the prevalence of many of the systems the latest change in the status of the individual and replaced a lot of ideas that existed where people free from obsolete social forms that were narrowed on individual scale expansion and keep it confined to the traditional heritage department, said that the control of the provisions that capitalist systems on the lives of the backward communities and the fall of the socialist system, which owed it most Middle Eastern communities, including the Iraqi society, "enabled the individual to enter into the labor market and this represents total series to get rid of traditional networks that are family relations , relations of neighborliness , professional relationships and also the nature of links with the culture , social and political systems "( ), but modernization and economic and social processes have made traditional societies live in a state of tension and conflict because it made its living according Dynamiting major intersect in various sectors side which is the first power of tradition , attractiveness and side the other is the update and

temptations, but the traditions and customs inherited power in traditional societies, or those backed culture strongly tradition made them tend to hold on to what is prevalent as a cultural heritage and remained the dominance of the group and its control impose themselves on the individual and made it struggling with questions about his future with the traditional groups, Hence the importance of this study (individualism and the future of the traditional groups) as an attempt to understand the philosophical perceptions of the individual and human receptor with traditional communities, know the challenges it faces in light of this society.

This study contains two parts: First Part covers the theoretical side, comprising four chapters, namely:

Chapter One provides the theoretical and conceptual framework of the study consists of the first two sections: the problem of the study and its importance and its goals, and the second section examines the concepts of the study and scientific terminology.

In Chapter about the reference to study the frame, including theoretical indicators occur as stated researcher some theoretical scientific indicators that addressed the issue of individuality and traditional groups, including Morris Oblir Study: Puerto Ricans Americans, cultural, psychological and conflict, as well as Louis Dumont Study: essays in individuality perspective anthropological modern ideology, and also John Dewey: individual, past and present, as well as Kelfordegertz study: person, time and behavior in Bali, as well as Alaa Jawad Kadhim study: the individual and the determination study in cultural anthropology.

As the third chapter came including four sections, Section one I, entitled: Social foundations of individualism in the old Iraqi society-Sumerian society a model, and the second topic: the dismantling of social structures: individuality in the face of traditional communities, and the third section: Iraq, oil , authoritarianism and the future of the traditional groups, either section four : Asian mode of production.

While the fourth chapter discussed the structural traditional house including four sections, the first Section: anthropological observations in the dismantling of the incubator traditional core of the group (traditional house) model, and the second topic: the nature of the social relationships that are based upon traditional communities, and the third section the traditional groups (economic factors), The fourth topic: educational systems.

The second section involved on the field side of the study and included two chapters divided as follows:

Chapter five includes four sections, determine the first section in the theoretical framework of the study where the theories that interpret the subject of the study, particularly the theory of cultural analysis in the anthropological field theory and the basic construction of the character, second section to include scientific and methodological procedures where the curriculum qualitative , statistical method and descriptive statistics, either section the third included data collection tools, particularly participant observation and through the participation of members of the community of study and observation , behavior , learn about their customs and traditions, and in-depth interview, which contributed to the understanding of ideas , what individuals and their perception of the world around them and learn about the importance or non-importance of affiliation to traditional groups, as well as the way comparison that will allow us to interview between the traditional style and with a spate of modern societies with haplotype, and the fourth section societies included the areas of study, which revolved around the search.

The fifth Chapter viewing and analyzing public data to questions from the interview form through three sections included Section I (public data characterization), and the second section (view descriptions of the phenomenon of individuality and the future of the traditional groups), of the overall results of the study.

Ministry of Higher Education and Scientific Research
AL.Qadisyiah University – College of Arts
Sociology Department

Individualism and future of the traditional groups

A research in cultural anthropology

Submitted presented by

Enas Razik mattia

To the council of college AL-Qadisyiah university –to get the master degree in sociology

Supervision

Dr. Alaa Jawad kadhim

2017